

كتاب
حالة المصريين
أفان

بشرط الخرم

تأليف

محمد عمر

من مستخدمي مصلحة البوستة المصرية

THE PRESENT STATE of THE EGYPTIANS

OR

THE CAUSE OF THEIR RETROGRESSION

BY

MOHAMMED OMAR

Egyptian Post Office.

طبع في مطبعة المنقطف بمصر

سنة ١٣٢٠ هجرية و ١٩٠٢ ميلادية



مولاي

اتشرف باهداء كتابي هذا لرب المآثر الجليلة وعنوان الشرف
والكمال والفضيلة الوزير الاعظم عطوفتواقدم

مصطفى فهمي باشا الافخم

رئيس الوزارة المصرية الجليلة الساهر لايقاظ ما اندرس من
شريف عاداتنا المجدد لما خلق من ثياب آدابنا ومعارفنا فلا زال
للوطن نصيراً ولرفعة شأنه ظهيراً والامة باسرها كعبة آمالها ونقطة
امتداد حياتها المادية والادبية . آمين

المحسوب
محمد عمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على رسوله

وبعد فان انفع العلوم علم يهدي الباحث فيه الى حال امته الذي هو فرد
منها من صعود وانحطاط ورشد وغواية وتفرق والتلاف وخلل ونظام فاذا رآها في
مصاف ذوي الصفات الصالحات جد معها في شوطها وافتخر بأنه كان واحداً من
تلك الامة الراقية والقوم الصالحين واذا رآها في الدرك الاسفل من سوء الاعمال
وقلة المال وتخاذل الرجال اهرع الى الاصلاح يلتمسه لها من بابها واجتهد في تبين
النافع من الضار ضارباً الامثال باحوال مجاوريها من الامم وما كانوا فيه واسبابه
وما صاروا اليه وابوابه مفصلاً علل التأخر موضعاً وسائل التقدم مشجعاً على الانتقال
من حال الى حال معيراً بالبقاء على ما ظهر ضرره مخفياً للداء معيناً للدواء مذكراً
بالآباء الاولين والاجداد السالفين فما هو الآن يجتمع اليه كثير يعملون بفكرته
ويقومون بنصرته فلا يلبثون حتى يعم هذا الفكر الصالح وينتشر النور وهذا هو
الاجتماع والامران

ولقد مضت السنون الطوال وتتابعت القرون والاجيال والناس عندنا الالهون
بالخيال مجدون في الخيال عن هذا العلم النافع غافلون وبغيره مما لا يفيد فائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة على رسوله

وبعد فان اتفق العلوم علم يهدي الباحث فيه الى حال امته الذي هو فرد
 منها من صعود وانحطاط ورشد وغواية وتفرق واتلاف وخلل ونظام فاذا رآها في
 مصاف ذوي الصفات الصالحات جد معها في شوطها وافخر بأنه كان واحداً من
 تلك الامة الراقية والقوم الصالحين واذا رآها في الدرك الاسفل من سوء الاعمال
 وقلة المال وتخاذل الرجال اهرع الى الاصلاح يلتمسه لها من بابها واجتهد في تبين
 النافع من الضار ضارباً الامثال باحوال مجاوريها من الامم وما كانوا فيه واسبابه
 وما صاروا اليه وابوابه مفصلاً على التأخر موضعاً وسائل التقدم مشجعاً على الانتقال
 من حال الى حال معيراً بالبقاء على ما ظهر ضرره مخفصاً للداء معيناً للدواء مذكراً
 بالآباء الاولين والاجداد السالفين فما هو الا ان يجتمع اليه كثير يعملون بفكرته
 ويقومون بنصرتهم فلا يلبثون حتى يعم هذا الفكر الصالح وينتشر النور وهذا هو
 الاجتماع وال عمران

ولقد مضت السنون الطوال وتتابعت القرون والاجيال والناس عندنا الاهون
 بالخيال مجدون في الخيال عن هذا العلم النافع غافلون وبغيره مما لا يفيد فائدة

مشتغلون وبقي ذلك كذلك الى ان ظهر تحت سما مصر كتاب الاستاذ الكبير العالم الاجتماعي الشهير ديولان الذي ابان فيه كل احوال الفرنسيين في هيئاتهم الاجتماعية كلها وبين ما في كل واحدة منها من النقص وقابل ما عندهم بما عند جارتهم الامة الانكليزية من كمال تلك الهيئات ومئات اصولها مبيّناً اسباب ما لديهم من ذلك الكمال ولذلك وسمه باسم (سرّ تقدم الانكليز السكسونيين)

ولما اعترتني الصدفه بهذا الكتاب ترجمته الى اللغة العربية ليعم النفع به فانه ان بقي على اعجميته كان بالنسبة الى بلادنا كأنه لم يكن

ما وُجد هذا الكتاب مترجماً في ايدي الناس وقراءه العامة والخاصة منهم حتى تربت عليه الفائدة التي قصدها والتفت حضرة الفاضل محمد افندي عمر الى ما عليه امتنا المصرية من التأخر والانحطاط فقام ينظر في الاسباب وطرق لذلك جميع الابواب حتى استجمع كثيراً من احوال الاغنياء والمتوسطين والفقراء وجمع الجميع في كتاب سماه (حاضر المصريين او سرّ تأخرهم)

تصفحت هذا المؤلف الجديد فاذا هو قد ألمّ بالمطلوب ووفى ابحت حقه فتكلم عن اخلاق الطبقات الثلاث التي اُلف منها امتنا المصرية وعن عاداتها وحالها في كل مجتمعاتها بما ابان العلة وتخص الداء وارجع جميع الادواء الى اصول الاخلاق وبرهن على ان العمل انما هو الموصل الى السعادة

الحق احق بالاتباع والضرر انما هو في تمويه الحقيقة بما يسمونه تستراً والصبر ان كان مرّاً رباحات عاقبته وحمدت غايته على انه ان كانت النصيحة بالتي هي احسن فلا يضيع فيها الصدق الاخبار عن الواقعيات وقد يكون الواقع اشد ما يكون سماعه على النفوس فلا بد ادن من أن يتجرى الناصح الحق ويبين العيب ويدعو الى التنصل منه والتفخي عنه ولا بد من ان البدرة تبت متى وُضعت في

ارض سالحة واستكلت الشروط وكل النفوس سالحة لتلقى النصيحة ولا ينقصها الا ان يكون زارعها مستجعماً لشروط القبول ومتى صلحت النية فكل عمل صدر عن صاحبها فهو وان كان صعباً يكون مقبولاً

كان يسرني كثيراً ان انتقد على هذا الكتاب في موضعه فاقول ان هذا العيب الذي ذكره مؤلفه في الصنف الفلاني غير موجود ونسبته اليه غير صحيحة غير اني آسف اسفاً شديداً لما رأيته من ان صاحب الكتاب لم يذكر عيباً في طبقة ولم يندد بعادة ولم يعير بخصلة ولم يتعرض الى خلة الا وجدته بعد التدقيق مصيباً فيما قال صادقاً فيما نسب بل رأيته مستعملاً الرقة في البيان والتلطف في المقال

الحقيقة التي لا ريب فيها ان مجموع الاغنياء منا منصرفون عن هذا العالم بأسره غير عالمين بانهم في هذه الدنيا فما عليهم منها اذا عمرت او عم الخراب ولذلك ترى كل واحد منهم وحده يهيم في لذاته غير مبالي بضياع المال الذي جاءه عفواً بطريق الصدفة لانه ابن فلان وارفعت فيما بينهم صفات التعارف وضاعت من ايديهم ثقة كل واحد باخيه فكانوا بذلك هملاً تضع ثروتهم ولا يعلمون ويؤخذون على غرة وهم غافلون وهم اولى بان لا يعدون من الامة فضلاً عن انهم هم العالمون سرت هذه الحال من الاغنياء الى المتوسطين لانهم اقرب اليهم وتربوا حالاً عليهم او سمعوا من اخبارهم والوهم قتال فنشبهوا بهم على غير روية وسفاهة بهم بحكم تساهل طمع القوي على الضعيف فمالوا ميلهم وطبعت نفوسهم على محبة الظهور الباطل وتنافسوا في التسهوات وتفانوا في اللذائذ وقالوا انا اطعمنا ساداتنا وكبراءتنا ولم يقولوا فاضلونا السبيل فكانوا بذلك خاسرين ضالعين الفقراء وهم السواد الاعظم مسيرون لا مخيرون وايس في ايديهم ما يصرفونه

هباء في لذة ورأس ما لهم الذي هو قوتهم وعافيتهم وصبرهم على تحمل المشاق مدخر
عندهم في خزانة الكسل وليس لهذا مفتاح إلا نصح الناصح مسموع الكلمة وهو لا
يكون إلا من طبقة اعلى بحكم العادة القديمة وهذا كما تقدم لا يهده صلاح ولا
يعنيه فلاح في نفسه فما الظن به في غيره ان نام الفقراء وضاعت رؤوس اموالهم
التي اكتسبوها بالطبيعة وكانت تنفعهم كثيراً لو صرفوها في تحصيل الرزق
الواسع وما هم بفاصلين

لو التفت الاغنياء والمتوسطون الى ان ذنب اولئك الضعفاء الفقراء في
رقابهم واقبلوا على العمل النافع لانتقل اولئك المستضعفون من حالهم الى ما هي
خير منها ولعاشوا في نوع من السعة والنعيم اذ كان بعض الاغنياء وغيرهم من كبار
المتوسطين اقلعوا من زمان غير بعيد عن استمرار ليالي المآثم الى الاربعين كما كان
الحال من قبل فلم يعمل بالامر الجديد سوى اثنين او ثلاثة حتى علق به اصغر
المتوسطين واخذة قاعدة جديدة عميقة وسمعا في كثير من الاندية والمنازل
شديد التنديد بالعادة القديمة والتنويه بالجديدة وانتقل الناس بعد ذلك من تقصير
ليالي المآثم الى سير مرور الجنائز واخذت العادة الشنعاء تملطف ولا شك انه اذا
بقي الكبرياء على ذلك تبعهم الفقراء وحل الجديد النافع محل القديم المضر في هذا
الامر وان كان ليس بالعظيم

واذكر كذلك ان بعض الامراء اقبل اليوم على تحسين حالة الزراعة فالتفت
الاصاغر من مجاوريه الى مذهبه ولا ارتاب في ان الحالة المعاشية يمكن ان تصير
الى حسن ثم الى احسن ان لم يصرف اوائك الاصاغر ما يحصلونه فيما لا قبل لهم
به تقليداً للامراء وكذلك لا ارتاب في انه لو كثرت امثال اوائك الامراء لانتشر
عملهم الصالح بين تلك الطبقات فاني لا ارى هذا الاقبال من الضعفاء الا في

المجاورين لقرى اولئك الامراء ولا اشك في انهم لو صلح حال جميعهم في صرف ما يشتغلونه لصلح حال مجاورهم كذلك في هذا الباب وبذلك يتبين صدق ما قلناه من ان علة خسارة الضمفاء هم اكابر الاغنياء والمتوسطين وكذلك هم سبب التقدم والنجاح

وبما تقدم كله يستبين اني حكمت في امر هذا الكتاب بانه كتاب نافع فيما ألف فيه وانه قد استوفى كل ما يقال فلم يبق الا ان احث الناس على الانتفاع به وان اعلمهم بان ما فيه هو فينا وانا يجب علينا ان نسارع الى الخروج عملاً وصمنا به بحق وان مؤلفه لا يتبغي منا سوى الصلاح وكنا احق بان نطلبه لانفسنا ولو بدون منبه فمن نبهنا اليه فقد وجب علينا له الامتنان

احمد

فتحي زغلول



غرض المؤلف

وضعت كتابي هذا على مثال كتاب (سرّ تقدم الانكايذ السكسونيين) العربي بقلم سعادة العالم القانوني الفاضل احمد فتحي زغول بك رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية . ولكنه مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم . وغاية ما أودّ من يطالع هذا الكتاب ان لا ينظر اليه بعين الاستغراب يا حواه من كشف المخبات ورفع الستار عن المعاييب التي في جسم الامة وتؤدي بها الى الهلاك بل ارجوه ان يكون على ثقة باني ما كشفت ذاك السثار إلا حباّ بأبي وشفقة عليها لا شماتة . علنا اذا عرف الداء سارعنا الى اخذ الدواء قبل استعمال الحطب فنندم حين لا ينفع الندم

اذا انت لم تخبر طبيبك بالذي يسوءك أبعدت الدواء عن السقم
اردت بجمع هذه الادواء التي تضرّ بصحة امتي ان احث البقية الصالحة من الامة فتهب من غفلتها وتله شعنها وترأب صدعها وتسد خللها وتبحث عن دواء نافع وباسم شافي تداوي تلك الادواء التي اثقلتنا ونحن عنها غافلون . هذا ما قصدت . وانما الاعمال بالنيات وكل امرء ما نوى

محمد عمر

القسم الاول

في الاغنياء

الاجنياء والعصية

ما فازت طائفة . ولا ساد قوم ولا عزت أمة ولا علا شأن جماعة الا بالعصية . هي التي تربط الافراد وتجمع الاشتات وتحيي النفوس فيشتد ازر الواحد باخيه ويقوى الكل على تحصيل سعادة الامة . والسعي في دوام ارتقاها حتى يعز جانيهم ويخافهم القريب ويهابهم البعيدو حتى ينصروا بالرعب من ابعدمكان وفي قوله تعالى " كما أنهم بنيان مرسوص " اشارة الى معنى العصية وهذا الارتباط . وما البنيان الذي يهولك منظره ضخامة وشموخاً الالبنة فوق لبنة وأجرة فوق آجرة . ولو أمعنت النظر لوجدت ما تستعظمه من الاجسام انما هو جواهر فردة لا تراها العين لتناهيها في الصغر . وانك لو لقيت عشرة رجال ونازلت واحداً واحداً منهم وكنت تفوق كلاً منهم في القوة شيئاً قليلاً لافينتهم عن آخرهم ولكنك لا تستطيع ان تقاوم ثلاثة منهم اذا اجتمعوا عليك حتى ولا اثنين . وعلى هذا جاء القول المشهور " وضعيفان يغلبان قوياً " . وهذه العصية عز المسلمون في القرون الاولى وسادوا ودفعوا بها الغوائل عنهم واخافوا من حولهم وصحبتهم هاته القوة في كل ناحية

واصل العصية انما تكون في اهل الدار الواحدة لا واصر القرابة ولحمة النسب
ثم تمتد من اهل الدار الى الجار وجار الجار وهكذا وقد اوصى النبي صلى الله عليه
وسلم بالجار الى اربعين جاراً وجعل للجار حقوقاً وما الشفعة الاً بعضاً منها
ثم تمتد العصية بالتربية الى كل الجمعية لا تحادهم في تعلم ما يتعلمونه فينشأون
على مشرب واحد لتخرجهم على اصل واحد . ثم تمتد العصية بالدين الى الامة
بتامها ولا تبلغ في الحقيقة عصية قط ما تبلغه العصية الدينية ولا ترى شيئاً اقوى
من رباط تربطه القرابة فقد جعل الله المؤمنين وان تاءت اقطارهم وتباعدت
ديارهم اخوة بقوله " انما المؤمنون اخوة " وهذا هو الاصل الذي تمحي عنده كل
جنسية او وطنية او عصبية مها كان شأنها . ورددتم بذلك الى اصل العصية وهو
القرابة والنسب . وبهذه العصية غاب المسلمون وهم شرذمة قليلة على اكبر الممالك
في قرونهم الاولى وغلبيهم الاجنبي الآن وهم اربى من حصى البطحاء لزوال العصية
بفقد التربية واهال امر الدين فاصبحوا في ذلٍ قد علام فيه من كان دونهم وأخذ
بمقايد امورهم وهم مغمورون سيئ الجهل لا يسمحون عن عيونهم غبار هذه الغشاة
ايروا ما هم فيه من العار والذل ولو طال عليهم هذا الحال يحنى ان يصلوا معها الى
ما لا تحمد عقباة . والتربية تطهر الاخلاق وتهذب النفوس فتكون الى الاتحاد
اقرب والى الارتباط ادنى وناهيك بالدين فانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
ويدعو الى المحبة ويحض على مكارم الاخلاق فيزيل الحسد ويجو البغضاء ويحق
الخداع فتتألف القلوب . ترتبط النفوس وحينئذ تظهر في ابهى مظاهرها ومن
تدبر آي القرآن الحكيم رآه يدعو الى العصية ورأى من اعظمهم التيطان تفريق
تلك العصية وان امضى سلاحه في ذلك هو المال فهو ينثره بين الناس فيخفون
الابن اباه والاخ اخاه وتختلف اهواء من في البيت الواحد ويحسد الجار جاره

فتشتد العداوة ويشغلهم ما هم فيه فيهملون امر التربية فينشأ كل واحد منهم على هوى غير هوى صاحبه فتختلف اميالهم ولا تجمعهم جامعة فيجب على المسلمين ان ينفضوا عنهم غبار الكسل ويتآمروا باوامر الله حتى يصدق عليهم قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم الآية

زواج الاغنياء

اذا طرَّ شارب القتي واخضرَّ عارضه والهمة الله رشده رأى من نفسه ما يدفعه نحو آليف يألف به ليعاونه على عيشته وليشاركه في سراء الحياة وضرائها . فاذا اقترون بفتاة على حسب سنة الله في خلقه كان اول ما يتوخاه الراحة والعيش الرغيد . اما اغنياؤنا فهم احد رجلين رجل يعرف كيف يجب ان يكون النظام العائلي فيعيش عيشاً رغداً ويتمتع باطياب الحياة وقليل ما هم . ورجل لا يعرف ذلك النظام فيعيش ولا يهتأ له خاطر فيتوغل في المآثم مثل كثير من اغنيائنا ويستنزف مددات الحياة في زمن صباه ولا يرعوي عن غيه حتى اذا سئمت نفسه الملهذات وادرك بعض ما كان فيه من الخطأ مال الى الزواج بفتاة تكون اكثر منه ثروة واعرض جاهاً وارفع منزلة حتى يرقع ما تحرق من جلباب ثروته فاذا وفق الى وجود تلك الضالة فاز بالاقتران بها على هنة الله وعلى هذه الخطة يسير ابناء اغنيائنا لكنهم قبل الاقتران يهتمون باعداد لوازم الفرح ولا يكاد هذا ينتهي الا ويطلق ابواب العروسين رؤساء الحرف ويبد كل منهم قائمة الحساب . هذا يطالب بثمان الخضر وذلك بقيمة المصاييح وآخر ثمن المسكرات وغيرها باجرة المغنين والمغنيات

وأكثر ما ينفق في هذين السبيلين هو ما يأخذه الاجنبي ثمن الشموع والمشروبات ولا ينتهيان الا وقد اورثتها هاته الافراح الدمار والاتراح والشاهد على ذلك عدة بيوت قد استنزفت ثروتها في هذا الطريق يعلمها القارىء فلا حاجة بنا الى ذكرها غير اننا تأتي على ذكر شيء مما يجري في بعض افراح الاغنياء . ليعلم القارىء الحالة المتبعة الآن فيقيس عليها المستقبل ويقف على سر تأخرنا من جهة الافراح فيشعر به ويتأمله . ولا نقصد بذلك إيلام القارىء حقيقة الحالة ورداءتها تؤلم وتكدر وليس علينا من ملام ما دامت افراح اغنيائنا من اسباب تأخرنا ايضا يجري في افراح الاغنياء امور كثيرة غير التبذير الكثير والاسراف المضر كلها نقائص وفضائح ما كان اغنى الاغنياء عنها وعن كل ما يقاربهالو علموا الحقيقة والواجب في هذا الشأن ولا نعدد الآن ما يبع من املاك ورهن من اطيان بسبب افراح الاغنياء وتبديد الثروة على هذه الكيفية . بل نذكر النقائص التي كان الاولى بهم البعد عنها

نعددها ونشهرها فاننا ولو تأخرنا عن اشهارها فقد اشهرها الافرنج قبلنا ونشروها ونحن لاهون عاكفون على المباراة والتنافس والمباهاة فيها وهم قائمون على البعد عنها ضاحكون منا . ولا ندري أضحكهم هذا هو سرور لنا ام تأسف على ما لحق بنا واستنزاء . والاغلب ان يكون ضحكهم استهزاء لا حناناً ولا شفقة بنا وهذا الامر ظاهر لهم فهم ينظرون فيما عندنا ليأخذوا منه الكمالات ويتركوا لنا النقائص . ترى الوالد والولد الغنيين منا يقولان ان اقامة الفرح وتبذير المال من ضروريات الزواج كيف لا وهي عادة اخذناها عن فلان اليك وفلان الباشا . وكيف نبتلها ونحن اسنا باقل منهم تروة او ادنى منهم وجاهة فكيف تقصر نحن عنهم وهم لم يقصروا ونحجم نحن وهم قد اقدموا . وكفى حجة الافرنج على استهزائهم بنا تهافتهم

للذهاب الى افراح الاغنياء والتفرج عليها . فانهم مع ما يظهر لهم رب البيت من حسن الوفادة والاكرام (ولولم يكن له بهم سابقة معرفة) يدخلون وتدخل نساؤهم دار حرمانا وبأيديهم آلات التصوير يظنها الرائي شنطة في الايدي فلا يسأل عنها فيأخذون ويأخذ نساؤهم بها صور الرجال والنساء ويطبعون منها المئات والالوف وتبقى عندهم صورة تلك الشريفة الاصل العالية الفرع^(١) مطمحاً لانظارهم وعرضة لنظر اولادهم ولما يزورهم وعليها ينون قواعد التربية والتعليم بينهم ولا يظن انقارى^٢ انا مبالغون فيما ذكرنا فلدى بياعي الصور امام فندق شبرد بمصر^(٣) صور شتى عن حفلات اغنيائنا تباع وتشتري فيها صور نسايتهم ومناظر حفلاتهم للسياح والوافدين الى ديارنا من الغرباء عنا ويا ليت الحال قد اقتصرت على الاغنياء منا فقط . الا انها لتناول الوسط حتى الفقراء . فاني اذكر ان جارنا وهو يسقي قنصلية احدى الدول بمصر كان محفلاً بزواج ابنته ولداعي صحته بترجمان قنصله دعاه للفرح فلبى الدعوة واتي ومعه بعض صحبه من السياح ودخلوا حفلة العرس وييد بعض نسايتهم آلات التصوير واخذوا بها صور النساء وما كاد الفرع ينتهي بقليل من الزمن الا وشاهدت حفلة زفاف البنت معروضة امام فندق شبرد للبيع ولمعرفتي بالبنت وامها وبعض اقربائها تحققت انها هي بالذات

وقد اصبح بعض الاغنياء الآن من سدة شغفهم في تقليد الافرنج وتعلقهم باهداب تمدتهم يجعلون الفرع على نوعين احدهما على الطرز الاوربي والآخر مجاملة على الطرز الشرقي اي بعمل بوفيه حاو من انواع المسكرات المعتقة في الدنان والآخر بمد السباط . وهنا مجال للقارىء يمكنه ان يتصور فيه ما يلزم لكل ذلك من

(١) والتي قامت لاجلها القيامة على سعادة قاسم بك امين بعدم رفع الحجاب

(٢) لديهم جملة من صور افراح الباشوات والامراء

النفقات الزائدة والتبذير المضر. كما اني لا ادري كيف يتسنى للمدعويين الفرح
والسرور وهم سكارى وقد كان الواجب عليهم ألا يعدموا الشعور ويضيعوا الاحساس
ليتأتى لهم مشاركة صاحب الفرح في فرحه وسروره وانسه وحبوره . ولكن التقليد
والجهل وكثرة المال المجموع بغير تعب او الموروث عفواً او جد كل ذلك فينا من
نافه وسقيم

ولا يحتاج الحال بنا الى استلفات نظر القارىء الى بهرجة الرجال في لبسهم
وتبرج النساء حتى انهن ليزدن عن تبرج الجاهلية فيحتاج بنا الامر لعلم جديد ودين
يفهم بعد مضي ثلاثة عتسرقنا وهم في الاسلام

ولا يخلو الفرح من الترح ومن السرقة والسلب والسب والشتم والضرب
وكثيراً ما يتسبب لرب الفرح مشاكل فيتقدم لاجلها الى المحاكم
ولا تغفل احضار الواقعات الفاسدات الاخلاق المتشكلات ليرقصن بين
بنات ابكار واخوات وامهات ابرار صالحات . فلولا ان عميت قلوب الرجال وتأصل
الخوف في النساء لدرجة لا يمكنهن المطالبة حتى بالصون كما امر الله لما امكن ان
يوجد هذا بينهم وفي ديارهم

يحضرون الواقعات ويزعمون ان ذلك مجلبة لسرور المدعوات وهم لا يدرون
ما في ذلك من ضياع الادب وفقد الصون والعفة

وقبل ان نختم القول على زواج الاغنياء نقول ان من تأمل وعرف ما درج
عليه كثير من الشبان بيننا رأى كثيرين من الذين يتزوجون من اولاد اغنيائنا
يودعون عتيقاتهم قبل ليلة الزفاف بالبكاء والنواح فضلاً عما يبذله البعض من
من الهدايا والتحف وكثيراً ما تكون الهدية متشابهة تماماً لهدية الزوجة الشرعية والا
فالعاشقات تأثر على عقول شبان الاغنياء وكثيراً ما يشترن عليهم بطلاق زوجاتهم

بعد قليل فتطلق الزوجة الشرعية من غير ذنب جنته سوى قلة تربية الزوج وعدم اهليته للتزوج وفرط الجهل المتغلب عليه والهوى المستولي على عقله . وكنت اود ذكر ما فعله بعض الشباب تشهيراً لسوء عملهم الا اني اترك كل ذلك لفكرة القارىء وفطنته عليه يتذكر بعضهم فيعلم سر انقراط الزوجية بين الاغنياء وهم الاغنياء بما منحوا من سعة العيش والراحة ولكنهم بالحقيقة فقراء العلم والترية والفهم والله مصرف الامور كيف يشاء

المحبة بين الزوجين الغنيين

محبة الرجل للمرأة هي ثمرة امتزاج عواطف وحاسيات كل منهما عند اشتراكها على تكميل ما في كليهما من النقص . والمحبة بين الزوجين الغنيين امر ضروري يجب وجوده لدوام السرور وجلب الراحة والطمأنينة . وهي التي عليها مدار لذة الحياة كما هي الاساس لبناء التقوى وردع النفوس عن الشكوى . والمحبة هي الحياة الحقيقية التي ان فقدت كان من ورائها الموت وربما كان الموت اسهل من الا على نفس من يدرك معنى المحبة وفقدتها . وكم من مرة كانت سبباً للسوى عند المصيبة والفرح عند الحزن . ويمكننا ان نقول ان المحبة هي الروح الحيوية التي تبعث في قلب الزوجين كانبعاث الدم من القلب الى العروق والمفاصل . ذلك تعريفنا عنها وربما اتخذ غيرنا خطة في التعريف خلاف خطتنا ولكن مرجعها الى هذه النتيجة بلا ريب . وخلاصة القول عنها انها الكل في الوجود . فاذا كان هذا حال المحبة كما بيناه وذكرناه فلم الي ايها القارىء تجسس خلال ديار اغنيائنا علنا نجد بعض الشيء منها او نقف على آثار من ناضلوا عنها نضال الرجال فغبطهم التاريخ وكانوا خير سلف عاش بسلام مطمئن

ارسل ايها القارىء رائد نظرك معي وتأمل ايها الصامت فيما اقصد عليك
وانظر عن يمينك وشمالك واحكم بما تراه بلا امتراء ؟

أأنت ترى ان المحبة الزوجية مفقودة والشقاق شاملاً بين الزوجين والمساعي
مخففة في ارجاعها والنفور سائداً بينهما بعدها عنها بعد المشرقين والدلائل على ما
ذكرنا كثيرة فانك تسمع كل يوم طرفاً من غيرها مع ان الدهر خصها بنعمه وافاض
عليها بوافر خيريه وكرمه

لقد وجدنا في سلام وولدا في رخاء وسعة من العيش أهل منع ذلك السلام
الذي ولدنا فيه والرخاء الذي نشأ عليه الشغال البال وشقاء الحال ؟ مسكن فسح
الجوانب وقصور مشيدة الاركان تكاد تناطح السحاب علواً فهل منع ذلك ضيق
العيش فيها وانحطاط ذوبها الى درجة فقدائها المحبة والطمأنينة ؟

راحة موهوبة واطمئنان موروث !!! ولكن مع من مع من لا يدركه
ولا يفقه له معنى !!! عطاء بغير نصب وخيرات بلا تعب وامل ولا رجاء !!! مع
من هذا ؟ مع من لا يدركه !!!

صحة جيدة عند النشأة ونظر سليم فهل اقرت الصحة وابصر النظر المحبة
وفوائدها ؟ كل ذلك لا يثمر حقيقة وان اثمر فحبة حيوانية صادرة عن ميل غريزي
فلذا ترى المتزوج من اغنيائنا سريع الحب والكره ولا يدرك دافع الميل ولا معنى
الانعطاف وقل من يدرك معنى الحب الزوجي فلذا تجد منهم اميالا قريبة الزوال
سريعة الفقدان ولا تجد في اخلاقهم من المتانة شيئاً . والاسباب كلها جهالات
بعضها فوق بعض فأم جهول وزوجة اجمل تدعي الاولى بحق التربية والثانية تدلي
بحق الزوجية فلا يتفقان ولا يتخذان طرق المسألة بينهما اذ هما عدوتان للراحة بعيدتان
عما يجلبها لا اختلاف المشارب والآراء ولو كانتا في سعة من العيش ورفاهية من النعم

راحة مجهولة وعقل مفقود لا يشعر بفقدانه إلا العاقل فكيف يتفقدان الحب
والوئام غير موجودين
أب يحب وام تحب وابن يحب وزوجة تحب ولكنهم لا يدركون معنى
الحب ولا ما هو المراد منه

ان محبة الزوج لزوجته امر يترتب عليه نفع كبير وفائدة عظيمة . امر يبني
عليه طيب العشرة ودوام السرور والراحة وعليه قوام السعادة الحقيقية اذا وجد
والعيش الهنيئ الصحيح بدون جدال ما زال موجوداً بين شخصين اتفقا على دوام
الاتحاد لدفع طوارئ الزمن وكوارث الايام . ومحبة الزوجة لزوجها فيها نفع اكبر
واتم ان وجدت كانت فيها التعزية عند الكوارث والطمانينة عند المخاوف والراحة عند
التعب والاقدام عند المواقف المحرجة ولكن اين ذلك فيما بين الاغنياء منا والزوج
رجل بماله لا بصفاته والزوجة بمثابة الطفل الذي لا يدرك ولا يعقل من حياته
سوى المطعم والملبس فاذا فقدت المحبة لم يبق غير الزينة والراحة الوهمية والتمتع
بملاذات الحياة المكسوبة عفواً دون شقاء وعناء

أليس في ذلك كله دليل على سوء المحبة بين الزوجين . او ليس ذلك سرّاً
للانحطاط ايضاً في داخلية امور اغنيائنا . وكيف الحال والزوج جاهل والمرأة اجهل
وهي الشريكة في الحياة . او كيف البقاء والارتقاء وهذا كله لا تدرك حاجاته
وكمالياته إلا بمحبة صادقة ووداد ثابت . فما علينا اذا الآن نعلم نساءنا وثقافت
رجالنا لنصل الى معرفة المحبة قبل الزواج وهي أسسه والله ولي المؤمنين وهو على كل
شيء وكيل

العشرة بين الزوجين الغنيين

تكلنا فيما سبق عن الطريقة التي يتبعها الاغنياء وصولاً للزواج وبقي علينا ان نتكلم عنهم بعد زواجهم وكيف يتصرفون في بيوتهم ليعلم القارئ لاي درجة وصلنا من الانحطاط على كلامنا يكون عبرة للمعتبرين وعظة للمتعمقين

قلنا ان الرجل اذا تزوج فهو لا يعرف في امرأته باديء بدء الا الصفات التي كان قد سمعها عنها قبل الزواج وهي على الغالب مكذوب فيها او مبالغ بها فعوضاً عن ان يتمكن بنفسه بعد الزواج اخلاق امرأته ومقدار معارفها للتوصل الى ايجاد طريقة او صفة فيها تكون مشتركة بينهما وبالتالي موضعاً للالفة تراه مشتغلاً عن ذلك بما يحيط من مقامه ويتبين بعائلته اذا كانت تعلق على الشين الهيمية . ولا نعلم الذنب في هذا على من أعلى الزوج الذي اذا لم تكن عائلته قد ربت له لم يترب هو من الدهر . ام على الزوجة انفساء اخلاقها التي اكتسبتها فيما بين الخدامين والحصاة وزادتها بلاء معاشره والدمتها ورصيفاتها اللواتي لا شغل لهن الا التبرج والزينة والحلاعة والسفاهة مما يجعل القلم ان يخط عنه حرفاً واحداً

انما مرجع كل ذلك الى اساءة التربية ولذلك ترى المرأة لا تهتم بشؤون زوجها كما انه هو لا يهتم بها ويعيشان في بيت واحد ولكن قلوبهما متفرقة (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ومتى تفرقت القلوب فهناك المصيبة التي لا مرد لها لما يتأتى بينها من الشقاق وربما الفراق والانفصال . وعلة ذلك عدم ادراك معنى المحبة اولاً والمعاشرة ثانياً وتساهيم انفسهم بانفسهم الى العوامل الخارجية والاحوال التي نتقاذفهم كيفما شاءت . ومن امعن النظر في ذلك رأى الرجال لا يهتمون باعمال زوجاتهم حتى ان المتأمل يظن ان لا عشرة هناك ولا زوجية . وكثيراً ما

سمع القارىء ان الزوج منهم لا يحنط لعدم وقوع زوجته في الخيل والشباك التي
تعمل لها اذ هما بلغت العشرة وطال عليها الامد بين الزوج وزوجته الغنيين لا يأمن
بعضها البعض فلذا ترى في كثير من الدوائر جماعة الكلبة فريق منهم قابض على
حساب الزوج وفريق على حساب الزوجة ولو سألت عن الاسباب الداعية لذلك
ترى النفور والحسد والاثرة بين الزوجين هي المسببة لما ذكر والمرأة منهم كثيراً
ما تكون ذات قسوة مكتسبة في نفسها وليست امرأ طبعياً فيها لعلمها بتوفر رزقها
ولعلمها انها اغنى من زوجها وكأن الواحدة منهم عند ذكر الغنى والثروة زادت
فيهن الحركة والصوت فلذا لا تستأنس احداهن بزوجها ولا ترق عليه ولا تذل
لديه ولا تسكن اليه الا قليلاً وهن المهذبات المربيات وقليل ما هم . واذا لم تحترم
شخصه فهي في شقاق معه طول عمرتها اياه . يغنيننا عن اتيان الدليل واثبات الشاهد
تفكرة القارىء في حالة العشرة الزوجية الغنية فانه لا يرى بينهما سوى احترام
الكلام قائماً منصوباً ووطيس الشقاق مبثوثاً بينهم والسبب يكون اما من غنى المرأة
على الرجل من جهة او انحطاط الزوج في شرف النسب من جهة أخرى . ولكن
الاغلب والذي جر هذه الكوارث فرط جهل النساء وعدم تعليمهن طرق المعيشة
وجهل الزوج واجبات الحياة وشرائط احترام الزوجة والنسب والاهل كما قررت
شريعتنا الغراء ولكننا نرجع بالذنب كله على الاب لسوء ما ربي والام لسوء ما
ارشدت وسوء ما فرطاً كليهما واليك مثال تربية الاولاد لتجعله قياساً من الحاضر
على المستقبل

تربية اطفال الاغنياء

«قال حكيم» — ربّ الولد في طريقه فمضى شاب لا يجيد عنها —

الولد سرّ ابيه وامه يأخذ من جزاياتها واخلاقهما ويدل عليهما بين الاهل
والمعارف كما يدل عليهما في الجماعة والوطن . وكل مولود يولد فيه نفع لاهله وتقوية
لجامعته فاذا عرفنا هذا وتحققناه فهل هذا نشعر به كئنا او على الاقل هل يعرفه
الاغنياء منا ؟ . او ماذا يكون الولد في نظر هؤلاء الاغنياء ؟ اذا كان ذكراً أحبه
ابواه معاً واذا كان أنثى كرهها ابوها واحبتها امها كما قال الله عزّ وجل عن امثالهم
«واذا بشر بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» اذ لا يميل الاب الى البنت ميل
الام اليها . وكم أدى ذلك الى النفور والحصام بين الوالدين اذ ربما كان عدم تقبل
الاب لبنته سبباً يدعو امها الى ان تنفوه بكلمات تسيئته والا كان الميل خداعاً
واستعطافاً لها ومواربة منه اليها وكم نشأ من هذا القبيل حكايات كثيرة كانت
سبباً لزرع الشقاق بينهما وربما جرت الى الفراق واذا استنحل الامر فالى الطلاق .
الأم من حسنت آدابها وتكاملت اخلاقها فانهما لا يعتدان بما ذكرنا بل يهتان
بالطفل لا فرق عندهما ذكراً كان او انثى بل يجعلان كلا منهما امام نظرها سيات
ولا يجعلان مثل هذه الامور تأثيراً عليهما . الا ان الام تستنكف ارضاع الطفل
فتأتي بمرضع لارضاعه وهذا امر اصح لا يتناول الاغنياء فقط بل كاد يكون عاماً
حتى ان تناول الوسط واصبحت لذلك المرضعات تعد بالالوف ولا يخفى ما يتسببه
الطفل الرضيع مع اللبن من أمزجة هؤلاء فضلاً عن الامراض التي كثيراً ما
تصاب بها الاطفال وقل ان تجوم منها ولذا تكثرون اطفال الاغنياء الامراض
ويصابون بالعقد الحنازيرية وغيرها

نعم لا تنكر ان ذلك يمدح ان كان مزاج الام غير ملائم وغير مساعد على الرضاعة ولكن ما القول اذا كان نساء الاغنياء يستكنن ترفعاً منهن وعظمة عن ارضاع اطفالهن وحتى لا يقال انهن غير متمدنيات - قال عالم فاضل - تساوى في نظري العاقر والتي لا ترضع اولادها - فما القول الآن ولا توجد امرأة ترضى بارضاع اطفالها وفي سير النساء المسلمات في صدر الاسلام وفي بهجه وعزه كانت نساء الخلفاء والامراء هن اللواتي يعتنين باطفالهن ويرضعنهم مع مقدرتهن في ذلك الوقت على احضار من شئن من المراضع .

لا شك ان هذا الامر المنتشرين ظهرانينا مضر بنا وله علاقة كبيرة في فساد اخلاقنا وضعف تربيتنا وازمحلال قوميتنا وقد عرف هذا كثير من علماء الاخلاق فنبهوا عليه وحذروا منه . ويمكننا القول عنه ايضاً بأنه سبب مهم في تغيير الامزجة وجر الامراض على اطفال العائلات الغنية من حيث تدري ولا تدري . وتربية الطفل ليست من الامور اليسيرة حتى يستهان بها او يتعاس عنها الى حد يودي بها الى ما لا تحمد عقباه كما نراه ونشاهده الآن بل الحقيقة ان الطفل اذا دب على الارض لزم له الاعناء العام وما دامت نشأته في الحياة كشاة النبات في النمو والظهور وجب ان يعتنى به وبما يحفظ قواه وينميها والا ذهب ضحية جهل والديه من حيث لا يشعرون كذلك النباتات اذا لم تسق بما يجيها من حين الى آخر ذبلت او ماتت ^(١)

وعلى الوالدة المحافظة على ولدها ومساعدته بكل ما يمكنها من الوسائط لنموه

(١) وابلغ من هذا ذهب بعض فلاسفة التربية الى ان الاعناء بالتربية يبتدئ من

زمن الحمل وهذا معقول لا امتراء فيه ولا ارتياب

وارتقائه وهذا سهل عسير . سهل اذا كانت الام الكبرى بين اخواتها ورأت امها تربي
اطفالها . وصعب عسير اذا اعتمدت على نفسها بدون ان تسترشد من سواها وكانت
من لا يدركن علم تربية الاطفال كما عليه اغلب نساء الاغنياء اذ هن لا يعرفن
ما يلزم مما لا يلزم وهذا مما يدعوننا الى الاسف في عصرنا الحاضر وهو علة جلب الخادمت
واستخدامهن وهن اجهل منهن في هذه الامور وان كان اغلب نساء الطوائف الاخرى
قد اتبين الى تربية اطفالهن وجمعان لها دروساً تعطى عند تعليم البنات في مدارسهن
الا نحن ففساوتنا اجهل من ان يدركن معنى علم تربية الاطفال وهن في مقدمة
نساء العالم بانهن لا يهتمن بهن قدر اهتمام بزيتتهن وبهرجنهن وفي مقدمة
ذلك التهاون تسليم الاطفال للخدم زعماً منهن انهن سعداء يمكنهن جاب المراضع
والخدم لاولادهن ولكن تتان بين ام تربي طفلها بيدها وهي به ارحم كما هي عليه
اشفق من ليس عمالها الا مقابل اجرة ابتقاضها عاجلاً بخلاف الام فانها مسئولة
شرعاً وزيمة امام الانسانية وامام الله بكل ما لحق باولادها وهم صغار فهل ادرك
ذلك نساء الاغنياء وعملن به ؟ كلا كانهن عدمن تربية امهاتهن هن والشفقة
والحنان عليهن

وعلى هذا النسق تترك الامهات الاطفال حتى اذا بلغوا سن السادسة او السابعة
فرحت الام واستبشر الاب ومحمدوا صليعهم قائلين لبعضهم قد كبر الابن او
البت فهل بنا عليهم ونهذيه على طرق يصجون بها متمسكين بالاداب وبما
يشبه تربية الاقرن لاولادهم كما نسمع ونرى فيأتون لهم بخادمت من غير ابناء
العرب لكي يعلمهم ويرشدوهم على قولهم حتى ان الولد ليأتي بعمل تلقاه من حريته
الاولى ولا يقع لدى الاخيرة فتستعجبه قائمة أف من فعال ابناء العرب فيضيع عند
ذلك من الولد ما تلقاه وهو صغير ويصبح حائراً لا يدرى كيف يسترضي

الاخيرة ^(١) وناهيك ما يقع فيه الولد وهو صغير من الارتباك والتشويش فضلاً عما يتجدد في نفسه من الكره لاخلق وعوائد أمته وبني جنسه وهو لا يدري الا صوب فيتبعه . هذا غير فقدان ما تعلمه من لغة قومه واهله وكثيراً ما يقف محتاجاً لترجمان بين امه وحريرته الجديدة . وهذا ايضاً امر قد دخل جديداً في التربية واوجد الفتور فيها والقلق . والدليل على ذلك ان اولاد اغنيائنا لا يكونون مثل ابائهم او امهاتهم في الاخلاق الا نادراً . ولا يستغرب مستغرب ما نقوله فيها هم اولاد العظماء لديه فليتأمل فيهم يرى لما نقوله صحة ولما نشير اليه حجة .

ان شئت ان تعرف كيف تتولد البغضاء وتتولد النفور بين الاولاد وهم صغار فسيه أيضاً فساد في التربية وسببه الاكبر سوء تصرف الاباء والامهات معهم . اذ هم يعاملون اولادهم معاملة المحاباة معاملة تفضيل احدهم على الآخر في كل شيء من مأكل وملبس وهم لا يدرون ان بعملهم هذا يزرعون الجفاء بين الاولاد يزرعون البعد بين القليلين فينشأوا وهم شابون على كراهية بعضهم بعضاً شابون على جفاء متمكن منهم واين لي بمن يفهم الوالدين ان في عملهما ذلك مجلبة لحرمانهما من الراحة فيما بعد والا لو عقلا الاسباب وفقها النتائج ووهبا عقلاً ما فعلا ذلك ولا

(١) مما يدل باجلى بيان على ضرر استخدام الاوربيات مربيات للاولاد . اني اعرف صديقاً لي كنت معه يوماً نتنزه في حديقة الازبكية فاوقفتني احدى الافرنجيات ومعها جملة اولاد وبنات صغار وقالت له "الا تعرفني فقال كلاً" فاجابته تأمل في "جيدا فلما لم يعرفها قالت له "كيف تنساني وانا التي كنت في "البار" الفلاني وكنت تتردد عندي ليلاً فاستغرب ذلك منها خصوصاً لما رأى الاولاد الذين معها فسألها عن حقيقة حالها فقالت بعد ان استخلفتها بكتمان امرها انها الآن في سراي الباشا بصفة مربية للاولاد ووكيلة في السراي وصاحبة الامر والذهي في جميع تصرفات السراي جميعها وعمار السراي وخراجها متوقف عليها . ثم ودعها والتفت الي "فائلاً تأمل فان مثل هذه المرأة يعلمن اولاد وبنات الذوات على المبادئ التي يعرفنها فتتفست الصعداء متألماً متوجعاً على هذه الحالة المحزنة

اقدماء عليه ولكن اتى لها ان يفقها وهما بعيدان عن معرفة ما يرجحه العقل من ان الحب يتوارث والبغض يتوارث . ولذا ترى الاولاد يشبون على كره الواحد للآخر والشواهد عديدة يعلمها الكل ومن شاء معرفتها فلينظر لاختين ريتا على ما تقدم وتزوجنا وهما لا تزور احدهما الاخرى . لا شك انه عند معرفة ذلك يقول قد صح الحكم واتضحت الاسباب وصدقت الآية الكريمة " الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين " نسمع باذاننا ان بعض الاخوة تمر عليهم الايام وتكر عليهم السنون وهم لا يتذكرون انه يجب عليهم السؤال عن بعضهم . هذا امر نشاهده او نسمع به وهو حاصل بين اولاد ذواتنا حاصل بالاختص بين بناتهم وذلك غير ما كانت عليه بنات ذواتنا قديماً ولدينا كتب السير تقرأها زاهن على جانب عظيم من المودة الخالصة والوفاء الحميد . لا شك اننا فقدنا منهم ما كان معروفاً فيهم قبلاً ولا ندري الى اي طريق يصلون ولا ندري تعليل هذا الجفاء في زمن اصبحنا فيه بعيدي الدار بعيدي المحبة والائتلاف

أدب الاولاد الآن ناشئ من الخوف ناشئ من استبداد الاباء والامهات عليهم وليس هو الادب الذي كان معروفاً عنهم قبلاً الناشئ عن الفهم والعلم والمعرفة الحقة او المكتسبة من الدرس والمطالعة والتعليم ولذا نرى كثيراً من اولاد اغنيائنا في حضرة ابائهم وامهاتهم يظهرون ادباً وبالاختص امام الزائرين . اما في حالة وجودهم في البيت على افراد فمدار عماهم كل ما يخالف الحشمة ويضاد الادب وذلك مع الخدم والجواري ولهذا المعاملة السيئة تكثره الخدم خدمة الاسلام وتنفر عنها ويفضلون الخدمة عند الطوائف الاخرى لان اولادهم اعلى ادباً وافر كمالاً ياأمرون بالمعروف الذي كان فينا وبالاحسان الذي كان يعرف قديماً عنا . والآن نخذ لذلك مثلاً خادم او خادمة في منزل رجل غني مسلم قائم

بواجبات شوؤونهما كما يجب . سواء كانت من نظافة او طبخة او غيرها فاذا لم يطعها حالاً ما يؤمر به ولو كان من غير عملها المخصصين له . يجدون من انواع السباب والاهانة ما يغيب منهما الرشد ويبعد عنهما الصواب . والسبب سوء خلق اهل البيت من ولد و بنت وزوج وزوجة ولا يمكننا وصف حالتهم بدون تذكير القارىء بما اصبحت عليه الغنيات من خشونة الطبع وسوء الخلق في معاملة خدامهن . بيد انه يوجد منهن عدد عديد لا يدركن معنى الحياة فلذا تراهن ياثن الخدم ويعاملنهم معاملة حسنة مقابل جعلهم مستودعاً للاضرار . حتى بلغ البعض من جراء ذلك لدرجة كثيراً ما يتأتى منها الضرر ولو شئت معرفة تأثير اخلاق الامهات في الابناء والخدم فانظر للحربة التي خلقت للانسان منذ خلقته ووهبها له الله ليعمل بها العمل الطيب البار النافع . وتأمل اشراطها وهو احترام حقوق الغير وعدم تعدي الناموس الادبي والذي عرفها العاقلون ولم يعرفها الجاهلون امثال امهات و اباء اولاد الاغنياء مناجد الحرية بينهم تجر الاضرار والاذى . لانها حرية مظلمة تربي في النفوس الرذيلة وتربي المفساد والتبائح . تجدها فيهم وباللاسف حرية مفسدة للاخلاق والترية واليك مثالا

تخرج الام من خدرها وتبرز من بهوها الجالسة فيه اغلب ايامها بدون عمل وبعد ان لتأتى بقدر من الرياش والترف وما يتبع ذلك تذهب لزيارة صديقة او لزيارة مقام فتلون نفسها بكثير من انواع مذمومات الخلق والشرثم ترجع الى منزلها فتحدث بما رأت وما سمعت من قول واشارة فتفسد الام بقولها هذا ما عندها من الابناء وتجرب الضرر من حيث لا تدري وكم من ام تود الربح فتقع في الخسارة وناهيك عن يتردد الى البيوت من اسافل القوم ورعاع الجماعة من عجوز وصبي وما شاكلها . اذ بهذه الحالة ثبتت المفساد وتربوا الاخلاق السافلة في الابناء

فضلاً عن تأثير اخلاق الخدم من مذمومات الخلق الذي يدربون عليه الاولاد وهم صغار لا يعقلون اذ لو اردنا البحث في تأثير الخلق من الخدم لرأينا ان الموكول بالاولاد منهم الاغوات الذين لا يفقهون الصالح من الطالح. حتى ولو اطالت الاولاد السننهم ورفعوا ايديهم لا ينتبهون ان عملهم هذا خطأ في حق الاولاد اذ ترتقي مع الولد قلة الادب و فقدان التربية ما ارتقي في السن ان لم يكن له رادع صيما والانسان بعيد عن الكمال محب للرديلة

كثيراً ما يأمرهم الخدم بكل قبيح ويعلمونهم السرقة من الاباء والامهات وكثيراً ما يعطى الاولاد دراهم لا لزوم لها فيصرفونها على شرب السجائر وهم صغار او تعاطي مواد اخرى مضرّة بالصحة . والمعلم والمتمه لكل هذه الامور الخدم والحواتي ومن العاجبه تعرف درجة انحطاطهم فمن يماثلهم في السن من الطوائف الاخرى . ولا يخفى على المتأمل في حقائقهم سوء العواقب الوخيمة وسوء المنبة والمآب فاحكم بعد ما تقدم بما وصلوا اليه وما سيصلون في زمن تربية المدرسة والتعليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

تعليم اولاد الاغنياء

قال الامام العراقي رضي الله عنه "الصبي ودبعة عند والده"

اعناد الاغنياء منا تعام اولادهم في ثلاث مدارس . المدرسة الاولى هي المدرسة المخصصة التي يأتي اليها المعلم في البيت والثانية والثالثة المدارس الاميرية والاجنبية . اما الاولى فهي مكونة من معلم شيخ او غيره وتلميذ او اكثر يعطون حصّة او حصصاً في النهار . واما الثانية والثالثة فامرهما معلوم وسيأتي الكلام

عليها . والمدرسة المخصوصة هي كما تقدم يأتي اليها المعلم ولا يذهب اليها التلميذ للتعليم . مدار التعليم فيها المبادئ الاولية من قراءة وكتابة بسيطة لا تكفي لتعليم الناشئين تماماً اذ لا يكون التلميذ امام معلمه وهو في بيته الا كمثل من يضيف زائراً فيقدم له الاحترام ما مكن . وليس من وجود لطاعة او سماع لاشارة ولا للربيع من سلطان ما دام في نفس المعلم لشخص المتعلم واحترام ورهبة اكثر مما في نفس المتعلم اذ ليس في نفسه اتقياد واذعان لما يؤمر به من معلمه ولا يمكن ان يتحصل التلميذ بهذه الكيفية على فائدة تقني او توهم الطالب الى وسائل النجاح حتبما ذكر والاوليك بيان كيف تنقضي ساعة الدرس في تلك المدارس المخصوصة بين المعلم والمتعلم . اذا حضر المعلم نودي التلميذ من بين الخدم او الحرم فاذا جاء وقابل معلمه واهدى اليه السلام جالس بين يديه يتلوه درسه برهة ويقص عليه ما جرى بينه وبين خدمه برهة اخرى ثم يكتب دقيقة ويتكلم معه بضع دقائق في شأن ما عزم عليه ابوه من شراء خيول ونجهيز عربات حتى اذا ازف الوقت وانتهت ساعة الدرس (وهي تنتهي بلا درس) قام المعلم مودعاً وقام التلميذ ضاحكاً ولعب مولعاً مشتاقاً وليس من اب ينبه على المعلم بالاعتناء بالتعليم او يلاحظ ما يستفيدة ولده من معلمه حتى يرى اذا كان اترهدا التعليم صالحاً مفيداً مهندياً لابيه ومفدياً لعقله ومقويماً لفهمه اولا . كل هذا لا يلتفت اليه بالنسبة للولد المتعلم بل يترك وشأنه لذلك المعلم ولا مرشد للابن بين له تمرته في الصغر عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم - لان يودب احدكم ابنه خيراً له من ان يتصدق بصاع طعام^(١) وهذا عكس ما كان عليه الاعتياء من قبل عند ما كانوا يوصون معلمي اولادهم

(١) حكاية ابن ابي حمزة في شرح البخاري

ومؤدبهم بقولهم^(١) "ليكن اول اصلاحك بني" اصلاحك لنفسك فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ما فعلت والقبيح ما تركت . علمهم الدين ولا تمهلهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه وروثهم من الشعر أعفه ومن الكلام اشرفه ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم . تهددهم بي وادهم دوني وكن كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم معارضة السفهاء وردهم سير الحكماء هكذا كان يأمر الاباء بتعليم الابناء وبهذا نشأ السلف الصالح على نشأته الاولى من ادب وكمال ولكن الآن قد بعد عن ذلك المعلمون الخصوصيون والاباء واصبحت ساعات تعليمهم في مدارسهم الخصوصية ساعات فكاهات وهو واعب من قص حكايات وتجاوز مناقشات تبعد الدواء وتجلب الادواء وتجرب تعليم السفه وقلة الاكتراث بالعلم حتى اذا عكف المعلم والمتعلم حيناً من الزمن خرج الولد من بين يدي المعلم سفياً قليل الادب والتهذيب . ثم اذا شاهد الاب عدم نجاح الابن سعى جهده وأخذ بطوق ابنه الى المدرسة وبذل ماي وسعه لادخاله فيها فاذا دخل الابن وتم له القبول كان رفيقاً لاولاد صغار على كبره في السن هم الاعلى وهو الادنى . ولذا ترى أغلب اولاد اغنيائنا زملاء لاولاد صغار في المدارس كماهم يتعلمون ويكدهون نحو التقدم . الا هم فانهم يتأخرون ويتقاعدون عن التقدم في التعليم فضلاً عن اتيانهم صباحاً متأخرين عن ميعاد المدرسة مجيدي قوي تقولهم صباحاً للاحتياجات التي يقدهونها كل يوم للاساتذة مع ان لهم الركائب والخدم والوسائل التي تسرع بحضورهم الى المدرسة وهنا يتبين لنا شي غامض في زمن المدرسة الا وهو الخطا

(١) قول عمر بن عبد بن ابي سفيان يوصي مؤدب ولده به

اولاد الاغنياء وارتفاع اولاد الفقراء والفضل لسوء تربية الاولين في الترف
والنعيم والدلال . ولحسن تربية الآخرين منذ الصغر على المناضلة والتنازع لمعاركة
ما هم فيه من الانحطاط والفقرة فينمو في الاولين البطالة والكسل وفي الآخرين
الاجتهاد وحب العمل . ومن شب على شيء شاب عليه . لا شك بعد هذا اذا نظرنا
الى مستقبلهم في التعليم فانا نراهم مقصرين الا في اللعب والعريضة ولذا ترى سيرهم
وسلوكلهم مع الاولاد الآخرين شيئاً للغاية فتراهم عديي المحبة لآخوانهم في
اللمذة كيري النفوس والحمد والبغضاء عليهم ثم السنة المدرسية وهم لا يحون غير
شاعرين واذا جاء زمن الامتحان قصروا واذا قصروا رقتوا من سلك المدرسة
وقبل رقتهم يتعللون كل يوم لآبائهم بسوء التعليم وقلة الانتباه وكثيراً ما
تلقى حيلهم هذه اذناً صاغية فيخرجهم الاباء من المدرسة قبيل زمن الامتحان
ويدخلونهم الى مدرسة أخرى وهكذا حتى ان كثيرين منهم قد يطوفون على
جميع المدارس ثم يدخلون المدارس الاجنبية وهذه كما لا يخفى كثيرة العدد
كثيرة الوجود قل ان يخلو منها حي غير ان هذه المدارس لها مشارب واغراض
لا توافق من كان مثلنا يرجو النفع الحقيقي ويؤمل الغاية الصحيحة من التعليم والآن
فكل مدرسة من هذه المدارس عاملة على نشر لغة قومها . قائمة على بث مبادئ
اصحابها فمثلاً مدارس الجزويت والفرير تجتهد في تعليم اللغة الافرنسية والعربية
الا ان للاولى العناية الحقيقية ولثانية العناية الوقتية فضلاً عن بث مبادئ الديانة
المسيحية للتلامذة سواء كانوا مسلمين او مسيحيين من عقيدة تخالف عقيدتهم اذ
الكل مكفون ساعة الصلاة بالركوع ورسم الصليب . وتلاوة الصلاة بالخشوع
التي كثيراً ما يكون التلميذ المسلم عارفاً بدين اصحاب مدرسته اكثر من دين اهله

وقومهم فضلاً عما يرمي اليه اصحاب هذه المدارس من الاغراض التي اصبحت غير خافية على احد والتي نرجو من جميع مدارسنا التمسك بمثل هذه المبادئ . غير اننا نقول ان مدارس المرسلين الاميريكاني هي احسن كل هذه المدارس تعليمياً وادبياً وتربوية وصحة مبادئه وتقوم اخلاق . غير ان اساس تعليمها ايضاً مبني على تعليم الديانة البروتستانتية ونشرها بين الناس من مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم وهي ايضاً لا يرجى منها لنا نفع في تعليمنا وتقومنا الا اذا كان تعليمها للدين ممنوع المسلم مباح المسيحي . ومن الاسف ان نرى جميع اولاد ذواتنا في هذه المدارس يتعلمون ومنها يخرجون فاذا كان ذلك كذلك فلنبحث عن سلوكهم مع التلامذة وعن درجة تقدمهم . اما عن سلوكهم في هذه المدارس فسلوكه حسن نوعاً ما عما يكونون في المدارس الاميرية . غير انهم لا يزالون يعتبرون انفسهم انهم اعلى ممن يقارنهم من التلامذة ولو كانوا في الحقيقة أدنى منهم في الدرس والتعليم اهل اعب وباطالة وعريضة ودعارة اكثر منهم سفها وادعاء وخيلاء فضلاً عن كثرة انقطاعهم وحبابهم وقل منهم من يعتني بفهم الدرس كرملائه فلذا لا يصحب احدهم باخر الا اذا كان اعلى منه فهماً وعقلاً . تراهم مقعرين في الدروس النافعة مجتهدين في ما يجر الى الانحطاط عقلاً وادباً . ولدنا شواهد حالهم في المدارس اذ هم معتادون ان يكتبوا كل شيء وان يقرأوا كل رذيل^(١) ولذا تراهم قد اعتادوا

(١) يكثر بين اولاد الاغنياء وهم في المدرسة قراءة قصص الافرنج وتضييع اوقاتهم في مطامنة الروايات السافلة وغيرها من كتب الخلالة والهديان عربية كانت او افرنجية بخلاف اولاد الطوائف الاخرى فان الاباء يهدون الابناء في الاعياد الكتب التي تفيدهم وتحثهم على الافادة

قال "المقتطف" الاغر عن هذه الكتب . ان هذه الكتب تؤلف لهذه الغاية وتقصده

الكتابة لبعضهم من امثال ما ذكر جملاً والفاظاً سافلة يحمر منها وجه الادب حياة
 وخجلاً واكثر ما يقع منهم هذا في وقت المدرسة او في وقت المساعدة اذ منهم
 كثيرون يكتبون على ابواب بيوت بعضهم ما يدل صراحة على درجة براعتهم في
 النقائص والمعائب واني اعرف حادثة جرت بين ولدين من اولاد الاغنياء سببها
 وارجحاً ولكنها كبرت معهم حتى قام كل منهما وطبع في حق الآخر كراساً حشوه
 البذاءة وقلة الحياء وقد وزع كل منها على اخوانه ومعارفه تلك الكراسة عجائزاً
 ولم يتركها طريقة لزيادة انتشارها الاطرقاها حتى انهما ادرجاها في جزئية من
 الجرائد السافلة . هذا هو سلوكهم مع اخوانهم في التعليم فتأمل . اما سلوكهم مع
 الاساتذة فسلوك رياء مصطنع واحترام يقدمونه للاساتذة ما داموا في المدرسة
 اما خارجها فلا يوجد ثمة احترام . ويستكفون التسليم عليهم لئلا يظن
 الناس اذا سلم احدهم عليهم انه تلميذ يحترم استاذة ولا يخفى على القاريء فعل ابناء
 الاغنياء وعملهم في مدرستي الطب والحقوق سنة ٩٢ وسنة ٩٦ وعدم اطاعتهم
 معلمهم واساتذتهم

اذا مرت السنون ووصل احدهم لنهاية الفصول من المدرسة يقدم بغير روية
 امتحان امام نظارة المعارف فيسقط امام الامتحان ويعززون سبب سقوطه لقلة اهتمام
 معلمه به ثم اذا مكث سنة أخرى اما ان يستأجر من يقدم نيابة عنه باسمه لاخذ

بها الفائدة وحدها او الفائدة والفكاهة فلا يكاد الولد يبلغ العاشرة من عمره حتى يصير عنده
 مكتبة صغيرة فيها من نخبة الكتب التي يستدير بها عقله وتوسع معارفه حتى يسير في هذه
 الدنيا على هدى ولا يخبط فيها خبط عشواء . ثم قال "المقتطف" وكما تهدي اليه الكتب
 تهدي اليه الجرائد العلمية والادبية فيشارك باسمه فيرى نفسه مشاركاً لاهل العلم والادب في
 حديثه ويبدل جهده ليقوم بحق هذه المشاركة اه

الشهادة^(١) او يترك المدرسة معتقدا بانها لا تصلح له ولا يصلح لها حيث قد وصل الى سن الرجولية وعار عليه البقاء في سلك التلمذة لحين اتمام الدروس الانتهاية وما دام انه رأى اصغر منه سناً قد خرج منها ظافراً بشهادته وارتد هو عنها خاسراً وهنا لا ندري كيف يكون انا قوام في هؤلاء الابناء وهم لم يحصلوا على شيء من العلم يكسبهم صفات الرجولية الحقيقية ويجعلهم اهلاً لما اذا دخلوا في دور تربية المرء نفسه بنفسه اي ان يمرن المرء نفسه بالممارسة في ميدان هذه الحياة ومعرفة مشاؤونها لا تنك بعد ما تقدم ان نظرنا للمستقبل نظرة عمومية وارتد بنا البصر حاسراً ووقف القاب حائراً واللسان ممسكاً عن المقال ولكن لا بأس من ذكر ما قد اصبحوا عايبه فيما يلي حتى نعلم سر انحطاطهم وتأخرهم والله مقيم العباد فيما اراد

تعليم بنات الاغنياء

البنات في العائلة مدعاة لمعرفة ما اذا كانت تلك العائلة في درجة من النجاح في هذه الحياة ام لا . وجلي ان بجمية العائلة حياة الامة . اذ الامة انما هي مجموع عائلات ليس الأ ولدا من اراد استطلاع كنه احدى العائلات ايعلم درجة تقدمها في النجاح والفلاح فعليه ان يعم بصيرته في الفحص والتنقيب عن أدب وتعليم البنات في تلك العائلة . فان وجدت اديباً وانهى التعليم ليس بمفقود علم ان حياة هذه العائلة حقيقية وعيشها رغيد غير مشوب بالاوهام والشبهات . وان الامة التي تكون من هذه العائلات هي متقدمة دون ريب والعبارة ليست بكثرة الافراد في

(١) لا ينسى القارئ ذنبك الاتيين من اولاد النسوات اللذين زورا الامتحان امام لجنة الامتحان تم حكمت عليهم بالمحاكمة بالسجن ثمانية عشر شهراً

العائلة بل بعدد المتعلمين فيها من البنين والبنات اذ مها بلغت كثرتها فهي لعدم التعليم اصغر في نظر العاقل من عائلة صغيرة افرادها متعلمون . انظر في تاريخ نشأة الاسلام الاولى تجد العائلات وقتئذ متقدمة تقدماً عظيماً حتى انك لترى بينها كثيراً من الكاتبات الاديبات والعلمات البليغات . تعلم ذلك اذا رجعت الى الاطلاع على تمدن القرن الاول حتى السادس من الهجرة زمن انتشار المعارف والآداب التي تقصر عن تحصيلها بنات عائلات الاميريكان والانجليز والامم المعاصرة لنا . ونحن نفتخر بفضل كان فيهم لافينا وهم لو تكلموا وخرجوا من ماجدهاتهم لقالوا لنا بلسان عربي فصيح "هذه محاسننا فان محاسنكم اعلموا مثلما كنا نعمل واقفوا آثارنا والآفحن براءة منكم" لا ريب في اننا فقدنا في تعليم البنات والبنين كل شيء وتشببت منا الحمم الموروثة عنهم وغابت عنا تلك العزائم التي كانت تشاهد منهم . ورب سائل يقول - كيف تعلم البنات في تلك الاعصر الحالية حتى اصبحن على نحو ما نقول - وجوابنا انه كان لهن مجتمعات عامرة وكانت بهن عناية وافرة واهتمام زائد ناشئ عن الاحساس بما يثمره تعليمهن وتهذيبهن ولذا خرج منهن عالمات فاضلات يشتهن روح التعليم في بنات جنسهن وفي الرجال . وبلغن في الفنون والصنائع والتأليف والتصنيف والاشعار البديعة شأواً عظيماً وغاية ليس وراءها غاية . ولذا كانت الواحدة منهن عالمة فاضلة . اما الآن فلا مدارس للبنات يتعلمن بها كما كان لهن من ذي قبل ولا عناية بامرهن ولا اهتمام مطلقاً ولذا تراهن على ضد ما كنن عليه بنات جنسهن في الزمن الغابر . كيف لا وهن قد اصبحن يتباهين الآن بما عليهن من الحلي وما عندهن من الملابس وكل واحدة منهن تفاخر اقرانها بواسع نعمها وثروتها لا بعلمها واطلاعها ولو علمن لكن يفخرن بحسن المبادئ والعلم والادب ولكن يخجلن مما هن عليه الآن . اذ البنات

لو تعلمت لكنت كثر فوائد لا يقنى على كروز الايام بل كلما ازدادت في فهم العلوم
ازدادت المادة وغزرت كالبر بكثرفيها الماء اذا نرحت وتنضب اذا تركت
لشأنها بل وتفسد. وكانت لاطفالها بعد زواجها هادياً ومرياً صالحاً. ونعم ما قالت
احدى السيدات الفاضلات في هذا الصدد ونصه^(١) "ولو اراد النساء ان
يقصرن على الالم من مطالبهن لقلن لرجلهن انما نطلب منكم ان تهتموا بتعليم بناتنا
كما تهتمون بتعليم بنينا ولا نطلب فوق ذلك لان الابنة المتعلمة تعرف مقامها في
الهيئة الاجتماعية"

والبنات المتعلمت ربحانة النفوس وتفاحة القلوب ومخففات هموم الرجال اذ
لا خايل اوفى ودأ من امرأة متعلمة مهذبة ولا اعطف قلباً وارق فواداً من امرأة
تعني بعيالها وترهم على حب الفضيلة والتقوى. ومما روي ان قطر الندى بنت احمد
ابن طونون لما زفت الى المعتضد بالله شغف بها فوضع رأسه في حجرها فنام فتلطفت
في ازالة رأسه عن حجرها ووسدته وخرجت من البيت فلما استيقظ ذعر وبادها
فاجابته من مكان قريب منه فقال اسلمت نفسي اليك فذهبت عني فقالت لم
ازل كائنة لامير المؤمنين قال فما اخرجك من البيت قالت ان مما ادبني به ابي
اني لا اجاس مع النيام ولا اناام مع الجلوس. على هذه الحالة من الادب كانت
بنات ونساء الاغنياء من قبلنا ولذا ارتقت بينهم العائلات وسعدت منهم الافراد
وقويت بين الامة حتى اذا اراد احد معرفة الامة وحياتها وسبقها في ميدان
الحضارة والتقدم فعليه بالاستعلام عن درجة نساءها في العلوم

وانا نوبحثنا الآن عن مدارس البنات بيننا لما وجدنا سوى المدارس
المختصة بتعليم بنات المسيحيين والتي فيها التعليم موكول الى نساء من الاجانب

(١) قول لخصرة مدام صروف انظر المقتطف سنة ١٤

لا يدركن كنه حاجة البنات المسلمات وما يلزمهن^(١) من المبادي^(٢) اذ البنت المسلمة ولو كانت في سن السادسة او السابعة ليست على استعداد يوازي استعداد ما للبنت المسيحية منذ الصغر من التهذيب وطاعة المهذبين واحترام المعلمات وتتميم الواجبات . اذ مما سبقنا فيه نساء المسيحيين هو تعليم بناتهم احترام الحق واحترام التهذيب منذ زمن الطفولية بخلاف بناتنا اللواتي يتربين على ضد ما ذكر تماماً . تأمل طبقة بنات الاغنياء تجد فيهن اموراً مدهشة كلها ناطقة بلسان فصيح على بعد ما بيننا وبينهم والسبب في ذلك جهل الام وسقم فهم المربيات . -

نعم نرى بناتنا وهن ذاهبات الى مدارسهن صباحاً بلباس ايض ناصع حتى لتخاله منظر ابرار وهيئة ملائكة طهر وترى زرافاتهم كطيور الجنة . ولكن عقولهن وآدابهن التي نشأت عليها احط قدرًا واخس هيئة وتقصيرهن امام الطوائف الاخرى منذر لنا بسوء الطالع وعظم المصيبة . تأمل عظم البعد في الادب بين بنت منا وبنت من طائفة اخرى تربونا شاسعاً وفرقاً بعيداً . وياحبذا تعليمهن لو تم على ما نود ونرغب . لكننا نراهن لا يتعلمن في مدارس الاجانب سوى فن البيانو واللغات الاجنبية من فرساوية او انجليزية . اما لغتھن العربية فلا يصلن اليها ولا يتلقينها في هاتيك المدارس . ولو شئنا معرفة مستقبلهن لحارمنا العقل وانذهل .

كيف والحاضر عنوان المستقبل وهو مؤذن بالجهل التام في العلم والدين واطاعة الاقارب واحترام الزوج على حسب ما تقتضيه الشريعة المحمدية . فهل يرضى بذلك المسلمون وهل لا يزالون يقولون "سود المهاجر لا يقرآن بالسور" او وهم الاغنياء منا حتى انهم لا يدركون معنى تعليم البنت ولا يفقهون ما يلزم لها وينبغي

(١) يلزم لمن علم حقيقة الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وولده واهله وخدمه

ان تكون عليه حتى تكون بناتهم غنيات بعقولهن وتربيتهن يجمعن الى وافر الثروة
جودة العقل وطهارة الدين

اولاد الاغنياء واللغة العربية

يكفي التعريف عن ترف اللغة العربية انها لغة الدين والقرآن والحديث
التشريف وقد كان قديما لا غنيا تتاولع كبير بالاعتناء بها وتحصياها . وقل من كان
ليس له الملم بها ومعرفة بفروعها اذ كانوا يتنافسون بجمع كتبها سواء كانت خطية
او مطبوعة . وكنت اذا نزات عند احدكم ترى عنده مكتبة كبيرة جامعة للكتب
العامة والتاريخية والادبية التي بعضها مما يندر وجوده الآن . اما في وقتنا الحاضر
فقد ضاع كل ذلك الا من عدد قليل يعد على الاصابع . شأن كل نافع كان لما
وفقداه باهالا . فقد اصبحنا نرى الآن تطرف الحال في التكلم والتعبير بالعربية
ويغنيك شاهداً الآن عندما نتكلم مع احدكم بالعربية الفصحى . فانك تراه لا يدرك
معنى اللغة فضلا عن دس كلمة او كلمتين من لغة الغير بين كل جملة وأخرى إما
بالفرنساوية او بالانجليزية حتى ان اللغة العامية المصرية نفسها قد حرفوها عن
مواضعها وتمازوا فيها الى من اخلط معهم من الاجانب غير المتعلمين مثل قولهم
(امسكتوا من واحد دكان ابدل ستريت من دكان وهكذا قد استلخنا عن كل شيء
حتى لا يبقى لنا ما يمكن ان ينسب اينا او سبب له مما يعده الناس تينا . ومنها من
اذا تكلمت معه يقصر تعبيره عن فكره فيقول معنى ذلك باللغة الافرنجية مثل قوله
لا توأخذني فاني اليوم تأخرت عنك لانه كان بيني وبين آخر اريدقوا او
متكرا مرسي) ولا مواحدة (بردون) وان نهدت احدكم الى ذلك عند روهز

بكتفيه مستهزئاً وهو يقول لا ادرى اللفظة التي بها اؤدي المعنى الذي اريده
بالعربية كأنه ليس من ابنائها. ومن الغريب ان الاجانب عن اللغة قد تعلموها واصبحوا
وهم يكلونك ويكاتبونك بها. اما ابناؤ العرب الاغنياء فقد هجروها ولم يتعلموها ولذا
هم يستعينون في التعبير عن اغراضهم بلغة الغير^(١) نعم ان الذي جر الى ذلك ملكة
اللسان الافرنكي منهم اذ لا يخفى ما للمكات اللغة في اللسان من التأثير العظيم
وجاب الخلل على لغة الاصل ولكن لو كان هؤلاء اعناء بتعلم لغتهم ما فسدت
اللغة معهم او لو كثرت مطالعتهم لكتب الاجادة في اللغة بدلاً عن كتب الهزل
والسخرية لارتقت معهم. اما وهم على ما تعلم لا يقرأون الا كتب الهذيان والسفه
وجرائد اللغة الدارحة^(٢) فلا عذر لمعترض عليهم. تأمل ما اصبحوا عليه تراهم
يقصون عليك ذكر ما كتب في السفه والاقتراف والغزل والشجن. فضلاً عن
كثرة مخالطتهم للغريب في المهارشة والمداعبة التي افسدت عليهم صيتهم وسمعتهم
كما ضيقت عليهم لغتهم عدا عن ضياع الثقة منهم في الكتب والجرائد النافعة.
ومن الاسف ان اكثر من يحرر هذه الوريقات السافلة المسببة اضياع لغة الدين
لغة القرآن والحديث الشريف هم من المسلمين. اولا يعلون انهم يهدمون في قبة
مجددهم يعاول من سنتهم وأيديهم. واكثر القراء في هذه الجرائد هم من المسلمين
واولادهم وهي تصدر في احيائهم وتباع في الاكثر بين ظهرائهم ويأتي بها الاب

(١) حدثني صديقي ان ابن احد الاغنياء استعار كتاب "تحرير المرأة" من آخروما
قرأه ولم يدرك له معنى قال لا شك ان قامم بك امين مؤلف هذا الكتاب قصده سيء
وغرضه التضليل بلغتنا والدليل اني كنت اقرأ كتابه ولم افهم له معنى

(٢) ظهر من تقرير البوسنة سنة ١٩٠٠ ان من هذه الجرائد ١٧ جريدة كلها تنشر
باللغة الدارحة ولو لم تكن غير جريدة تطبع كل اسبوع ما يقرب من الاربعة آلاف

ويستدعي لديه الابن ويرجوه ان يقرأها على مسامعه حتى اذا تم الابن قراءته
يمدحها للابن قائلاً "لله در منشئها فانه يقول الصدق والحق في قالب تفهمه
الخاصة والعامه" ولا يبعد عليه القسم لو اراد تفضيلها . اما الجرائد العربية الفصيحة
فلا يقرأونها الا اذا كان لهم فيها امر يهم من اعلان او مسألة خصوصية . وقد
سرى تغلب الافرنج بين اولاد الاغنياء في الاحكام والمتاجرة والصنائع والحرف
حتى ان شدة اختلاطهم بهم افسدت عليهم لغتهم وكادت تذهبها من بينهم قطعياً
فاذا كنا لا نزرع في قلوب ابنائنا في صغرهم محبة الوطن واللغة ولا نرضعهم
لبان الشهامة وحب التقدم فمن اين لنا ان نسابق الفرنجة في اعمالهم او نضارعهم
في صناعاتهم او نجاريهم في معتزعاتهم ونكون قدوة لغيرنا كل هذا يجب على
الاباء الانتباه اليه والعمل به . والآن اصبحنا يوماً ما ونحن بلاد دين ولا لغة وهذه
شر الميئات الاديبة فالتناصر اذاً على منع كل ما من شأنه جرد الويل والضرر علينا
وعلى اوطاننا قبل ان نتكهن بد الضلالة منا فنندم حين لا ينفع الندم ويصبح
المقتدي بنا أطف منا في فقد اللغة مكياً . وأخف في حفظ كيانها مثقالاً والله
على كل شيء رقيب

دين اولاد الاغنياء

انه وان كان يظهر أثر الدين جيداً على وجود اهل البادية او المتدينين
المتقنين من الحضرة المتجافين من الملاذ وفي معاملاتهم غنيهم وفقيرهم بالنسبة
تتمسكهم بالدين وجريهم على سننه واوامره الا انه يكون اكثر واجمل ظهوراً لو
وجد في اهل المدن وخصوصاً الاغنياء منهم الذين هم في رغد من العيش وبسطة

من الرزق . لانه يظهره على وجوههم تكون مملوءة بالبشر وفي احوالهم تكون انفسهم بحالة انبساط وارتياح . ومن هاتين الحالتين المصاحبتين يكتسي المرء ذلك الاثر ثوب كمال وجلال هو عز الدين ولطفه وكماله واقتداره فله اولئك الاغنياء الذين يظهرون بهذه الصورة ولكن اين هم

اني لألفت عيني حين افتمها على كثير ولكن لا ارى احدا

نعم لا نرى غنيا وعليه اثر من هذا الاثر فان الاغنياء بعد ان نطرح من جملتهم اولئك الذين لا يبالون بدنيا او آخرة بحياة طيبة مستقيمة او رديئة وخيمة فان الباقيين منهم دينهم المال يأتمرون باوامره وينتهون بنواهيهِ . واني وان كنت التمس لهم عذرا وذلك من وجه ان المدينة الحاضرة الملقاة بذورها بينهم تبنت مثل هذه العواطف الا اني ارجع عليهم باشد اللوم من جهة قبولهم منها ما يجرح الدين في جوهرات قواعده مثل اكلهم المال سحتا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل . او كنت ارحمهم لتفشي الجهل بينهم فاني اثني عليهم بالتأنيب لانهم لا يعملون على ازالته بل قد يهدون له طرق التوطن بينهم بمثل الابتعاد عن مواقف التعاون والتخلف عن مواطن التعليم والتنوير . والبخل في الاتحاد على انشاء المدارس الاهلية التي تربي ابناءهم الترية القومية الدينية الصحيحة حتى جر عليهم الجهل بكل هذه الولايات خرابا في دينهم ومواتا في قلوبهم واتساعا في ذمهم فاصبحوا والقسم الكاذب عندهم من ابسط الامور . مع ان حال الاسلام قديما نبينا انه لم يكن ليقدم انسان على حلف يمين وان اقدم جعله تحت شرط عملا بقول المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم - من كان حالفا فليقل ان شاء الله فانه يدفع الحنث ويذهب الخبث وينجز الحاجة - اما الان فالمشاهد بين اغلب اغنيائنا المسلمين قلة الدين وكثرة الحلف لاقل مناسبة .

وقد يخلقون على الله الكذب وهم يعلمون ولو كانت اليمين الكاذبة أقيح من اليمين الفاجرة . او لو كان مع الكذب الاستهانة باليمين اذا كانت حقة فكيف بالباطلة ولو كانت الاعراض الدنيوية او خم امراً وأخس قدرأ من ان يفرع فيها الى يمين الله كل ذلك اصبح مشهوراً عن اغنيائنا الحاضرين واولادهم " الا البعض منهم " حتى ان المرء لتأخذ هزة عند فكره فيما اذا كان هؤلاء كفاراً او مسلمين . فان الدين يعلمهم بقوله - (ولا تجعلوا الله عرضة لابنائكم) - الآية - ولكن انى لهم معرفة ذلك وهم غير متعلمين - الدين يعلمهم - ولا تشتروا باياتي ثمناً قليلاً - ولكن انى لهم المعرفة وهم يستنكفون عن المخالطة باهل الدين . لو كان في هؤلاء دين صحيح لرغبوا عن الحق المحقوت لاقبل سبب اذ الدين هو الذي يأمر بمكارم الاخلاق ويعلمهم بقوله - (والكاشمين العيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) - ولكن انى لهم ذلك وقل منهم من يكون طيب الملقى هادىء الطبع كما اشتهر ذلك عن اجداده

لقد كانت عوائد آباءهم واجدادهم التأهيل والاحنفاء بشيخ القرآن المرتب للقراءة في البيت صباحاً وقد كان هؤلاء فاعات مخصوصة يقرأون فيها جالسين اما الآن فاصبحنا نرى بعضهم " الا اقليل منهم " يتركت الفقهاء يقرأون بجانب غرفة البواب او في غرف الخدم كأن هؤلاء الخدم مسلمين وصاحب الدار ليس بمسلم . اما الحقيقة فهي انهم لا يودون ازعاج خاطرهم على زعمهم بكلام الله تعالى في رقدة الصبح انى هي لديهم بعد طول السهر اشقى شيء في الوجود . ولكن لا تظن ان نومهم استماع وانصات عملاً بالآيد - واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون - بل هو سهو مستطيل هذه عادتهم يجرون عليها الآن ولم تكن فيهم من قبل وهي تسوننا ان نذكرها ولكنها الحاضر المشاهد فكيف لا نذكره ونشهره واذا

استقرينا هذا الحاضر نقيس عليه المستقبل الخيف بشروره وكثرة محارمه . ولقد افطر الاغنياء واولادهم الآن في شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ولا يذكرها احدهم الا في وقت الموت اوربها نسيها وغفل عنها في حياته وعند مماته وهي اولى الفرائض الاسلامية فهل من مدكر

تهاون الاغنياء واولادهم بالصلاة فلم يؤدوها حقها وان ادوها فلا يؤدونها باركانها وضيعها الكبير منهم والصغير "الأقليل" وهي المفروضة على المؤمنين كتاباً موقوتاً وثانية الاركان المبني عليها الاسلام

تهاون الاغنياء واولادهم في اداء الزكاة الى الفقراء والمساكين وتناسوا الآية والاصناف الثمانية المذكورة فيها — انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل — وعملوا بضد قوله تعالى — خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكاهم بها — واصبحوا وهم ممن نص عنهم الكتاب الشريف بقوله — والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبئسهم بعباد اليم — وتركوا الصوم وجأهروا بالفطر في شهره واطاعوا انفسهم وافرطوا في الوقوع في نواهيها حتى اصبحنا نرى بعضهم يمشي البعض الآخر بقوله "ان هذا الصوم ليس من شروط التمدن الحاضر ولا نفع منه" وفاتهم معرفة الصوم وفوائده للدين والصحة

ترصكوا الحج للبيت الحرام واتبعوا الحج كل سنة لبلاد هي مرتع الفساد تركوه ولم يفكروا فيه ظناً منهم انه لا يابق بهم اداؤه . ما داموا لا يفقهون له معنى ولا مبنى . هذا ما نبذه الاغنياء واولادهم ظهرياً من اساسات الدين الخمسة . ثم لا يخفى عليك ما كان عليه اباؤهم واجدادهم من اتباع الكتاب والسنة والاحسان الى الفقراء والمساكين خصوصاً في ايام العيدين وباقي المواسم . تركوا كل ذلك

حتى فيما بينهم ولا يأتون بشيء من هذا لا خلقاً ولا تخلقاً لا رياءً ولا سمعة . لا رهبة ولا رغبة واصبحوا في ركوب متن الشرور سواء . حتى اصبح العاقل وهو يخاف عليهم ان يصيبهم ما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث له " لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساوا هلكوا " ابعد ذلك اعراض منهم وانكار وانت لو سألت احدهم عن الاسلام اعرض ونأى بجانبه وربما انكر الاسلام علانية فتأمل وقل سبحانك اللهم تضل من تشاء وتهدى من تشاء

المحبة الاخوية

"منشد عفدك باخيك" قرآن شريف

تولد المحبة الاخوية بين الاخوة لما بينهم من صلة الرحم وامتزاج الدم ولحمة القرابة ولانهم يربون في بيت واحد ويدرجون تحت ظل اب واحد يرون منه اعطافا عليهم وحنانا فتأاتف قلوبهم بالطبع على تبادل الحب وتزرع في قلوبهم المحبة الاخوية . فاذا كان الابوان متبهذين يعلمان كيف تربي الاولاد نمت دون ريب بدور المحبة بينهم وايض غرس التربية الحسنة في قلوبهم ومن سب على شيء شاب عليه . كما يقولون في الامثال . وانغلام يربو على اخلاق مرشدهم بلا خلاف . حتى اذا شب ثبتت فيه تلك الاخلاق ولم يستطع تغييرها العمر او نكبات الزمان مها تكاثرت ونوالت . واذا اتفقت اهولتهم على عمل ما كان من ورائه النفع لهم واستحكمت تلك المحبة بينهم فامرت منهم الاعمال الجليلة واشتهرت عنهم الامور العظام . واذا اختلفت منهم المشارب والآراء كان منه تعرقل المساعي واستحكام الشقاق وخراب تلك الهيئة التي تتألف من جملة النظام الاجتماعي . فاذا عرفنا

عنها ما ذكر وبجثنا عن وجودها بين اخوة اغنيائنا فلا ريب اننا لا نجد لها بينهم بل نجد بدلها النفور سائداً والمخاض مستحكماً والقطيعة والتدابير وقلة الانصاف ذلك لما رُبوا عليه كما مرّ بك في فصل تربية الاولاد حتى صَحَّ فيهم قول القائل ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم -
 والاولو كانت المحبة موجودة لتهادوا وتحابوا بدلاً من ذبائك النفور والجفاء المشاهد بينهم الآن اذ التهادي والتحاب يضاعفان الود . ويذهبان بفوائيل الصد وعوامل الحقد ويحقان البغض من القلوب . ثم ان الذنب في عدم وجودها بين اولاد الاغنياء راجع الى الآباء والامهات اذ هم ايضاً لا يعرفونها ولم يتلقوها منذ صغرهم بل كل منهم تراه يريد استبدال طبعه وخلقه والتطبع بضده لغاية دفينه في النفس الامارة بالسوء الا من رحم ربي . حتى انه ليتعسر على الناقد البصير التمييز بين اخلاق وطباع الاغنياء . ما داموا يأنفون العودة الى اخلاق اهليهم وعوائدهم الاصلية . لما استحكّم فيهم من بواعث الكذب والعش فتراهم جريئين على النفاق والمكر والحديعة كأن طيب نسبهم وذكاء منبتهم لم يغينا عنهم شيئاً وقد مرّ بنا في باب المعيشة الزوجية انهم قائمون على الشقاق والانفصال عن زوجاتهم واستباحة كل محرم كأن لم يكن الدين شيئاً مذكوراً وكان الآداب لم تكن الاً المزيدهم جرأة على اتيان الموبقات وارتكاب المحظورات المنهي عنها في كل شرع وعرف فلذلك اذا ولد لهم اولاد لم يقوموا منهم عوج الاخلاق دائبين وراء تهديهم بل تراهم احوج اليه من اولادهم . وعله ذلك الشقاق والانقسام وفقدان المحبة الكفالة بقوامهم وتقدمهم طمعاً في ميراث زهيد او ربح تافه او اثره لا معنى لها وكل ذلك لا يزيدهم ان حازوا عليه ولا ينقصهم اذا لم يستحصلوا عليه والسبب في كل هذه الامور المجلبة للتكد في المعيشة والباعثة على

مالا يحمد بين امثال هؤلاء الافراد هو عدم المحبة وتبادل المنافع بلا طمع ولا زيادة ولذلك كان الانقسام بين اولادهم طبيعياً فينشأون ولسان الاخ يقول لاخيه هنا فراق بيني وبينك . والدلائل للقارىء كثيرة يكفيه النظرة في اخوة احد الاغنياء او ذلك البرنس المسجون وما فعله معه اخوه واخته في اول محنته التي حكم عليه بها جهله وطيشه فان الاثنين تزوجا اول شهر قضاء اخوهم في السجن معذباً . كأن اواصر القرابة والمحبة الاخوة قد افقدها مصاب ذلك الاخ الذي سجن ضحية جهله وهو لورني على ما يخلق بامتاله من الامراء لكنت التربية حرزا حرزاً له عن اتيانه مثل ذلك الذنب واحتمال ذلك الجزاء

والخلاصة اننا لو دققنا البحث ما وجدنا اثاراً للمحبة بين الاخوة الاغنياء وايس تمت شي لا يمكن التعبير عنه بالمحبة الاخوة بينهم فايتمدر المنصفون

عوائد اولاد الاغنياء المستحدثة

انقد تطرقت الى عوائد الاسياء ما وخصوصاً التثايف منهم عوائد قبيحة جلها او كرها مأخوذ عن عادات الاوربيين غير المستحسنة والتي لم يكن الاسلام يسمح بها بمبادئه القويمة . اما الآن ولا زاجر للنفوس من دين ولا ادب قبرى عادات "المساخر" في اعياد المرافع الا فرنج قد انتشرت بين السبان الاغنياء منا . وياليتمهم جاروهم في اعمالهم النافعة بدلاً من هذه الامور التافهة واليك ما شهدته في اعياد المرافع الماضية بينما كنت ذات ليلة من ايام المرافع جالسا مع صديق لي سيخ احدى المتدييات العمومية وادا بثلاثة اتخاص احدهما في زي امرأة والاخر في زي حادم هرم والثالث في زي الرجال ولكن

صورة وجهه بدلاً من ان تكون صورة آدمي هي صورة كلب يعرف عند الافرنج - بيول دوج - هجعت علي الاولي فضررتني بكر باج بيدها والثاني اخذ كأس الماء من امامي ورش ماءها علي والثالث ضحك واستغرق في ضحكه كثيرًا علي ما حصل . فظلمتهم سكارى تخففت ما بي من الغيظ وكنت ما لحقني من الأذى ظناً مني انهم ربما يكونوا من الاروام والاروام السافلون منهم مشهورون بكل قبيح وتقيصة فاعتم ان ناداني احدهم باسمي وبين لي محل خدامتي فعرفت انهم يعرفوني وانهم ربما كانوا من مستحدي مصلحتي الافرنج . ثم بعد قليل دخلوا المنتدى ونادوا صاحبه وامروه بان يحضرني اليهم فحضرت قاصداً الوقوف علي حقيقتهم فاذا احدهم نجح انفاضل والثاني نجح لآخر من النوات . اما الثالث فهو رجل صاحب جريدة عربية اسلامية نطهر شهرًا وتموت دهرًا وعادته يتزي بزى الطياسان والعمامة ولكن شهدت فعاله بفقدان كماله وعدم استقامة حاله .

تلك بدعة غير بدیعة او عادة مستحدثة ظهرت في الاسلام بفضل اولاد الاغنياء وقد رأيتها مرأى العيب من هؤلاء فاذا لم يتدارك امرها شملت الامة بأسرها واذا سرت ومرت عليها السنون فمن يدري حيثئذ انها ليست من عوائد الاسلام واخلاقه وقد بلغني ان بعضهم سأل الشيخ الذي تزى مع هؤلاء في اليوم الثاني من عماله هذا . فقال ان هذا العمل غير مكروه في الاسلام وكان بعمله عمر ابن الخطاب عند تجسسه لحالات المسلمين في خلافته . فيا للعار والفضيحة ويا للافتراء والبهتان علينا من انفسنا . فتأمل حاضرنا وانظر كيف يكون المستقبل ومن عوائدهم القبيحة المستحدثة ايضاً انه اذا ولد لاحد من مولود سموه باسماء الافرنج او باسماء أخرى لا تفهم إلا بعد التفكير الكثير فقد وقفت علي ان بعضهم ولد له ولد يوم فتح ام درمان فدعاه " كشتن احمد " كما اني اعرف غنياً آخر

متفرنجاً للغاية ولدت له ابنة فسماها "فكتوريا محمد" بدلاً من اسم فاطمة او عائشة او خديجة . وعلمت ان آخر ولد له ولدان سمي احدهما "رداميس" والثاني "رمسيس" وبالاجمال قد خالفوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم - ان من حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه وادبه - تلك امور تترك الفكر وتوجب الحيرة والدهشة . تلك دلالة صريحة على عظم تمسكهم باصطلاحات الافرنج كانت الاسماء المألوفة من عرفهم والمعروفة فيما بينهم ليست أهلاً ولا تليق بان يسموا بها اولادهم لو بناتهم لثلاً يتشبهوا بالفلاحين الفقراء فيالله من سقوط الامة في التأخر بعد تلك المحافظة على العوائد والتقاليد والتمسك بالمبادئ المالية التي اكسبت الاسلام العظمة والصولة . ومن عوائدهم المستحدثة ايضاً - ضرب الارض او الناس من العامة او خدامهم بالرجل حال الغضب وهذه العادة لم تكن تعرف عنهم قبلاً بل كانت معروفة عن بهائمهم فاخذوها عنها لولعهم الآن بها بدلاً من اخذهم عن اديب مرشد او نصح عاقل

يعكس ان ابا حنيفة مرّ ببعض الطرقات فاصاب بقدمه صيباً فقال يا ابا حنيفة اما تخشى القصاص يوم القيامة فوقع معسباً عليه وقال رضي الله عنه يؤدي الظلم الى سوء الحاقمة . والعياذ بالله ان يصيبهم ما قاله ابو حنيفة

ومن العادات التي احضروها معهم من اوربا واستعملونها الآن هي انهم ان تناؤوا السلام على بعض سلموا برفع الكوع حتى يتساوى برأس المسلم عليه وسبب هذه التحية ان اميرة وباس الحالية "من بلاد الانكليز" اصيبت منذ بضع سنوات بدمل في ابطنها الايمن فله استطع ضم ذراعها الى جنبها ولهذا التزمت ان ترفع يدها في السلام كي لا تحك الذراع بالابط . هذا هو السبب في السلام

برفع الكوع ولا ندري كيف نطلب العذر لشباننا الاغنياء في مثل ذلك التقليد
الاعمى . ولكن نقول ان هذه التقاليد هي ناشئة عن تقليد الغير البعيد عنا ديناً
وعادة والآمتي كان شباننا مصابين بدمامل تحت أبطهم حتى انهم صاروا يقلدون
النساء بدل الرجال ولا عجب بعد ذلك لو صدقت علينا جملة الفيلسوف العربي
الحكيم . من ان المغلوب يتبع الغالب في زيهِ ولباسهِ وعوائدهِ واخلاقهِ لا اعتقادهِ
في نفس الغالب تمام الكمال الذي لولاه لما غلبه واستولى عليه

اوهام الاغنياء

للاغنياء اوهام وسخافة فكر لا يقدر القلم على وصف بعضها . ومنشأ كل
ذلك قلة الملمهم بالعلم وجهلهم للحقائق . حتى انهم اذا اختلج حاجباً احدهم واشتكى
ذلك لاحد اصحابه يقول له ان اختلاج الحاجبين يدل على اصابة خير كثير
على رأي بعضهم وعلى شرف عال عند البعض الآخر فيصادف هذا الكلام اذناً
صاغية وشكراً يذكر . وفات هؤلاء ان اختلاج الاعضاء بحركة الجسم يتأتى من
تغير الدم . وبعضهم يتوهم شراً لو رأى جنازة في طريقه او رأى شخصاً احول في
صباحه ويتحاشى البعض منهم السفر في بعض الايام زعماً منهم انه مكروه فيها . كما
انهم لا يأكلون السمك واللبن اولا يأكلون الالبان في يوم الاربعاء قط ولو
اعترض عليهم معترض لقالوا ان آباءنا بهذا يأمر

بل رأيناهم يتطيرون لاقبل حادث من مثل هذا حتى ولو نحلت أكتفهم
فانهم يتعشمون انهم في يومهم سيقبضون . والفضل في تلقح الابناء هذا الشاؤم
والتفاؤل راجع للآباء فان من الاغنياء في هذا القطر قسماً كبيراً يقضون جل

العمر وراء تحويل النحاس الى ذهب . ولهم ولع كبير في البحث عن كتب الكيمياء وغيرها لأمل كاذب في نفوسهم على نيل ما ربههم حتى ان بعضهم ليضيع ماله وعمره ولكن لا يضيع امله في صحة معتقده في تحويل النحاس الى الذهب والسبب في ذلك غشاوة الجهل والغرور المنتمرة على ابصارهم وبصيرتهم ولو انقلب فكرهم هذا الى عمل نافع مثل تحويل الجهالة المظلمة من بين الامة الى النور والعلم لم نصل الى ما نحن عليه من التأخر عن الطوائف الاخرى في التعليم . والظاهر ان هذا الداء متأصل في الاغنياء ولا يزال باقياً ما زالت الجهالة والغشاوة على اعينهم لا تمكنهم من رؤية النافع لهم

وهذه الصناعة اي صناعة تحويل النحاس الى ذهب جاءت للمصريين واغنيائهم من المغاربة الذين وفدوا ويفدون في كل وقت لبث خزعبلاتهم بين المصريين وسلب اموالهم وابتزاز ثروتهم

ويكفيك ايها القارئ ان تتأمل قليلاً فترى من اغنيائنا قوماً احنى عليهم الدهر بكلكم فاصبحوا فقراء بعد ان كانوا سراً اغنياء والمغربي الدجال يأتي مصر فيدخل دار المساكين المتبول زائراً وبعد مدة قليلة يقص على مسامع من في بيته ما اتاه زبد وعمره اللدان بفضل صناعه قد اصبحا من اعظم الموسرين ثم يريه مقادير طائلة من المال فيغتر صاحب المال ويندهش ويتنى ان يعطى له ما اعطي لغيره . ثم يتفقون على الشروط اللازمة وبتدئ المغربي في اتمام الخيلة الى ان تبدد اموال الغني الذي كد في جمعها وجد او ورثها من ابائه واجداده ومن افقره هذا العمل جماعة كثيرة يعاينها المطالعون ويدركهم الاذكياء . وهذا العمل اغلب ما يعمله المتقدمون سناً

ولكن الشبان منهم الآن قد رزوا بانفعال البورصة التي من فعلها تحويل الغني

والسعادة مرة واحدة وفي اقرب وقت الى فقر مدقع واحتيال عظيم - ولا غرو
 فالاول شغل المغاربة والثاني شغل ابناء العرب وبين هذا وذاك اتصال وتقارب -
 واسبابه ايضا الوهم المتسلط على افكارهم من ان نصيحة السمسار تغنيهم في نهار واحد .
 حتى خربت اخيراً بيوت عظيمة سياتي معنا بعض الاشارة اليها في باب (التبذير)
 اما النساء فامورهن في الوهم مضحكة مبكية دالة دلالة صريحة على انهن دون
 الحيوانات فهما وادراكاً . فلا تزال الكثيرات منهن يعتقدن في المرض المعروف
 عند الاطباء بمرض الاعصاب وعند العوام بالارياح المتسببة من مس الشياطين
 وان لا دواء له غير (تبييت) الاثر وعمل الزار الذي عم ضرره وانتشرت مفاسده حتى
 ولو لحقتهن النخمة من الراحة لظنن انه من تحرك يد الشيطان في اجسامهن واين
 لهن المعرفة بان ذلك ناتج من سوء الهضم وتلبك المعدة من كثرة الطعام
 يضيعن حاجاتهن في منازلهن لعدم الترتيب ثم يتهمن الخدم ويسألن فلا
 يهتدين لمعرفة ما فقدنه فيذهبن الى دكاكين المدعين معرفة الغيب وعواقب
 الامور فيعرضن حالتهم وينقدنهم كمية من المال فيكشفه الخادع المنافق كذباً بخط
 على الرمل ويسمونه النجم وطرق بالحصى ويسمونه الحاسب ونظر في المياه ويسمونه المنديل
 وباللاسف ان هذه المنكرات فاشية اكثر ما تكون في الامصار والقرى بمعرفة
 المسلمين والمروج لها بالاكثر هم المسلمون فيا سبحان الله اين من يعلم ما تقرره الشريعة
 من ذم ذلك وان البشر محجبون عن الغيب الا من اطلعه الله على شيء من عنده
 واليك شيء حصل لي عند ما كنت دون سن الحلم في مكتب لوالدة
 جنتمكان المرحوم محمد علي باشا الصغير . دعاني يوماً استاذ القرآن ودعا آخرين من
 امثالي سنأ حتى بلغنا العشرة عدداً فاخذنا ذاهباً بنا الى قنطرة الدكة^(١) ولما دخلنا

(١) حارة في قسم الازبكية بمصر

باب السراي وامتأذنوا لنا في الدخول جميعاً فدخلنا بهواً ذا ثمارق مصفوفة واستار
حريبة مدلات دونه قول بن عباد

وهو تباهي الارض منه سماءها باوسع منها آخرآ واوائلا
وبعد ان جلسنا جيء بشيخ يبلغ سنه سبعين سنة فاحضر اليه مجمره
بها فحم متقد وسله بها بخور من جميع الاصناف . ولما جلس قرأ فاتحة الكتاب كما
قرأها الحضور من نساء وجوار واخذ يضع البخور على النار فتمننا رائحة مقبضة
لانفس مدمعة للمين . وجيء بواحد منا بعد واحد وبعد ان يعصب له جبهته بمنديل
ايض يأمره الشيخ بالنظر الى طبق به نقطة من حبر واخرى من زيت ولا يزال
يتقدم واحد منا بعد آخر حتى جاء دوري فتقدمت ولما نظرت قليلاً أغشي علي
وأغشي علي بصري ودهشت كثيراً فكنت ارى نفسي كن هو في حلم
او كن هو ممثلي من بنت الحان . فكنت اهذي بكلام لا افقهه واقول عن
شيء نظرتة واحال افي ما نظرتة . ولما انتهى ما يريدون كوفئت من دولة البرنيس
بقليل من المال وخرجنا بعد ان اطمأن بال اجميع على مريضهم " رحمه الله "
ومكثت بعدها اربعة ايام لا اتحقق شيئاً بنظري تماماً

هذه حكاية جرت معي من فضل مروحي المنكر والاوهام المدعين معرفة
الغيب ومعرفة الاسرار . ولا يعلم غيب ربك الا هو . أليس بعد ذلك نقول
القال والرجز والكهات كام مظلون ودون الغيب افعال
ولكن لا يدري هؤلاء ذلك وقد تكذب الواحدة على الاخرى وقد تخلف
اغلظ الايمان واوثق الاقسام ان كل ذلك مفيد وقد وجدت بفضل ما افتقدته
وعثرت على ما ضيعته وشفي ما كان بها من المرض . وكل ذلك تغرير وافساد لغيرها
حتى تقع فيما وقعت فيه . وهؤلاء مروجو الاوهام والسخافة كثيرون منتشرون في

الطرق والدكاكين . واكثر ما يوجدون في الدرب الاحمر وشارع الساحل بقرب
الدائرة السنية وفي جهة باب الشعربة والجمالية وبولاق . اي انهم منتظمون في كل
ناحية اكثر من انتشار المدارس التي تحيي الحق وتبطل الوهم وتربي عقل الانسان .
وكل هؤلاء قد نسوا قول الرسول الكريم " لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء "
أفبعد ذلك عبرة واستدلال باننا على غير ما كنا عليه والله يزيد في الخلق ما يشاء
وهو اله السموات والارض

كرم الأغنياء الماضي وبخلهم الحاضر

يجدر بنا قبل ذكر بخل اغنيائنا ان نذكر طرفاً مما كان عليه السلف منهم
حتى نقيس عليه الحاضر ونأمله فنقول

ان من راجع كرم السالفين من اغنيائنا يقف حائراً مهوئاً من جراء كرمهم
للاعمال الخيرية فقد جاء في كتب الاخبار والسير عن كرمهم شي كبير مثل
انشاء المستشفيات والملاجيء الخيرية وبناء الاسبلة وتعمير دور العبادة والعميات
والمستضعفين من بني الانسان . ولم يقتصر الحال فقط على ما ذكر بل قد وصل
كرمهم الى الحيوانات العجم ايضاً ولكي يطالع القارئ على بعض هذا الكرم ويعلم
به حقيقة العلم نأتي هنا على ذكر خلاصة بعضه

جاء في خطط المرحوم علي باشا مبارك ان اول خانقاه (تكية) بديار مصر
أنشئت في زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٦٥٩ هجرية برسم الفقراء
الواردين من البلاد الشاسعة

ولما انقضت دولة الايوبيين هذا حذوهم السلاطين الجراكسة وبعض الامراء .

واول من بنى المارستان في مصر احمد بن طولون وكان رحمة الله يركب بنفسه كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها من الاطباء . وينظر الى المرضى وسائر ارباب العاهات والمحوسين من المجانين

ولما كانت الدولة الاخشيدية في مصر بنى كافور الاخشيدى مارستاناً . ولما استولى الفاطميون بنوا في القاهرة مارستاناً ايضاً

وفي زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب امر بفتح مارستان للرضى والضعفاء واستخدم به اطباء وجراحين وعمالاً وخداماً وامر بفتح المارستان القديم

وفي زمن السلاطين الجراكسة بنى المارستان المنصوري واقف عليه من الاملاك في مصر وغيرها ما يقارب ريعه في كل سنة الف الف درهم . وهذا القدر يعادل الآن اربعة وعشرين الف بتو ذهباً . وجعله وقفاً على كافة طبقات الناس ورتب فيه العقاقير والاطباء وقرر لهم ما يلزم من الفرس وانصب الامرة وافرد لكل طائفة من المرضى موضعاً فجعل مواضع للرضى بالحيات ونحوها . وافرد قاعة المرمد . وقاعة للجرحى . وقاعة لمن به اسهال . واخرى للبرودين . وافرد للنساء قسماً مخصوصاً . وجعل الماء يجري في جميع هذه الاماكن وافرد مكاناً لطبخ الاطعمة والادوية والاشربة وغير ذلك

الا انه في زمن الفرنسيين تخرب المارستان المنصوري وتغيرت معالمه . وكان الموجود به من المرضى ستين مريضاً

وفي خطط الفرنسيين ان عبد الرحمن كتحدا اشأ استبالية للنساء وكانت تحت الربع وكان بها حين ذلك ستة وعشرين من المرضى وكان يطلق عليها اسم تكية " وهي الآن تكية الجلستاية الموجودة للآن والتي ياوي اليها الساجم الكسول بدل المريض والكسور

واما الرباطات فكانت من الحملات الخيرية ايضاً وبعضها كان لاقامة الصوفية وبعضها كان للنساء المنقطعات او المعجورات او المطلقات او العجايز الارامل العابدات وكان لها الجرايات والمقامات المشهورة من مجالس الوعظ . وقد انقطع ذلك كله الآن

واما الاسبلة فقد جاء عنها ايضاً في الخطط انها كانت كثيرة العدد وكان السبيل يتألف من ثلاث طبقات الاولى تحت الارض وهي الصهرج والثانية في مستوى الارض او فوقه بقايل وفيه المزملة لتفريق الماء بكيزان من الحساس مربوطة بسلاسل

والثالثة مكتب لتعليم الاطفال . وكان المشئون لها يعتنون ببنائها ويوقفون عليها الاوقاف الدارة بالريع الكثير والاعاب الآن قد اندثر بسبب نسيان فعل الخير وبسبب الاهمال والترك الذي استولى علينا وفقد الاحساس والشعور بالمنفعة العامة التي عليها مدار بقاء هذا النوع الانساني من جهة وحياته وسعادته من جهة اخرى واما دور العميان فكانت كثيرة . ولم يبق منها الآن سوى زاوية العميان في الازهر المعمور وقد جاء في تاريخ الجبرقي انها من انشاء المرحوم عثمان كنجدا القازدغلي تابع حسن جاويش القازدغلي والد عبد الرحمن كنجدا القازدغلي صاحب العائر الكثيرة والانشاءات الخيرية بناها في سنة ١١٤٠ هجرية

ولم يقتصر احسانهم على بني الانسان فقط بل شمل الحيوانات ايضاً . اذ كان لها احواض بالقاهرة (شبه احواض جمعية الرفق بالحيوان) لسقي الدواب وكانت العناية بها شديدة وكان اغلبها بقرب من الاسبلة وهي احواض من الحجر تسقى منها الدواب على اختلاف اجناسها . وكان لها اوقاف بصرف عليها من ريعها (ولكن لم يبق منها لنا الآن شيء بل الذي تراه في باب الحديد وامام سراي

المحافظة انما اساسه جماعة الافرنجيين بيننا وهو مأخوذ منا كما مر عليك (ذلك فضلاً عن انشاء الحمامات للفقراء والمساكين والتي كان اغلبها موقوف على هذا الغرض غير المقابر والمدافن للفقراء والمساكين المنقطعين . هذا ما كان السلف الصالح من الاغنياء يتنافسون ويتفاخرون به ويتزاحمون عليه

اما الآن فقد فشا في الاغنياء من اضياع عمل الخير والنافع وتمكن منهم عمل سوء والضرار واشتهروا ببخلمهم في عمل الخير وهذا لم يكن معروفاً في الاسلام قبلهم اذ تراهم يحفون في الاعمال المجلبة للتلف فاهم فيها اكبر كرم واطول ساعد ممدود . كيف لا وقد يبذر الواحد منهم على الملاهي ما استطاع وعلى الملاهي ما يحرص ما وصل اليه جهده وفي الفجور لهم عمل مشهور . من ذلك ان احدهم كان اغنى انسان يشار اليه بالبنان فلما قربت ايامه واشرف على توديع اهله وامواله قام لاحياء ذكره وبدلاً من انشاء مستشفى او ملجأ للعجزة والمعوزين شيد ناد مشهوراً وظن انه بحمد هذا قد اتى شريف الاعمال . واحسن للمحتاجين والمحتاجات . وهو لو انشأ مستشفى لداك الكلب لكان فضله اوفى واتم . افلا يعجب القارىء من هذه الامور المشينة وهل لا يستغرب اذا رأى جماعة الايطاليين في مصر وهم على ما تعلم من قلتهم اول من انشأ هذا المستشفى يعالجون فيها من مرضانا بهذا الداء العديد .

اولو كان لهؤلاء الاغنياء مناسحة لامتهم وبلادهم لما بخلوا بشيء فيه نفع للامة وكان الاخرى بهم عند ما يقدرون بالافرنج في ازيائهم وعوائدهم ان يقلدوهم ايضاً في الاعمال الخيرية التي لا يغفل الواحد منهم ببذل النفيس لعمالها لكانوا يحبون ذكرهم بالاعمال الخيرية النافعة والقارىء لا بد ان يعلم ما اثر ذاك الرجل العظيم (افيروف) الذي لم ينس بلادته وما لها عليه من الحقوق والواجبات فوهبها للمبالغ الاليتية

جنيه

٢٠	الف لبناء مدرسة زراعية
١٠٠	" لانشاء طراد حربي يسمى باسمه
٢٠	" لترقية العلوم والمعارف والصنائع
١٠	" لمدرسة الفنون
٢٠	" للمتحف الاثري ببلاد
٣٠	" لاعمال نافعة ببلدته

هذا ما فعله ذلك الرجل لامته افلا يعتبر اغنيائنا بعملهم وفيهم من لا يزال
تقدر ثروته بمئات الالوف

ام لا يزالون مصرون على استغلال اولادهم على اموالهم كي يستنزفها النزلاء
في البلاد ليحيوا بها موات بلادهم وتخرب بلادنا

او لا ينجعل الاغنياء عند ما يذهبون الى ملجأ العجزة بشبرا التي فيه كل يوم يرون
الموائد ممدودة وعليها الاطعمة الشريفة لمن في ذلك الملجأ من العاجزين والفقراء
والبائسين من كل الطوائف والملل . او لا ينجعل امرئ منهم لو زار ذلك الملجأ ووجد
ابن ملته وجنسه هو الذي يطعم اكثر من غيره في هذا الملجأ . مع ان منشئه من
غير ماته . ام لا يدركون نقص مروءتهم لو رأوا نساء قناصل الدول الجزائلية
وعقيات النزلاء واقفات حول اولئك العجزة يخدمنهم بانفسهن ويتاولنهم الطعام
بايديهن ولا يستنكفن

وهذه هي ضروب الصدقة التي كانت تجريها الامة قديماً . وهذه هي الصدقة
التي كانت تعطى من امثالهم لفقير عاجز لا سند له ولا قوة عنده
نسبنا ما كان لنا وتركناه فاخذناه عنا الاجانب وفعلوه ونسبوه اليهم

تلك كانت مروءتنا التي كنا نساعد بها الكساح الاعمي وننتشل بها المقعد في الارض والذي ليس له نصير ولا ناصر . ضيعناها فاخذها غيرنا وعقدوا النية على فعل الخير بها

اما اغنيائنا فينفقون كما قدمنا نفقات طائلة على الملاهي والملذات وانواع الترف ويدخلون اذا فتح باب لمساعدة الفقراء ويجهدون لجلب الوسائط اللازمة للتباعد عن سماع آئين الفقراء . خوفاً من تأثير اذهانهم عند سماعهم كلامهم . حتى تزايدت حالة الفقراء سوءاً على سوء واشتد بهم الضنك ولا ندري اين الضمائم الحرة التي كانت فيهم قبلاً والرحمة التي عليها مدار العمران وهي منشأ الخير والاحسان . ومن علامات المسلمين التصديق على المرضى والبائيسين . وما احلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصدقة انها "تطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار" لا جدال ان اغنياءنا ينحطون في ادراك الخير كل يوم عن يوم حتى تأخذهم السنة والنوم وتتواهد الحال ظاهرة ودلائله واضحة باهرة فقل الله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الآباء الاغنياء في نظر الابناء

قانا في فصل تربية الاولاد ان مضار تمييز الرجل بعض اولاده عن بعض مفسد انظام العائلة موقع للعداوة والبغضاء بين الاسرة وبالاخص بين الاخوة . اذ يتولد من هذا التفضيل نفور تستحكم خلقاته ما دام الاخوات في قيد الحياة والسبب في ذلك انه لو غضب احدهم على ولده او ابنته واراد ان يتشفى منها يفضل احدما على الآخر وهذه دون ريب جناية من الوالد يأتيها للتشفي والانتقام ولا

يدري عواقبها الوخيمة فتربو نفس المفضل على حب الخيلاء والكبرياء على اخوته
واخوانه فيتبه في دنيا الغرور والحسران

ثم يتطرق في نفسه الميل الى السيئات معرضاً عما سوى ذلك نابدأ اياه ظهرياً
قال احد الفلاسفة " ان فطرة الولد مركبة من متضادات لا تفرعن اثاره معترك
بين نفسه وجسده وان احدى جهتيه لا تزال راجحة تارة ومرجوحة اخرى حتى
اذا تغلبت احدهما على الاخرى ربح اما في الصلاح واما في الطلاح وانبت سائر
افعاله بعد ذلك على الركن الذي نشأ عليه وان غاية التربية ان تستظهر جهة
الصلاح حتى يكون لما الغلب على جهة الطلاح "

وذلك القول لا يدرك له الاغنياء منا معنى ولذا تراهم عاملين على ضده في
ابعاد اولادهم عن التربية وتفضيل الصلاح على الطلاح . فكان نصيبهم غير ما تقدم
انهم اصبحوا وهم متأثرون من اولادهم متأفقون من سوء سلوكهم شاكون دواماً من
عدم احترامهم لشخصهم وهم الكبار حتى انك لتري عدداً منهم ليس بالقليل يميل في
حياته وقبل مماته الى ايقاف املاكه او تقسيمها امام عينيه على الورثة والمستحقين
خوفاً من ان اولاده يبددون ويبذرون ثروتهم فتخرب بيوتهم المعارة وفقاً لما شاهدوه
من اولاد اصحابهم الذين توفوا في زمنهم او شفقة منهم لثلاث يموتوا والابن يقوم من
بعدهم معارضاً لزوجته ايه قائلاً انها ليست بزوجة شرعية كما جرى كثيراً من اولاد
الاغنياء الذين ادعوا ذلك ووافقهم البعض من رجال النفاق شاهدين بذلك

والخلاصة انه يفقد التربية والتعليم اصبح الوالد الغني يخشى سطوة الولد حتى
انه يخافه اذا وقف امامه واراد نصحه واستلقات نظره لحالته . ولقد وصلت الحالة
مع البعض ان يكتب لابنه ما يريد ويجعل الوساطة الخدم في توصيل المكاتب .
وهذا شيء جديد لازم اكثرهم وعن قريب يصبح شاملاً لكل وعلته خوف الوالد

شر الولد عند مواجهته فيها على كبره ويسمع اقوالاً والفاظاً ما سمعها قط في صغره .
والآ لو كان الابناء عارفين فضل الآباء واقنين على نصوص الدين واوامره
كقوله تعالى (ولا تقل لها أف ولا تنهرها وقل لها قولاً كريماً) الآية . لكانوا في
سعادة حقيقية وحياة فضلى . عوضاً عن مقابلة الابن اباهُ ولسان حالها يقول
— يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين — ومما يثبت هذا القول وهو مما علق بخاطري
واثبته النظر في مطالعتي لجريدة مصباح الشرق الاغربي احد اعدادها

من ان اولاد الاغنياء والامراء يتمنون الموت لآبائهم . حدث ان احدهم
استطال عمر ابيه وملاً الانتظار ليوم الفرج . فافترض من احد الصيارفة اربعة آلاف
جنيهاً ليقوم بسدادها له اضعافاً مضاعفة مما سيرثه بعد وفاة ابيه . ثم اشترى من هذا
المبلغ عربة عالية من آخر طراز ودوام التنزه عليها في شوارع العاصمة وكان يذهب
بها ايضا الى الاسكندرية كذلك . ولكن لسوء طالع لم يميت ابوه وكان المبلغ قد
نفد منه فاخذ الولد والصيرفي يمللان النفس بقرب الامل وحلول الاجل ليدفن
الابن اباهُ ويعاود تبديد ما سيرثه منه . هذا هو حال الآباء الاغنياء مع الابناء
في هذه الايام

اما الامهات فهن مع اولادهن في تعاسة وشقاء هن امام اولادهن ضعيفات
الحيل والحيلة ترهن مردولات محقرات عرضة للسب واللعن كل يوم حتى انهن
كثيراً ما يضررن حديثي صدبق عن ولد وامه قال :

كان الابن مرة في حاجة كبيرة الى المال فذهب الى امه ويدهم التمرد
المسدس يصوبه الى فمه مهدداً اياها بقوله ان تعطني على الفور مبالغ . . .
لاصرف وانتزه به والآ فانا قاتلك وقاتل نفسي دون ريب
وما ذهب من لديها الا وهو مستحصل على ما طلب . فضلاً عن اخذ حلالها

حلية بعد اخرى حتى اصبحت وهي لا تملك شيئاً . اللهم الأصبغة الاستعاذة منه
والاستبجاد بالله من شره . هذا حال الآباء امام الابناء فليتدبر المؤمن او يقول
لك الحمد اما ما نحب فلا نرى . ونبصر ما لا نشتهي فلك الحمد

الاغنياء والموت

كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شركاء نعلم
قد حدد الله لنا الاعمار كما حدد لنا الارزاق . والدين بين ذلك في كتبه
اذ هما طال عمر امرئ فلا بد وان يموت ولو تحصن منه في امنع المعامل . والموت
لا بد ان يشربه كل منا . فيوماً يقصف هذا الغصن غضاً رطيباً . ويوماً يودي
بذلك الكهل وهو في اردل العمر . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .
والحزن على الميت فطري في النفس . خصوصاً لموت حديثي السن . فانه مر المذاق
على الاحباب والاصحاب . ولكن الله قد علمنا باسان رسوله الصادق الامين ان
نكل اجل كتاباً وان الروح لا بد وان تفارق الجسد مهما طال الامد . وامرنا الله
في الكتاب ان نعمل صالحاً لئلا ناتي في الدار الآخرة مثله ولنعيش مع السعداء
والصالحين . والعامل من عرف ان هذه الكوارث وتلك الحوادث لا ريب في انها
من قضائه جل وعلا والاولى بمن يصاب بالتوازل ان يصبر لها ويتوكل على الله وان
يستسلم لارادته سبحانه وتعالى . " ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده "

نعم يحبي المرء بين اهله واقربائه فلا يكون له تأثير ادبي بينهم (الأ عند
القليل منهم وهم المدركون غاية حياته العالمون حقيقة وجدانه اما في الرجال
فالاب الاول والاخ الثاني وفي النساء فالزوجة الثالثة وتبعاتها الام والاخت ومن

بقي من الاهل والقراة) فتأثير وجوده بينهم يكون بحسب القرب منهم اليه . والآ
فأمل ذلك في نفسك — اذا الانسان احسن درس للانسان — تجد صحة ما نشير اليه
انظر يوم تأخرت عن وقت حضورك الى البيت تعلم انه قد تململ والدك
واخوك وكل منها يبحث عنك وزوجتك وامك حزيتان لبعثك فاذا كان ذلك
كما تقول فكم يكون مقدار تأثير غيابك الذي لا رجوع له حيث لا يرفع فيك
الحزن ولا يغني عنك البكاء والتعجب حقا ان التأثير والحزن يكونان شاملين الكل
بلا امتراء

ولكن للحزن مخرجاً يعرف بالصبر بلسمه العلم والمعرفة وقد كان هذا البلم
معروفاً عندنا قديماً وشواهدهُ في صدر الاسلام كثيرة لا تقع تحت حصر ولا
ياخذها عد

وكفانا بذلك شاهداً موت الرسول صلى الله عليه وسلم فان الحزن عليه كان
غير ما نعرفه الآن من اللطم والنواح وشق الجيوب . وقد كان حق الامة حينئذ
ان تشعب الوجوه لطماً وتستنفد ما في الآماق من الدموع . لو كان في ذلك شيء من
الدين . والآمن كرسول الله حتى لا تشق عليه الجيوب ولا تسيل لموته الدموع .
لو كان في ذلك شيء مما يوجب العلم والمعرفة او يرضى به الدين

ولنا بموت ابي بكر الصديق رضي الله عنه اعظم دليل واصدق برهان على
ذلك وما اصدق ما قالته السيدة عائشة ابنته على قبره مما بين لنا تمسك المسلمات
وقسنت بالصبر واليك قولها رضي الله عنها ^(١) "نصر الله يا ابت وجهك وشكر لك
صالح سعيك . فلقد كنت للدينا مذلاً بادبارك عنها وللآخرة معزاً باقبالك عليا
وثمن كان اعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك واكبر الاحداث

بعدهُ فقدك . ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض منك
وانا متبجزة من الله موعدةُ فيك بالصبر عنك ومستعينة بكثرة الاستغفار لك فسلم
الله عليك توديع غير قابلة لحياتك ولا زارية على القضاء فيك " ثم ما قرأناه عن
مقتل عمر بن الخطاب فاتح البلدان ومشيد اركان الدين اذ لم يحصل شيء من مثل
ذلك على الاطلاق فضلاً عن ان ابنته كانت تحض على ما فيه راحة المسلمين
ويتلو ذلك مقتل عثمان ذي النورين وجامع القرآن الكريم والامام علي كرم الله
وجهه ناسر لواء الدين والذائد عن بيضة الاسلام بسيفه وشجاعته . ثم الخلفاء من
بني امية والعباس وغيرهم كلهم توفوا ولم يجر شيء من امثال ما نراه الان من اعمال
الاغنياء في المآتم والاحزان نعم لا تنكر ان الاب والاخ لاخبارها وواسع اطلاعها
ورجاحة عقلها يخففان عما ألم بهما من الاحزان بخلاف الزوجة والام والاخت
فانهن يكن على الغم والحزن قائمات ولمحاسن فقيدهن معددات طول عمرهن والادلة
كثيرة تقوم على صحة دعوانا والسبب الاكبر في ذلك ان لم يكن لاختلاطهن
بالنساء فلقلة فهمن بحقيقة العلة الوجدانية . تراهن حينما يموت الميت لا يتدشن
بالبكاء حتى تتوافد اليهن الجيران وبالاخص النساء من كل حذب وصوب ناشرات
الشعور خالعات رداء الصون صارخات بصوت منكر دونه صوت الحير ثم يأخذن
بالصراخ وتصعيد الزفرات والتظاهر بالندب وسوء المنقاب بما يفتت منه القلب
وينفطر منه القواد

يعملن كل ذلك وهن لا يدركن معنى ما حل باهل الميت من الحيرة
والارتباك وان الاولى بهن التعزية بكلام يخفف شيئاً من احزانهم ويكفف دمة
من دموعهم . بل تأتي كل واحدة منهن فجلس في ركن من اركان الدار هذه
تندب وهذه تتوح وتلك تفوه بالفاظ تعديد لم يبق منها الشيطان بعد طرده من

الجنة ما يندب به نفسه . وبينما الرجال يهتمون باحضار ما يلزم لتجهيز الميت ودفنه لا ترى للنساء اهتماماً بغير التهيؤ للخروج وراءه هَيِّئَةً يَبْرَأُ مِنْهَا الدِّينَ وَالشَّرْعَ وَالْعَقْلَ يخرجنَ وهنَّ حاسرات الرؤوس مشوهات الوجوه في حال لم يأمر بها الدين القويم . وبعد ان كانت هذه العوائد القبيحة متبعة في الجاهلية الاولى . مرعية الجانب عند المصريين^(١) اكتسبها الاسلام منهم ومن عاصرهم وجاورهم من باقي الامم فتمكنت في النفوس الجموحة التي استلبت عنانها من يد العلم والتهديب تمكن الرذائل واستحكامها في الصدور

ومما يأسف له المسلمون ويعبطون عليه نساء اغنياء القبط الآن هو ان الاقباط ابطالوا كل هذه العوائد المأخوذة عنهم ولم يطلها الاسلام حتى الآن . بل بسطن ايديهم سيف اجرة الناديات^(٢) ولا غرو اذا ظلوا متمسكين بها طول عمرهم وحاضرهم متأخر عن الاقباط وعن باقي الطوائف في التعليم والترية واپس انا طريقة لمقاومة هذه الآفة سوى طرق المنع دينياً ام مدنياً ونشر العلوم فيما بيننا

وما على اذكيائنا وعلمائنا وبهائنا الا التحريض على تركها وقد كان فضيلة العلامة الشيخ محمد عبده قدوة لنا في ذلك عند وفاة والدته وكذلك ما فعله نابغنا الاسلام في هذا العصر الفاضلان سعد بك زغلول واحمد فتحي بك زغلول وغيرها من الاقتصار على تشييع الجندرة حسب السنة واقامة المآتم ثلاثة ايام فقط فان ما (١) الندب وتثويه الوجه السواد وثق الجيوب من عوائد المصريين القديمة كانت هذا الامر مشهوراً عنهم من عيد قديم ثفنوا به من عيد اكنة وغيره على طرق سني واتصال منهم للرومان واليونان وخذ ذلك عنهم المسلمون عند فتحهم الاقطار المصرية (٢) للناديات اجرة عن كل يوم يبنونها من اهل الميت "غير القطة" حتى ان بعضهن "احرزن تروة ليست بقليله ومن لاسم ن اكثرهن واتهرهن" سمات

راه الآن عند موت طفل صغير وما يعمل له من كبير المآثم دليل على ضعفنا عن احتمال الحوادث التي يقضي بها علينا الله جل وعلا ومخالفتنا لسنة واحكامه ونقول الرسول في احدي تعازيه لمعاذ بن جبل في قوله " اما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر . ثم ان اتقنا واهلينا وموالينا من مواهب الله السنية وعوارفه المستودعة نمتع بها الى اجل معدود ونقبض لوقت معلوم . ثم اقترض علينا الشكر اذا اعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعوارفه المستودعة متعك به في غبطة وسرور وقبضة منك باجر كثير الصلاة والرحمة والهدى ان صبرت واحتسبت فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين ان يحبط جزعك صبرك فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك فقد اطعت ربك ونجرت موعوده عرفت ان المصيبة قد قصرت عنه واعلم ان الجزع لا يرد ميتاً ولا يدفع احزاناً فاحسن الجزاء وتجز الموعود وليذهب اسفك ما هو نازل به ^(١)

اولا يرضى المسلمون ان يؤدوا بعض ما يجب تالله لو لم تكن الا افعال المحازن والتدب لكفي بها موجبة ان نعذب عن آخرنا ونكب في النار على مناخرنا والله يحكم لا معقب لحكمه

سلوك الابناء بعد موت الآباء

ولينش الدين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً (قرآن شريف)

اذا قبض الله اليه احد الاغنياء وترك اولاداً له . يرث الاولاد مال ابيهم وفقاً لما قررتة شريعتنا الغراء اي يعطى الولد ضعف ما يعطى للبنات والغاية منه كما

هو معلوم حفظ الثروة في العائلة بالعصبية

وكل ذلك نافع مفيد لمن يتدبر غاية التريفة السمعاء ولكني اقول آسفاً ان
حاضر كل غاية شريفة قد انعكست فينا لسبب الجهل المستولي على النفوس لتفقد
العلم والتهديب الذي كنا نتلقاه على الخطة التي كنا سائرين عليها قبلاً حتى انا
لا نقالي لو قلنا ان التأمل البصير قد يتأكد لديه قرب انحلال فئة الاغنياء . اذ
يرى الاخوة منهم لا يكادون ينتهون من مأثم والديهم الا وقد اخذ كل منهم في
تبديد ما آل اليه من ثروة ابيه وعكف على مصاحبة كثير من التملقين الذين هم
اكبر الآفات المسببة لابتزاز الثروة وذهابها ادراج الرياح . مما لا يخلو شباب غني
من جماعة منهم . فياتفون حوله لسلب ماله بطرائق الش والتمايق الكاذب . مثل
جماعة الاجانب وبعض الوطنيين من المتحطين في مهاوي الضمة والابتذال المنمسين
في حماة الرذائل والقبائح . وهؤلاء يتلقون اولاد الاغنياء بوجوده هاشة باشة حتى
انه ليصدق فيهم القول

تقلب في الآفاق صلاً كأنما قلب في فكيه شقة مبرد

يشيرون عليهم بما فيه ضياع مالهم وترفهم . وانتهاك حرمة آدابهم ومبادئهم .
ان كان لهم آداب ومبادئ . وان اراد القارئ ان يعلم حال الشبان الاغنياء
فليرسل رائد بصيرته الى ما نقضه عليه ويعمل مطايا روثه وقوة فكره وادراكه
فيه يعلم ما يمكن ينطن اليه وهو يراد كل يوم امام عييه

قد كان الزائر او الخفيف الذي يدخل بيوت الاغنياء ينشرح صدرًا ويقر
عيناً بما يره من رب الدار من الانس والحفاوة والدعة واين الجانب . فضلاً عما
ينشأ في نفسه من حب الخير والمفضيلة وعمل الاحسان . اذ كان التوم اسمي فضلاً
واوفى كلاً . ذور اخلاق مرضية محمودة ومكارم الهية موهوبة . قد تردي جمهورهم

بالآداب وبعثوا عن الرذائل . شأن كل من اعتزك مع الدهر وزادته التجارب علماً وخبرة فسمت معرفته باكتساب ما يحمد والابتعاد عما يذم . نعم لا تنكر ان كل هذا الفضل لم يكن منهم لمجرد انهم كانوا لا يميلون الى عمل ما نراه ونشاهده الآن من التشاة الجديدة . فان التمدن الاوربي لم تكن حلقاته مستحكمة في ذلك الحين استحكامها في وقتنا الحاضر . ولكننا نرجع الى القول عنهم ان وسائل تربيتهم كانت اقوى منها الآن . وهذا هو السبب في اخراج النتائج الحسنة زمناً طويلاً الى عالم الفضل والنبيل . اما الآن فقد تغير كل ذلك وعلى الاخص في المشاهد من اولادهم . اذ هم يتنافسون عند مقابلتهم بعضهم بعضاً خارج منازلهم بانهم يضعون التماثيل المجسمة داخل بيوتهم . وهي على الاغاب مطروح عنها رداء الحياء ظاهرة بظهر قبيح . يرتعد منه جسم الاديب ويقشع جسم المخدرة حياءً وخجلاً . حتى اننا اصبحنا ونحن شديدو القنوط من تحسن امرهم وانقلاب احوالهم وابتعادها بعداً شاسعاً عن مواطن الذوق والمروءة واصبح الزائر وهو يرى تعليق الصور القبيحة المنافية للآداب في غرف الاستقبال وقاعات الاستراحة فتقطع به حبال الآمال في امكان اصلاحهم وردعهم عن غواياتهم اذ يرى الغني يعتني بها كثيراً فيضعها في الالواح والاطر التينة ليتباهى بها على اهله واخوته ومعارفه وينافس بها اقرانه . اما ازيائها القبيحة المختلفة فما لا يقع تحت حصر ولا يأخذ عد لكثرة . منه العاري والمحبوب . والراقص والمعانق . وكل ذلك يراه الامهات والبنات وغيرهن كما حانت منهم التفاتة . ولا يخفى ان هذا الامر مكروه في الدين . تجة الانسانية والآداب . لانه يفسد للعنف مضر بالتقوى والاعراض . ناطق بافصح لسان ان اولئك القوم منطرحين في حمأة الرذيلة . والافارني الفرق بين وضع صورة قبيحة ووضع كلمة فضيحة ككلمة " الحلم سيد الاخلاق " او اين الفرق بين نصب تمثال بدلاً من آية

كآية "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا" بل ابن عمل الاغنياء قبلاً وانت ترى حاضرهم من الذين شاركوا العوافي في لباسهن وتطبعوا باخلاقهن ودبوا على رص خزائنهيم بقناني المسكر وشغلوا زوايا بيوتهم برصف دنان الخمر . وهم يقضون نهارهم في شرائه بدلاً عن شراء الكتب المفيدة المثقفة للعقول المحسنة للاخلاق . حتى انك لو دخلت بيت احدهم لاخذتك الدهشة مما تراه . بل ابن مساكنهم السالفة التي كانت تضم قبلاً اشباح تلك الشهامة المشتهرة عنهم والامانة المتوارثة عن آبايهم واجدادهم والتي يعجب بها من عرف بعضها . حقاً انا لو اردنا ان نتفقدنا الآن لما وجدنا لها أثراً . الأ في التخليل منهم وما بقي منها فقد عدت فيهم الأ في مظاهر النقائص فاننا نجدها بينهم تجلي بانواع شتى وغايتها ضياع المال والوقت اما ضياع المال فيكفيك ما في بيوتهم من لعب اليسر . واما الوقت فكثيراً ما يكون احدهم مراهنناً للآخر ينتظر منها المغنم الصغير . مقابل ضياع وقت ثمين لو صرفوه في اصلاح احوالهم لكان لهم خيراً وابقى . واصناف مقامرتهم كثيرة منها ان يقامروا على مضاربة ديك . او مناطحة كبش . مقابل مبلغ طفيف . ولذا ترى دورهم لا تخلو من هذه الحيوانات وبجانبيها قهاوي الحشيش اذكر اني مررت عرضاً على ساحة رهان معقودة لهذا الغرض . فوجدت جماعة من ابناء ذواتنا ينظرون الى ديكين يتنافران . احدهما لحفيد قائد كان في حملة المرحوم ابرهيم باشا وله في حرب المورة هممة مشكورة . والآخر لحشاش من جيرانه فوقفت اجيل النظر والديكان بين هجوم ودفاع واجمع في سكون تام كأن على رؤوسهم الطير وما زلت واقفاً انظر اليهم حتى كل ديك الحشاش وفر . فتبال وجه الغني وضاب قيمة الرهان من مغلوبه وجوانحه ممتلئة فرحاً وقد كان آخذاً في معانقة ديكه الضافر والحشاش غائب العقل حاضر الشخص ساخط على الزمن

والساعة واليوم وقد اوسع الغني من القول الهراء مما ياباه من كان حفيد قائد عظيم شريف المهند لو كان باقياً في عروقه قليل من دم جده الباسل
 اما مناطحة الكبوش فانهم يربونها ويزيدون لها العلف حتى يكون الكبش ذا قوة وبطش ملتوف القرون معوجها حتى اذا ازف وقت المناطحة وعقد الرهان يأتون بكبشيم وهما اشبه منهما بضبعين فيتصادمان مبتعدين ومتقاربين حتى يخرج من قرونها الشرر وتجلي الحال عن فرار احدها وفوز الآخر الكاسب للرهان واشهر ميادين المضاربة جهة عابدين والمناطحة جهة الحامية^(١) وكل ذلك يدل على كيفية حفظ الوقت عند ابناء اغنيائنا الآن وفهمهم طرق المعيشة وكيف تحولات من هدوء واستقرار كانوا ملازمين للاغنياء الى حركة وكدح في امثال هذه المضاربات المعيبة . ولا يخفى ما لذلك من التأثير اذ يتبع الفقراء الاغنياء فيقلدونهم فيها لما علم من ان الضعيف يتبع القوي في احواله وعوائده لا عنقاده في نفس القوي الكمال والرجحان

ولاولاد اغنيائنا تفاخر بالتبجح مشاهد بينهم حتى عند جلوسهم في الاندية فانك تراهم يقصون على بعضهم الرذائل والموبقات التي ارتكبوها ويفاخرون بها امثالهم . فترى هذا يقص على الآخر سوء سلوكه وكثرة تبذيره في اماكن المقامرة واللهو ومقدار ما يجود به على الادنياء والقوادين وذلك يشرح (والفرح ملء فؤاده وحواسه) اساليب الخداع التي استخدمها ويستخدمها في الاحتيال على سلب الاموال

(١) اصل "مضاربة" الديوك ومناطحة الكبوش مأخوذ عن الارنؤوط الذين كانوا بمصر بكثرة من امد ليس بعيد وفي بلادهم ساحات معدة لهذا الغرض . اذكر مرة اني قرأت حكاية قيام قرية على أخرى وانتشاب القتال بينهما وكان السبب في ذلك "مضاربة" الديوك انظر مجلة اللطائف الغراء السنة الرابعة الصفحة ١٦٠

واهتصام الحقوق - ولو كانت اموال زوجة وحق والدة او اخوة - وآخر يتخرف في سب آخر وشتمه وضربه فضلاً عن استعمالهم تمزيق اعراض الخدرات وقد يكن زوجات رجال افاضل من ذوي الوجاهة والفضل مما يدل على سقوطهم الادبي وانحطاطهم الانساني ويثبت صراحة بعدهم عن الكمال الإيديّة والمبادئ الصحيحة التي كانت في آباءهم قبلاً وكانوا يوصون بها بعضهم بعضاً

اما عيشتهم مع اقربانهم فعيشة منحطة جداً حشوها اغياب البعيد وتلق الموجود وكأهم حساداً لبعضهم فغامون يتناقشون دائماً بما يعاف سواه الكرام

(١) نذكر هنا شيئاً من بعض ما كتبه البديع الى احد اصدقائه وهو وصلت رقتك يا سيدي والصاب لعمرك كبير . وانت بالجزء جدير . ولكنك بالمدير اجدر . والعزاء عن الاعزة رشد . كان الغي وقد مات الميت فنجي الحي . فاشدد على مالك بالخمس . فانت اليوم غيرك بالامس . قد كان ذلك استيحه رحمه الله وكلماتك تنفك ويكي لك . وقد مولك بما الف بين سراه وسيره . وخلقت فقيراً الى الله غنياً الى غيره . وبينهم الشيطان عود . فان استلانه رمانه يقوم يقولون خير انال ما اتلف بين الشرب والتياب . وانفق بين الحباب والاحباب . والعيش بين الافداح والقдах . ولولا الاستعمال لما اريد المال . فان طعتم في اليوم في التراب وعد في الخراب . واليوم واضرباً للكس ونداً واحرباً من الافلاس

يا مولاي ذلك الخارج من العود يسمى العاقل فقراً . والجاهل فقراً . وذلك المسموع من الناي هو اليوم في الأذان زمر وتدا في الابواب سمر . وامر مع هذه الآلات ساعة . والقنطار في هذا العمل بضاعة . وان لا يجد التيمم مغيراً في عود من هذا لوجه . رمانه بخيرين يتلون المقر حذا . عينيك فتجهد قلبك وتحاب بطنك وتناقش عينك وتقع نفسك وروء في ديد - بوزر . وتراد في الآخرة في ميزان غيرك . لا . ولكن قصداً بين العارفين . وميلاً عن الغريبين . لا منع ولا سرف . والنجل فقر حاضر وضير تامل . وثنا بخل امرة خيفة ما هو فيه . فليكن له في ذات قسط . والمروءة قسط . فعمل لرحمة ما استطعت . وقدر اذا قطعت . فلان تكون في جانب التقدير . خير من ان تكون في جانب التباير . انظر مفتاح الامكر لانتار الخبار وجد ٢٦٦

والمزاح بينهم ليس كما قال سعيد بن العاص - اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء وتركه يقبض الموائسين ويوحش المخالطين - بل هو مزاح في القبح والسفاهة وقلة الادب وكذلك ضحكهم فانه يدل على وجود الرعونة فيهم . اذ ايراد مضحكاتهم هي على سبيل التعريض ببعض سوائها كان كذباً او حقاً . ولا ينتهي مزاحهم او ضحكهم بدون سباب بعضهم البعض والسباب عندهم على ثلاثة انواع . قدح في النسب . وقدح في النفس او البدن . لعاهة يلي بها المسبوب او لآفة لحقت به . والثالث في امر فعله او وقع عليه . ولا ينتهي مزاحهم الا بمشاجرتهم على الاغلب وان لم تكن المشاجرة فالخصام . وهم في ذلك دون تلامذة المكاتب والسوقة . وفي بيوت الاغنياء قديماً كانت تهدي الى الخدم والحواشي الهدايا المختلفة والقصد من ذلك اظهار العواطف وتمكين الهبة القومية او الملية . حتى كان لافرق بين الخدم والاولاد واستمر السلف الصالح على ذلك وهم عليه محافظون وبهذا الاحساس متمسكون . لعلمهم ما لهذه العوائد من المزايا والفوائد حتى اثمرت هذه الامور ثراً طيباً في الخدم وكانت سبباً لتدرجهم الى السير في الطريق المؤدي للادب والامانة . ولا غرو فهم كانوا المدركين لمعنى " قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى " اما الان وقد ترك خلفهم الحاضر هذه العوائد الحسنة وابتعد عنها وانقبضت يده دونها فقد سقطت منزلته في اعين خدمه لاهتمامه بما يأول لنفعه دون غيره اكثر مما هو واجب عليه اداؤه لذلك الغير - ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم - فاصبنا ونحن نرى ذلك الخادم الحقير يقاضي ذلك الامير الكبير لاقبل هفوة تصدر منه اليه . تسبب عن ذلك ان اصبح الخدم قوضى لا وازع لهم وضاع الادب منهم وقلت الامانة فيهم . ثم انخفضت شوكة الاعيان والوجهاء وصولتهم والسبب في كل ذلك

الخدم لا غير . ونحن نذكر القارئ بياناً لما نقوله بمسألة الامير ومقاضاة
 خادمه له بالإسكندرية وذلك الامير ومقاضاة خادمه له بمصر . فلو كان للاغنياء
 والعظماء منا شفقة ومرحمة على الخدم والحواشي لما كنا سمعنا شيئاً من هذا . والسبب
 في ذلك كله معاملة العنف بدل اللين والامانة عوض الاحسان . وقد يكفيك برهاناً
 ما تراه مجسداً امام نظرك في شهر الصوم والاحسان والزكاة (رمضان) اذ يأمر
 السيد خدماً بعمل اعمال شاقة واشغال متعبة قل ان يأمر بها في غير الصوم وامر
 العدائين . " انتم شجرة " ظاهر لكل ذي عينين وهو يدل على سوء معاملتهم . فان مع
 معرفة احدهم بصوم " السائس " طول نهاره يأتيه عصراً ويأمره باعداد العربة
 فيذهب مثلاً من الناصرية للعباسية او من الجمانية للجزيرة ولا تأخذهم الشفقة
 " ما داموا من الذين يحبون العاجلة " و " السائس " يعدو وهو يخط من التعب
 امام العربة كأن هذه لا تشي ولا يكون جريها شيئاً ما لم يعد هذا " السائس "

امامياً . فإين اخان بعد هذا كله واين الشفقة والشهامة التي كانت تعرف فيهم
 قبلاً . قل لي بعيشك هل هؤلاء القوم ممن قيل عنهم " الهينون اللينون " بعد ما ذكر
 او هم من الذين يزيتون اعمالهم بزينة الرفق التي كانوا يوصفون بها قبلاً ؟؟
 هذا ودلائل الكسل ظاهرة ظهوراً واضحا عليهم فهم النائمون نهاراً القائمون
 ليلاً اي عكس ما اعتادت عليه النفوس منذ خلقتها حتى ان الفقير ليأبى ان يكون
 غنياً كسولاً مثل هؤلاء ولا يرضى بالغنى مع ما في النفس من الطمع . ومن لم يعلم
 شيئاً من كسلهم وانواعه فلينظرهم في منترهاتهم . وهم كسالى على ظهور الخيل يتباهون

(١) ومن العجيب انهم يفعلون ارحل اقراسهم ويتركون العدائين يشون حفاة فوق
 الرمضاء وحصى القبراء في قيد البلاد الشديد . وقد ناسب من هؤلاء العدائين مشاكل
 كثيرة بين الامراء والاجاب

بركوبها وهم اجبن من النساء على متونها
وقد فشت عدوى الكسل بخيلهم فهي ناعسة لاهمة لها في المسير كأنها ان
سبقتهم حماسة خافت ان يصيبها من قلة العلف ما يكون عقاباً لها على عدم مجاراتهم
والتشبه بهم . وهذا مشاهد فيهم ومخالف لما كان عليه اباؤهم فكيف يرجى منهم
بعد هذا للوطن خير ومنفعة وانت لو تأملت فيهم لوجدتهم يهتمون بالاقطار النائية
ويجلمون دائماً بالسفر اليها حيث ينفقون القاطير من الذهب في طرق الفساد
فعدمت بذلك منفعتهم المرجوة للبلاد وعدمت فيهم الحماسة القومية وانعكس
الحال الى ضده

وكل هذا ما لحقهم وحقق الآ من جراء اضمحلال الترية الحققة وفعل الآثام
واتيان المنكرات حتى اعترى بعضهم امراض مزمنة عن شفاؤها وذلك لجهلهم كنه
العافية فوقعوا فيها انفسهم ثم ارادوا التنصل منها فما اغناهم دواء بعد ذلك . نعم ان
كثيراً من الامراض مما هو تحت طاقة الانسان الحكيم يمكن ازالتها لو وفق لذلك
وكان ذا حوطة على نفسه بصيراً . ولكن اين لهؤلاء الشفاء وهم خوفاً من المرض
يوقعون انفسهم في المرض ويكونون السبب في جلبه . حتى انك لو عرفت احدهم وهو
صحيح البدن قوي العضل وعرفته بعد تملك المرض منه لانكرته وكذبت نفسك
فيه . وكان امراضهم تأتي اليهم غنية بألمها وشدتها حتى انهم لا يبرأون منها الا
بازهاق الانفس وخروج الروح وهو داء دوي على اية حال ذهب بهم . ودليلنا ما
نسمع يومياً من موتهم وهم في غضارة الشباب وعنفوان الصبا

هذا ما ذكرناه عن تضييع اوقاتهم الثمينة اما عما يبددون من المال الذي
ورثوه عن آباءهم دون تعب ونصب فهو على كل حال دون حد او حساب وهم بعد
ان يتسلطوا على تلك الاموال الموروثة يفتحون الخزائن ويملاون حفنة يدهم منها ثم

يعطونها للزناذة من الاجانب وغيرهم وكلما فرغت من التبذير ملأوها من ريع اراضيهم الموروثة عفواً ثم يأخذون في صرفها في سبيل العار والفضيحة وهم لو تعلموا الاخذ والعطاء لحفظوا ثروة والديهم او زادوا عليها وكفونا تبذيرهم اموالهم على جماعة يكونون بالامس يمدون ايديهم اليهم للتسول وطلب الرشد . وبعد مدة يغنون ويثرون وعلى من احسن اليهم يتكبرون وهم لو نشأوا على القول المأثور - اصلحوا اموالكم التي رزقكم الله فان اقلالا في رفق خير من اكثر في خرق - " لما وصلت حالهم الى ما ترى من انهم يزرعون ويحصدون والاجانب يجيئون ويقبضون وهم ينظرون نظر الحامل الابله الذي لا حول له ولا قوة عنده . حتى انهم وصلوا الى درجة هي الجبن او دونه للناقد البصير . والا كيف ترى ثروتهم في القصر الان قد تحوت بعد ان كانت لهم ولوالديهم من قبليهم لجماعة الافرنج وهم قد اصبحوا اصحاب الاباعد والمزارع اسماً واصبح غيرهم اصحابها فعلاً^٢

وناهيك بما اقدموا عليه اخيراً في لعب البورصة وخسروه فيها " بالكمترانات " واكل خسارة التمرد الواحد منهم قد تجاوزت الاثني عشر الف جنيتها ولا يبعد ان ترى جميع ما لا اولاد الاغنياء في قطرا العزيز قد خرج من ايديهم الى يد الاجنبي . وهم نيام يبدرون اموالهم في الازبكية يتنقلون من محل خمر الى منزل عهر . ومنها الى دوائر الميسر والخسر . يدوسون الشرف باقدامهم ناسين مجد آباؤهم لاهين عن حقوق بلادهم غافلين عما يستقبلهم من الاضرار في حياتهم يبر عمرهم ضياعاً بين

(١) قول لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(٢) اخضعني صديق في البيت العناري على كسيف جهاني ميديان لرهوت لرهوت من اولاد المذوت فعلت منه ان جميع اولاد لا اعتد على شفا جرف هار . وبعضهم حسابه لا ياتي عليه آخر هذه السنة لا وينكشف امره وتقلب حاله من ميم الى شقا مقيم

اقداح الراح ومداعبة الخود الملاح . وكفى ان نسمع عنهم ما ذكر والمال الذي يبدونه
اسبوعاً يكفي لانشاء شركة وطنية تضارع احدى شركات الاجانب الذين هم بين ظهراتنا
اما حالة بعض الذين نفدت اموالهم من جراء سلوكهم هذا الرديء فحالة
مضحكة مبكية . اذ ترى بعضهم يلتمس الخدمة في المصالح الاميرية ضارعا الى زيد
من الناس متشفعا بعمره و ليحق بوظيفة لا يزيد راتبها عن راتب احد خدمه قبلاً .
واصبح يرضى بذل الخدمة وهو لو عقل لدخل ابواب الرزق الواسعة ولا يرتفع شأنه
وعلا قدره ونما فضله . الا ان حالتهم ووصولهم الى تعاستهم وإهمالهم لانفسهم
تدفع بهم الى ما ذكر وترمي بهم الى ما وراءه

فترام يجلسون على القهاوي والمنتديات الحقيرة التي لم يكن احد منهم يتنازل
من علياء مجده الى النظر اليها او الجلوس فيها فيتخذونها لهم مأوى نهاراً وليلاً بعد
ان كانوا يظهرون على الناس بمظهر الابهة والجلال و كنت ترى احدى ركباً عربية
يستحث الخيل ضرباً بالسياط ويلهبها سيراً حثيثاً حتى تشخص اليه الابصار وتمتد
اليه الاعناق او ممتطياً جواداً من الصافنات الجياد . وكل هؤلاء قد اصبحوا عالة
على اقاربهم من الرجال والنساء يلتمسون الاحسان والاسعاف كل شهر ويوم .
وهو درس عظيم لمن يتأمله من بقي منهم ليقف على كيفية اخفاق الجاهل ونجاح
العاقل وناهيك بالدرس الذي يكتسب بالممارسة والتجارب فانه اوقع في النفس
من درس يكتسب بالمطالعة . ومن شاء ان يعتبر فليشاهد من ذكرناهم وهم بلباس
بال ورداء ممزق حتى انك لو نظرت الى احدى لتذكرت قول القائل

اصبحت كالثوب اللبس قد اخلفت جداته منه فعاد مذالاً

وعلى وجوههم ملامح الفقر والمسكنة بعد ذلك العز وتلك الصولة . تالله ان
النظر اليهم لحقيقة نبين لنا ما لحق بنا من الحزني بعد السرور والعار بعد الافتخار .

حقاً انا تراهم كل يوم منحدرين الى منحدر سهل بدلاً من مرتقى صعب حتى اصابهم ما يصيب الارض المزروعة اذا استولى عليها الشوك والتي لا مناص لها من اضرار النار فيها حتى تصلح ثانية بعد ان ترتدي زماماً رداء السواد عوضاً عن لونها الطبيعي الجميل والله القاهر فوق عباده

مقاضاة اولاد الاغنياء

متى وقف القارئ على سير وسلوك اولاد الاغنياء السابق بيانه لا بد ان يتساءل عن كيفية مقاضاتهم بعضهم البعض اذ لا يعقل ان يكون سيرهم على نحو ما قدمنا ويغلب من المقاضاة امام المحاكم . اما نحن فنقول ان قضاياهم تنقسم الى ثلاثة اقسام قضايا مدنية على حقوق لهم يفتيها بعضهم على بعض وهذه لا تعد ولا تحصى ولا غرض لنا فيها وان كانت اسبابها دنيئة في الغالب

وقضايا شرعية لاثبات الوراثة او قدح في الوصايا او في الوقفية او لطلاق زوج من زوجته وهذه ايضا لا يأخذها العد لكثرتها غير اننا نأسف لما ينجم عن هذه القضايا من التلاعب والبلايا التي تجر اويل والخراب وتبدد الاموال في غير ابوابها وسببها سوء الفهم بين الاهل والاخوة او ربما كانت لغرض ما

الا ان براعتهم في القضايا الآتفة الذكر وكثرة معاجبتهم لرجال المهامة جرت عليهم على ولوج ابواب المقاضاة مع اختلاف انواعها حتى لا يقال انهم الانبياء ولكنهم المقصرون عن الوقوف لدى جميع درجات المحاكم فتراهم وقد جد فيهم من امد ليس يعيد خلق الترفيع الى المحاكم الجنائية التي كان لا يدخلها غير اقلية والاصوص من قطع الطرق والمسالك كما هانت عليهم ايضا الدول لدى محاكمة الخائقات بجانب فاسدي لا حلاق وارباب السرور ونبجور من حمار وحوذي وجمال

والاسباب الداعية لهم الى ذلك هي سيرتهم غير الحمودة وعدم مراعاتهم ما يقتضيه شرفهم من حسن السير والمعاملة كما حرر عليك ومن الغريب ان علة كل ذلك النساء من مصونات وفاجرات ودليلنا على ذلك مسألة ذلك الامير وتلك الحادثة التي كادت تهدم ركننا من اركان العائلة الخديوية الكريمة وتوالم فواد كل محب لتلك الاسرة . ومن يتأملها يجد ان سببها النساء ذوات القلوب القاسية والدهاء والتأثير وتبديه الخواطر التي يهيجها القول ويثيرها الكلام الجارح

واما عن النساء العموميات فشواهدة عديدة تقع كل يوم منها ما حصل بين اولاد الذوات في محل "بوديجا" بسبب مشاحنة على امرأة عمومية اوربية وقفوا بسببها امام المحاكم المذكورة بجلالهم الحاضر وعزمهم المشاهد فما اغنى ما ذكر امام الحق والقانون شيئاً بل حوكموا على ما فرط منهم ولا تقتصر حالهم على ما ذكر بل ان منهم من يعتدي وتطاول على رجال الضبط وقد كان لبعضهم اعتداء تخوكموا عليه ومنهم من يحاكم لتعديده على المارة لمصادمتهم اباهم بخيولهم وعرباتهم في روحاتهم وغدواتهم كما انهم يسبون بعضهم بعضاً ثم يذهبون للمحاكم المغالقات لتفصل بينهم كما حدث ذلك بين خال وابن اخيه فاذا حوكم الخال وحكم عليه تفاقم الخطب بينهم وازداد النفور استحكاماً فيتسع الخرق ويشيع بعضهم عن بعض امور الخلل في ادارة الاموال وضبط الاشغال ويؤدي بهم ذلك الى طلب الحجر من كل منهم على صاحبه . وما جر هذه الامور الا عدم وجود المبادئ الصحيحة في السواد الاعظم منهم ولو شئنا الاتيان على ذكر كل قضاياهم لطال بنا المقام فاجتزأنا بما تقدم وحسبنا ذلك دليلاً كافياً على فساد احوالهم وهل بعده دليل على سر انحطاطهم وخراب انفسهم بانفسهم وسقوطهم من عالي المجد الى هاوية الخراب وشواهد الخال ظاهرة للتأمل

بيوت الاغنياء الخربة اخيراً

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً
— قرآن صريف —

تعفو الرسوم والاطلال . فلا بقي لها اثر ولا عين . وتشاد الدور التاهقة
والصروح الباذخة فلا يمضي عليها حين من الزمن حتى تصبح معالم دارسة . وكأني
بأبناء الاغنياء ما قد ادركوا هذه الحقيقة فوطنوا النفس على بذل كل نفيس
ورخيص لديهم في طرق حرمها الله فاعطوا النفس مداها ونفس المرء امانة بالسوء
وباتوا يكيلون الاموال جزافاً انفاقاً على الم لذات والشهوات وكان من امرهم انهم
حرموا لذة الراحة والوسن ومن امر صروحهم الباذخة انها لعبت بها ايدي الدمار
والخراب فأوي اليها البوء ونفق فيها العرب فصدقت فيهم كلمة الله ولو بسط
الله الرزق لعباده اجعوا في الارض) درست تلك الدور في سنوات عددها اقل من
عدد الاصابع ففقدت البلاد والامة بخرابها ما فقدت . اقول هذا والما تصد امتي
التي فقدت اباها الذين كانت تغلق الآمال لهم . اثناء حالتهم برة صالحين
فكانوا لها من العاقين الثمارين المنسدن . ولذوا في سعادة ونعمة ورخاء . واداء
يك لهم من النخ الجزيلة سوى لهم قادرون على ان يحصلوا على مرضوهم متى راموا
لتقريب عقوبهم لكفى بها نعمة يحسد عليها الملايين من ابناء الفقراء المساكين .
بل يحسد عليها من ثم اقل منهم عنى وزرمة لكنهم تاهوا في بيداء الملاذ فتكروا
عن الصراط المستقيم وتعرضوا في لانكباب على البدع وقل ما يقال في هذه البدع
انها تستنزف الدرهم من ايديهم بدع جانباها الفرجة كما مر ان ابن القاري
واشم ما يكلم المواد نحسراً وانما عليهم ان بعضهم مدحمة سنوات كانوا يملكون

دوراً تطاول السماء ارتفاعاً فباتوا الآن يفتشون عن بيوت من كانوا بمالك
لابائهم لكي يشتروها ويسكنوا فيها او انهم يسكنون في الفنادق بدلاً من تلك
السرايات الباذخات واذا لم يكن للمرء زاجر من نفسه فلا يردعه رادع ورحم الله
القائل "لا ترجع الانفس عن غيرها . ما لم يكن منها لها زاجر" ساروا على هوى
ارادتهم وكلما مر بهم يوم زاد بهم الميل الى اجترام المنكرات والتورط في الموبقات
الى ان ذهبت ثروتهم كذهاب امس الدابر ولم يبق لهم في الحياة مطمع الا الرمس
وعين تبصر الاعداء وقلب ممتليء اسى وتحسراً . اقول هذا واعني بهؤلاء الشبان
ابناء الاغنياء المسلمين خصوصاً والمصريين عموماً واني اخاف على شبان الاغنياء
ان يكون مصيرهم مثل مصير من تقدمهم من جماعة الجركس والارنوود^(١) ما دمتنا
وقد اصبحنا ان افتقدنا اولاد اصحاب هاتيك الدور وهم سادة الامة وسراتها قل
ان نستدل عليهم بعد خراب بيوتهم . اللهم ان غاية ما يعرف عنهم بعد طول البحث
والاستقراء انهم بله انزوا في خفايا الازقة والحواري . وليس تبديد الثروة
وخراب البيوت مقتصر على ابناء اعيان القاهرة بل هو عام في كافة مدن القطر
وسائر بنادره . ولو شئنا تعداد البيوت التي حاق بها الخراب والتلاشي فكان دمارها
عظيماً . او التي تغيرت معالمها من جراء فعل ابناء سراتنا لطال بنا الكلام دون ان
نسهب في المقال . الا انا نرجو القارئ انعام النظر في الجدول الآتي الذي
جمعناه بعد كثرة التعب^(٢)

(١) احبرني فاضل وجيه ممن له في الوجاهة اثر يذكر ان الباقي من جماعة الجركس

والارنوود الذين كان لهم الصول والطول بمصر ١٥ من الاولين و٣ من الآخرين

(٢) اعتمدت في جمع هذا الجدول على اصدقائي في جهات القطر سواء كانوا في الوجه

البحري او القبلي وقد طرحت منه جزءاً عظيماً تحفيماً للبلوى

جدول

بيان عدد البيوت التي خربت في أثناء السنوات الخمس الماضية

	وجه قبلي	وجه بحري	الاسكندرية	مصر
بيوت احرار وعظماء	١	٢	٦	٢١
وزراء	٠٠	٠٠	٠٠	٣
وجهاء	٦	٧	٩	١٩
تجار	١٩	٢١	٢٠	٤١
عمد ومشايع	٣٤	٩٢	٠٠	٠٠
كبار مزارعين	١٥	١٩	٢	٧
علماء	١	٤	٥	٩
	٧٦	١٤٥	٤٢	١٠٠

٣٦٣ المجموع العمومي

هذا والمجموع العمومي ٣٦٣ بيتاً خربت كلها في الخمس سنوات الاخيرة .
والناظر بعين البصيرة الى هذا الجدول تجلي له هذه الحقيقة وهي انه في كل خمسة
الام تمر علينا خرب بيت من بيوت الاعياء . فهل نحتاج الى دليل اعظم
من هذا على انحطاط ابناء الاغنياء عن الآباء والحفدة عن الاجداد حتى صح فيه
قول الشاعر

” نعم الجدود ولكن بس من ولدوا “

المجالس الحسينية واولاد الاغنياء

انشئت المجالس الحسينية لغرض سامٍ وفائدة جليلة فاقل ما فيها انها شكيمة
الجهال ووازع المبذرين لانها تحجر على من لا يحسن التصرف في ماله اما لعاهة
فيه او لعادة ذميمة اعنادها وتعل يديه عن التبذير رحمة به وشفقة على عائلته وحفظاً
لما بقي من ماله وتدريبه على الاقتصاد في المعيشة حتى يقوم اعوجاجه والابني
تحت سيطرتها الى ما شاء الله . وقد جاءت المجالس الحسينية عندنا بفائدة لا تنكر
الا انها لم تؤدّر تمام المطلوب منها . نعم انها حجرت على سيئي التصرف والمسرفين
ولكنها لم تأت ذلك الا بعد ان كادت الاموال تنفذ واستفحل الامر الى حد
يوشك ان لا يرجي معه تدارك ولا اصلاح . وما ذلك الا لعدم الاهتداء الى
طريقة كافية لاتم النجاح

ومن حقوق هذه المجالس تصيب الاوصياء وتعيين القوام وتقدير المال
اللازم لاحتياجات المحجور عليهم . ويشترط على من ولي رئاسة مجلس منها الا يألو
جهداً في اتخاذ الذرائع الفعالة لنجاح سير المجلس واصلاح حال المحجور عليهم لانه
اختص بثقة عظيمة واستودع امانة كبيرة . ولا يقوم باعباء هذه المهمة الا كل
خادم امين صادق في خدمته لان لكل محجور عليه مسائل متعددة وقصصاً متفرقة
ففيهم ابناء امراء وعلماء وفيهم فقراء وابرياء ولكل من هؤلاء طرق ومعاملات
تختلف باختلاف اصله وحالته وعيشته في الحياة . فالسأولية على المجالس الحسينية
عظيمة ان لم تقم بواجباتها حق القيام ولم تدقق البحث في كل امر يعرض عليها اذ
لا يخفى ان المطامع والاغراض تبعث قوماً على جر غيرهم الى المجالس حسداً وبغضاً
او تشفياً وانتقاماً وكثيراً ما يكون ذلك بين الاقرباء والانساب كما يظهر لمن يتأمل

امر المجالس الحسينية في هذه الايام . وهذه الاغراض وتلك المطاعم زادت في تشويش اعمال المجالس واقسدت عملها مع حسن قصدها حتى اصبحت عرضة لسوء الظن وهدفاً للقبيل والقال . وللناس ان يتقوّلوا ما شاؤوا ويظنوا ما ارادوا ما داموا يسمعون عن دخل بعض اولاد الامراء السنوي ولا يعلمون الحقيقة . ويبلغهم ان اولئك الامراء تركوا لاولادهم المحجور عليهم ثروة لا تنفد والمجالس الحسينية تكتم خبرهم بعد فحص امورهم ولا تشهر اسباب اسرافهم ولا تبين سوء سلوكهم وطرق استنزاف ثروتهم ليعلم الناس ما جرّس لاولاد الاغنياء ويعرفوا الاسباب التي طوحت بهم في مهاوي الديون ولا حرج على المجالس الحسينية اذا افشت اسرارهم تبصرة وذكرى لمن بقي منهم والّا تحكّم الداء العياة فيهم كلهم قبل ان يبادر حكمة الامة الى تلافيه ومنعه عن ان ينخر عظامهم ويوردهم حنقهم . ثم ان اعلان هذه المجالس الحسينية لاعمالها يعد خدمة للجمهور عموماً والتجار خصوصاً لانه يحذرهم من الوقوع في اشراكهم

ولقد قلنا ان للمجالس حق تعيين القوام والاوصياء على من يطلب الحجر عليهم الا انا لو تأملنا لرأينا اولئك الذين يعينون لمثل هذه الامور يحتاجون هم انفسهم الى اوصياء . ولا يعدم المحجور عليه فرصة من الزمان ينتهزها وان طال توقع سnochها ما دام له جماعة يشهدون امام المجلس بحسن سلوكه وقدرته على ادارة اعماله بنفسه تذرّعاً الى رفع الحجر عنه . وكم من مرة قبلت تلك المجالس امثال هذه الشهادات واطلقت سراح المحجور عليهم ثم حجرت عليهم ثانية وعينت القوام والاوصياء . واتقد قابلتُ اخيراً سعادة الهام الفاضل محمد ماهر باشا محافظ مصر ورئيس المجلس الحسيني لمعرفة عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم فاطلعتني حفظة الله على دفتر للمجلس الحسيني فيه اسماء من ينيفون على المتين من اولاد الامراء

والباشوات والتجار والوجهاء والاغنياء المحجور عليهم . بعضهم حجر عليهم لانهم
اضاعوا اموالهم في المقامرة ومغازلة الحسان . وبعضهم على زمرة من المشردين
الافرنج وبعضهم لادمان المسكر والعريضة في المرافص والمفاجر وبعضهم لغير ذلك
من المعرات . وكنت اود نشر اسمائهم لولا خوف الاطالة وتكدير المطالع واطاعة
امر من اشارته واجبة الاطاعة

فاذا فرضنا ان كلاً من هؤلاء المئتي شاب ترك له ابوه عشرة آلاف جنيه
لا غير — مع ان منهم من ترك له والده المائة والمائتي الف من الجنيهات — بلغ
مجموع ذلك مبلغاً كبيراً اي مليون جنيه او عشرة اضعاف ثمن شركة البواخر التي
بكتها الجرائد . او ثمن سدس اطياف الدائرة السنوية او نصف ما أنفق على فتح
السودان واتقاذ اهله من اسر المهدي بعد ما قضا فيه ١٥ عاماً . او تسعة اضعاف
راسمال شركة بسنديلة او الترامواي في القاهرة

ويا ليت ذلك كان قاصراً على الذكور من ابناء الاغنياء . بل قد عم ايضاً
الاناث منهم . فاني اطلعت على تقرير فيه ما يقرب من اسماء الستين امرأة وكاهن
محجور عليهن لما اتينه من طرق الاسراف والتبذير او لما اصبن به من العاهات
والامراض

وهؤلاء المحجور عليهم قد خربت بيوتهم وكانت قبلاً عامرة والعلّة في جميع
ما ذكر نخر الجهل لعظامهم باهمال تربيتهم التريية الحقّة المفيدة التي تجعل الانسان
انساناً وتخلد له احسن الذكر واجمل الاثر في حياته وبعد مماته . وعلم الله ان حالة
اغنيائنا جديرة ان تسمح العين الدمع مدراراً فحسبنا الله ونعم الوكيل . هذا ولقد
سعت جهدي لمعرفة عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم في المحافظات والمدريات
فما امكنتني الوقوف على غير ما يأتي بيانه ادناه

عدد	
١٩	محافظة الاسكندرية
٢	" القنال
٩	مديرية البحيرة
١٨	" الغربية
١٢	" الشرقية
١١	" المنوفية
٣	" القليوبية
٦	" الدقهلية
٢	" الجيزة
٢	" الفيوم
٣	" بني سويف
٤	" المنيا
٣	" اسبوط " من عائلة واحدة "
٣	" جرجا

فتأمل ايها القارئ واحكم بما شئت تجد كيف تقرض اولاد الاغنياء الاعمار
وتهدم العمارة والاعمار . وقل معي يا لها منعة ما اضرها وفتنته ما اعظم شرها وقانا
الله ذلك وارشد من بقي منهم لاصلاح حاله وصيانة ماله والحرص على تدبير
شؤونه وانتظام معيشته والسعي وراء ما يخلد مجداً باقياً وعزاً دائماً
ولله عاقبة الامور

القسم الثاني

في الوسط

وسط الأمة

قد تقدم لنا انا ذكرنا الطبقة العليا من الامة المصرية . وهم الذين يأتي لهم رزقهم عفواً من اطيانهم او من مرتباتهم او من اوقاف ابائهم ومتروكات مورثيهم . وبقى علينا ان نذكر اواسط الامة المصرية وهم الذين يشتغلون لئفح الامة بالاعمال كالتجارة والزراعة والصناعة . كما ان منهم من يشتغل بالعلم والتأليف والاستخدام وغير ذلك . وهوؤلاء في الحقيقة زهرة الامة وزينتها وانما توزن بهم لانهم اذا حدث في الامة نجاح فالنما يكون منهم . وهم المعول عليهم في الحقيقة لارتقاء الامة وتهذيبها وتعليمها . اذ هم كالأعضاء العاملة في الجسم . وهم الذين يسعون لاكتساب الفضائل فان ظهر نجاح في الطبقة السفلى فبإنهاضهم . وان ظهر تهذيب في الاخلاق من الطبقة المثرية فباجتذابهم لانهم هم الوسط بين الطبقتين تستفيد كل طبقة منهم وفي الحديث الشريف " خير الامور لوساطها " لانهم خلصوا من الافراط والتفريط . فليس فيهم خمول الطبقة العليا . ولا جهل الطبقة السفلى . فان حل في هذه الطبقة تقصير فقد خسرت الامة واصبحت لا نجاح لها . وليس في قوة الطبقة العليا ان تخطو خطو الطبقة الوسطى فتهذب الطبقة الدنيا . ومنزلة الوسط

في الأمة منزلة المهين على الطبقتين . ولذلك كثيراً ما ارسل الله الرسل الذين جعلهم اعلام الهدى للخلق من الطبقة الوسطى . ففيهم يمكن عقد الاخاء وهو اصل التعاون في جميع الاعمال الدنيوية والاخروية . لان الحسد فيهم اقل منه في الطبقة العليا . وكفى انه لم يتم عالم متشرع ولا قاضٍ قانوني ولا محامٍ بارع ولا مهندس رياضي ولا فقيه ديني ولا ولا . إلا كان من اواسط الأمة الذين جمعهم روابط العصبية . والخلاصة ان جماعة الوسط يتأزون بالقوة عقلاً وبدناً وعاطفة ويتبين لك كل ما ذكر مما سنذكره في الابواب الآتية

الجامع الأزهر والأزهريون

الجامع الأزهر وضع اساسه مملوك رومي من اهالي صقلية . وهو جوهر بن عبد الله الرومي المغربي مولى المزمّلدين الله العبيدي وآخر من شاد بنيانه عبد الرحمن كنجدا ابن حسن جاويش القازدغلي وذلك قبل الرواق العباسي الجديد . اما جوهر الرومي فقصد مصر بعد موت حاكمها كافور الاخشيدي سنة ٣٥٨ للهجرة واستلمها بعد قتال قليل وخطط القاهرة وبني الجامع الأزهر على ما قاله جمهور المؤرخين . شرع في بنائه لست بقين من جماد الاولى سنة ٣٥٩ وكل بناءه اتسع خلون من رمضان سنة ٣٦١ وترتب المتصدرون لقراءة العلم فيه سنة ٣٨٠ في عهد العزيز بالله المعز . وعليه فقد جعل هذا الجامع مدرسة للعلم سنة ٩٩٠ للميلاد . وهو اقدم المدارس المشهورة في العالم ولا يوجد في اوربا اقدم منه واكبر في وقتنا الحاضر سوى بضع مدارس . لكن التدريس لم يتصل فيه من ذلك العهد الى عهدنا الحاضر . فان الحاكم بن العزيز بنى جامعاً كبيراً سنة ٤٠٤ للهجرة ونقل المدرسين من الأزهر اليه ولم يبق في الأزهر الا صلاة الجمعة . ثم

أقبله صلاح الدين الأيوبي وبقي مقلداً إلى أيام الملك الظاهر بيبرس الذي وُلِّي سنة ٦٦٥ للهجرة . أي بقي معطلاً من التدريس نحو مائتين وستين سنة . لكن الخلفاء الفاطميين استمروا على الاعتناء به وإن كان قد نقلوا التدريس منه إلى جامع الحاكم . فإن الحاكم نفسه وقف عليه ألفاً وسبعة وستين ديناراً ونصف دينار تدفع له كل سنة من الذهب العين المعزي . وجعل فيه ثوراً من فضة وسبعة عشر قنديلاً من الفضة . وذكر يوسف أفندي أحمد رسام لجنة الآثار العربية أن في متحف الآثار العربية بجامع الحاكم " الآن " محرّاباً من الخشب عليه كتابة بالخط الكوفي يقال فيها ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم . حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين . إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . مما أمر بهم لهذا المحراب المبارك يرسم الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة المعزية مولانا وسيدنا المنصور أبو علي الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آباءه الطاهرين وإبناؤه الأكرمين ابن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين الهداة الراشدين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين في شهر ربيع سنة ٥١٩ والحمد لله وحده

وفصل يوسف أفندي أحمد كيفية تجديدهم في عهد الملك الظاهر بيبرس . قال . إن الأمير عمر الدين أيدمر جدد بناءه ورد له ما كان مغتصباً من الحقوق وتبرع له بشيء جزيل من المال وأطلق له ما لأطائلاً من السلطان وشيد الواهي من أركانه وأعلى سقفه ذراعاً بعد أن كان قليل الارتفاع ثم رمم وجدد بناءه في أزمنة مختلفة وأضيفت إليه أروقة جديدة . ومن الذين اهتموا بتوسيعه وترميمه الملك الأشرف أبو النصر قايتباي والملك الأشرف قانصوه الغوري الذي بنى فيه

المنارة المنسوبة اليه وقد كتب عليها ما نصه
 "امر بانشاء هذه المأذنة المباركة سيدنا ومولانا السلطان الأشرف قايسوه
 الغوري عن نصره بحمد وآله وكان الفراغ من عمل هذا المكان المبارك في شهر
 شوال المبارك سنة ٩٢٠ من تاريخ النبي " صلى الله عليه وسلم "
 وآخر من جدد بنيانه واصاف اليه اضافات كثيرة قبل العائلة العلوية عبد
 الرحمن كتبخدا بن حسن جاويش القازدغلي وذلك سنة ١٦٧ الهجرية فانه انشأ فيه
 الليوان الشرقي المعروف باسمه والمدفون به . وبني رواقاً للصايدة وجدد المدرسة
 الطبرسية وانشأ الباب الكبير المشهور بباب المزينين وانشأ رواقاً للمكاويين
 والتكرويين . وللعائلة الحديوية الايادي البيضاء في توسيعه وتجديده ولا سيما
 للجناب الحديوي "عباس حلي الثاني" ففي عهد بني الرواق العباسي وانشئت فيه
 المكتبة الازهرية العمومية . وبلغ ما جمع فيها حتى الآن نحو العشرين الف مجلد
 تقريباً قال "المقتطف" الاغر بعد ذكره ما تقدم ولو كتب تاريخ الازهر من
 حيث بنائه واختلاف الاساليب التي جرى عليها بناؤه ومزخرفوه للملا كتاباً كبيراً
 وفي الازهر الآن ٢٦ رواقاً و١٥ حارة ويدرس فيه ٢٣٦ مدرساً ويدرس
 ٨٨٠٩ طالباً . عددهم بالنسبة الى المذاهب هكذا

الجملة مالكية شافعية حنيفة حنابلة

علماء	٣	٦٦	٩٦	٧١	٢٣٦
طلبة علم	٣٥	٢٦٣٢	٣٨٧٦	٢٠٣٠	
	٣٨	٢٦٩٨	٣٩٧٢	٢١٠١	٨٨٠٩

واما مقدار ما ينفق على الازهر من خبز ونقود فيبانه هكذا

الجزايات يومياً

	رغيف
وارد من ديوان الاوقاف	٤٠٥١
" " اوقاف اهلية	٧٦٢٣
الجملة يومياً ^(١) « اما سنوياً فيكون عدده ما يأكلونه من الارغفة	١١٦٧٤
	« ٤٢٦١٠١٠ »

النقود سنوياً وارد من المائبة

	مليم	جنيه
لحضرات العلماء واولاد المتوفين منهم باعتبار كل شهر ٤٩٠	٥٢٨	٥٨٨٣
جنيه و ٢٩٤ مايقا		
لحضرات العلماء بدل كسوة سنوية يصرف في شهر رمضان	٧٣٧	٠٧٢٢
وارد من ديوان الاوقاف	٦٦١١	٢٦٥
	مليم	جنيه
لحضرات العلماء باعتبار كل شهر	٣٣٣	٥٨
مدرسي العلوم الرياضية باعتبار كل شهر	٦٤٨	٥٤
معلمي الخط باعتبار كل شهر	٦٣٠	٣٠
مشايخ الاروقة " " " "	٤٦٨	٣٩
العلماء على الوقف الحيري " " " "	١٨٠	١٥
" " وقف والدة حسين بك باعتبار كل شهر ٢	٠٨٤	
" " من ثمن غلال سنوي	١٤٥	٠٣٥
مكافآت للممتازين بجودة التحصيل من طلبة الازهر	٦٠٠	

(١) قال المستر بنفيد فنصل اميركا الجنرال السابق بمصر في كتابه تاريخ مصر الحالي

— ان العيش الذي يعطى للازهريين لا يأكلونه كله بل يتصرفون في بعضه بالبيع بواسطة متعهدين يشترطونه منهم —

	مليم	جنيه
للكتبخانه الازهرية	٢٠٠	جنيه
ماهيات لخدمة الجامع والكتبخانه باعتبار كل شهر ١٤٩	١٧٩٨	٢٠٠
جنيه و ٨٥٠ مليم		
مصروفات ادارة الجامع	١٥٠	
للمجاورين على الوقف الخيري باعتبار كل شهر ٣٣ جنيه	٤٠٠	٢٠٠
و ٣٥٠ مليم		
لزاوية العميان	٠٤٨	
لاحياء لياني ١٣ و ١٤ رمضان	٠١٤	١٢٢٩٦
		٨٠٦

وارد من اوقاف الاروقة

	جنيه	مليم
رواق المغاربة	٣٦٤	٤٨٠
الصهايدة "	٥٠	٠٠٠
ابن عمر "	٠٤٢	٦٨٨
الشمراوقه "	٠٢٢	٠٠٠
الحنفية "	١٢٠	٤٨٠
الشوام "	٠٩٤	١٠٥
الاکراد "	٠٦٨	٩١٠
الانراك "	٥١٦	٨٥٥
الخرمين "	٠١١	٠٠٠
السلمانية "	٠١٣	٣٦٠
السنارية "	٠٠٦	٦٠٠
زاوية العميان	١٩٦	٩٢٠

١٥١٢ ٢٠٤ ١٥١٢ ٣٩٨

١٣٨٠٩ ٢٠٤

هذا هو تاريخ الأزهر الشريف عن اصدق المصادر بسطناهُ بإيجاز . اما ميزانيتهُ فقد اخذناها من مولانا العلامة الفاضل الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . اما شيخهُ الآن فهو الاستاذ الاكبر شيخ الاسلام مولانا الشيخ سليم البشري . والغرض من الأزهر الشريف انما هو تخريج اهل العلم في الدين والشرع من علماء وفقهاء ليتفقهوا في الدين ويفقهوا اهلهُ فيه مستمدين ذلك من الكتاب والسنة على مذاهب الأئمة الاربعة^(١)

وحيث ان الغرض من تعليم الأزهر هو اخراج علماء الباء ذوي بصيرة نيرة وفهم قويم . فالواجب على المتخرجين منه تهذيب اخلاق الامة بمعرفتهم التريية الدينية الصحيحة وبما منحوا من العلم النافع واستخراج الفائدة بعد طول بحثهم . والمدارس التي من هذا القبيل نحن احوج الام اليها وهي بالنسبة الى المدارس الاخرى يجب ان تكون ارقاها درجة واعظما نفعا . لان المتخرجين منها هم قادة الشعب ورؤساؤه ووكلاؤه . ولا يحسن حال المتخرج إلا اذا كان المتخرج منه حسنا . ولكن من الاسف ان المدارس التي من هذا القبيل فضلا عن قلتها فحاضرها مما يؤسف له ولو كان الأزهر الشريف مقر الرئاسة الدينية ومستودع احكام الشريعة الفراء . والواجب ان تكون حالتها الظاهرة والباطنة معادلة لاهمية هذه الدرجة حتى يتجدد فيه ما اندثر من المجد في الازمنة الماضية . اما وقد اصبح اهلهُ يعدون

ولادتهُ هجرية

وفاتهُ هجرية

سنة

سنة

١٥٠

٠٨٠

(١) وهم الامام ابي حنيفة النعمان

١٧٩

٠٩٥

مالك ابن انس

٢٠٤

١٥٠

محمد بن ادريس الشافعي

٢٤١

١٦٤

احمد بن حنبل

الفلسفة كفرةً والمنطق زندقة والرياضيات ضلالة والطبيعات بدعة والكيمياء
 فرية . ثم يفاخرون بابن رشد وابن سينا وغيرهم مع انهم هم الذين كانوا يشتغلون
 بتلك العلوم في عصرهم وهم الذين سطعوا بانوارها مشارق الارض ومغاربها فهذا
 دليل منهم على سوء حاضرم ان لم يتداركوه بالاصلاح والتحسين . والازهريون
 في تعليم المسائل العقلية في دائرة ضيقة لا يتزحزون منها . اذ طرق التعليم في
 الازهر الآن مما يعدم اظهار المواهب العقلية في الانسان لانعدام الوسائل التي
 تفتح للمتعلمين المجال الى ارتقاء الانسان في عقله واعلاء همته في شؤون حياته
 وسعادته وذلك لانصراف الاعضاء من المعلمين الى حفظ القواعد المدونة في الكتب
 لا الى التمرين والعمل في الفنون التي يتلقونها . فانهم يقابلون كل شيء يلزمه
 الاشتغال بالعقل باوهام سخيفة نشأوا عليها والظنوا بها ولو لم يكن سلفهم الاول
 مثلهم قبل . وهم في علوم الدين والشريعة اشبه ببغاء يوءدي الاشارة ولا ينفذ الى
 ما فيها من الاسرار وما انطوت عليه من مناهج الحكمة والقسطاس المستقيم . وكم
 اعترض عليهم معترض في امرهم وصاح بهم ان انظروا في تمحيص الحق من الباطل
 ولا تتظروا في تلك المشاغبات التي لا تجدي نفعاً ولا تدفع ضرراً فلا يسمع منهم
 الا قولهم " اعنقد ولا تجادل " ولو كانت احكام ديننا القويم تأمرهم بالنظر في العلم
 والتبصر في كل شيء . ولا ندري كيف يكون لنا قوام منهم لانفضة الحقيقية والعلم
 الصحيح وهم محسوبون على الامة انهم اهل العلم والفهم فيها . وراهم يحضرون
 دروسهم على امل انها صناعات يجب عليهم ان ينظروها لا ان يتعلموها لينفعوا بها
 انفسهم واخوانهم كما هو الغرض من العلم والتعليم وقلا يزجر المعلم منهم تليذه اذا
 تطاول عليه او بنصحه اذا اخل بالآداب التي ينبغي ان يكون عليها . وكثيراً ما
 يقع بينهم النزاع بما لا طائل تحته ويفضي الى الشتم بدلاً عن التي هي احسن كما

هو اللازم بشأن امثالهم . وحبذا لو تعنتي المشيخة بايجاد مراقبين على من يخل
 بأداب العلم او الدرس والمذاكرة . او تلزم المدرسين ان يكونوا هم انفسهم مراقبين
 على التلامذة وان يهتموا بنصحهم وتقويم عوجهم حتى يخلص لنا منهم علماء
 مرشدون وادباء مهذبون . لا يظنون ان قراءة الاوراد والاحزاب تبعد الجهل من
 بيننا " بل يعلمون ان من الواجب ان يرشدوا الامة في وقتها الحاضر الى ما فيه
 النفع لها بواسطة نشر العلم في الرسائل والمجلات . مع ان كل طائفة في مصر لها
 نشره من سادة علماءها للتعليم وبث الفائدة بما يحسن الاعتقاد في الدين . وبين
 حقيقته التي غمضت . وهذا لعمرى منتهى الجبن منهم والاغفال لواجبهم . وما
 عهدنا في من يعلم العلم ان يجبن عن اظهاره او يرض به على اخوانه ومن يروم
 الانتفاع منه . هذا ولا يظن القارىء ان علوم النحو والصرف وما بقي من مشتقات
 اللغة العربية متقدمة عندهم او انهم يجيدون فيها . كلاً بل الحقيقة انهم مقصرون
 في الانشاء والكتابة فيها ولا يحسنونها وذلك لحفظهم القواعد وحدها دون التمرن
 على ما وضعت له القواعد عملاً . فهم يجهدون القوى في البحث في القواعد دون
 تحصيل ملكة العلم التي بها يكون الانسان عالماً حقيقياً وبها يستغني عن النظر في
 القواعد واضاعة الزمن في صحتها وفسادها . فلذا ترى الاكثر منهم ليس لاحدهم
 مقدرة على التعبير عن فكره . وهم ان كتبوا ظن القارىء لكتابتهم انها تعاليق او
 شرح على متن او تفسير لشيء مبهم . وكفى دليلاً على انحطاط طرق تعليمهم انه
 لا ينجح في امتحان العالمية بين هذا الجم الغفير في كل سنة الا ثلاثة او اربعة
 اشخاص فقط . ومثل تفريطهم في الانشاء تفريطهم في ضياع اوقاتهم فيما لا يجديهم
 نفعاً ولا يعني عنهم شيئاً . فلقد اختلفوا مرة في مسألة صرف " عمر " وقضوا فيها

(١) ولا يقولون . ان جمهورهم كان صحياً . وكان يحضر على المرحوم الشيخ السقاء

زمناً طويلاً بين اخذ ورد في القول بصرف "عمر" وعدمه حتى ضاع على بعضهم وقته في البحث عن هذه الكلمة وسخر منهم كثير من معاصريهم وما انتج البحث في الصرف اضافة حرف او اهمال حرف . وبقيت كلمة عمر هي على ما هي عليه كما تركها سيويه بعد دقة تصريفه وغرابة ترصيفه . ومثل تفريطهم في اوقاتهم تفريطهم في ضياع امتعتهم وكتبهم وملابسهم ودراهمهم . فان الزائر الازهر المعمور لا يمر بين عمود وآخر او خزائنه واخرى الا يجد الاعلانات عن فقدان اتيائهم ملصوقة على الجدران . ولقد ذهبت اخيراً فعددت عشرة اعلانات احدهم معانداً فيه ضياع كيس تقود فيه سبعة عشر غرشناً ومليماً وآخر معلناً فيه ضياع كتاب "الكفراوي" وآخر ضياع شهادته المدرسية " وآخر ضياع دواية نحاس وآخر معلناً بقوله " يا من اتي منكم جزمة على درس الشيخ رزق صبح فليسأل علي حسن ابراهيم " . وليس للازهريين عناية تذكر بالنظافة وكثيراً ما يراهم الانسان في صحن الجامع يحلقون ويتركون شعر الحلاقة يتطاير في الجامع وهم ينشرون الخبز في الشمس . وقل ان تعرف اجسامهم الماء صيفاً او شتاء . مع

(١) اليك صورة الاعلان المعلن به صاحب الشهادة المدرسية تأتي عليه بالحرف الواحد لثبني للقارىء نقصير الازهريين في الانتشاء والكتابة

اعلان

حضرات المجاورين الفخام

اعلن حضرات المجاورين الفخام . بان الشهادة الدراسية الابتدائية تعلني نحن حافظ امين ابن امين اسماعيل المولود في قلنا "قليوبية" بتاريخ ١٨٨٣ فقد فقدت مني ما بين بيت الشيخ الجباري والبوستة والازهر فمن اتقاهما منكم فليكتب اسمه على الاعلان ويعرفنا عن مكانه في اي جهة وله من الله الاجر ومن صاحبها المحترم الدعاء اناء الليل واطراف النهار . ومن قطع هذه الورقة قطعة الله من هذا المكان

ان النظافة اجدر بهم واليق ما داموا يقرأون قوله تعالى - وثيابك فطهر والرجز
 فاهجر - كما ان التربية والآداب فيما بين الكثير مفقودة مع انها اهم شيء ينبغي
 ان يكون بينهم حتى يمكنهم ان يعطوا غيرهم ويرشدوه . ومن المعلوم ان فاقد
 الشيء لا يعطيه . ولكن اللعب مع بعضهم بعضاً موجود " ومن نقص في تربية
 نفسه كيف يتعرض لتربية الخلق " فانك لا تمر بينهم الا وتسمع سب الام والاب
 من شخص لآخر . نعم ان الآداب السامية بينهم ولكن في لطون الكتب التي
 يقرأونها ولا يعونها . والملاصة ان حاصر الازهر يحتاج لزيادة الاهتمام به من جميع
 الامة صغيرها وكبيرها . وهو في حاجة لاستبدال الحصر بالمقاعد والكراسي فان
 الطلبة قل ان تجد منهم من لم يكن مصاباً بالروماتزم والبواسير وسببه جلوسهم على
 البلاط شتاءً وصيفاً . وحبنا لو تبارى الاغنياء في اهداء ذلك اليه واهداء
 الكتب التي تلمه كما اهدى ورثة المرحوم سليمان باشا اباطه مكتبته الى الجامع
 الازهر وهي على ما يقال نحو النفي مجلد اكثرها من الكتب الخطية النادرة الوجود
 العزيزة المتال . وغير ذلك من الوسائل التي لا بد للتعليم منها مثل الكرات
 الارضية والفلكية والخرايط والاطالس والمجسمات وغير ذلك مما يوجد عند بعض
 الاغنياء معملاً وبيع في المزاد بعد وفاتهم بالجس الاثمان حتى يسهل بذلك على
 اللجنة المنوط بها اصلاح التعليم في الجامع الازهر ويقوى فيهم حب ما نتمناه
 ونتمناه كل مسلم غيور على الاسلام راغب في ارتقاء العلم بين اهله وامته والآن
 فقد تداوت لكل علمهم الا نحن فعلنا باقية في اندمال
 الهعنا الله روح الحكمة والسداد حتى نغقه قول المرشد الاعظم - افضل
 من يمتني على الارض المعلوم والمتعلمون -

العلماء

” قال عليه الصلاة والسلام “ من اراد الدنيا فعليه بالعلم ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ومن ارادها معاً فعليه بالعلم

ماضي العلماء في الاسلام يظهر منه انهم كانوا مصابيح للدين يستضاء بنبراس هدايتهم للحق اليقين نجوماً للارشاد خلفاء للصدق . هداة للمارق والضال تقام بهم احكام السنة وتهدم بهم اركان البدعة . تشرق بهم انوار العدالة وتعلمى بهم وتزهو بأديهم اندية الفضل مصادر للعفة والنزاهة ويغنينا عن ذكر ذلك ان نتأمل في سير الماضين منهم رحمهم الله . اما خلفهم الآن فقد اهملوا كل ما تقدم وانقطعوا عن العمل بالنصح والارشاد للحق اليقين واصبح ضنهم بعلمهم على الامة غنيا وفقيرها مشهوراً . ولم يقتصر الامر على ذلك بل تناول اولادهم واحفادهم . فلذا ترى اولادهم يشار اليهم بالبنان في الجهل وسقم الفهم . ولو سألت عن ابن ذلك الشيخ الثاقب البصر والبصيرة الخادم للدين والشرع لساءك ما تعلمه عنه . ولتبين لديك العار والنقصية من جراء عمل علمائنا الحاضرين لاشتغالهم فيما ليس فيه نفع الامة والدين بل وتضييعهم لما هو الحق بهم من تهذيب اولادهم وتربيتهم تربية حسنة مع انهم يعكفون على تضييع اوقاتهم بما لا يجدي نفعاً ولا يذهب ضرراً ولو كانت الامة غنيا وفقيرها احوج اليهم كي يهدوها الى الشفاء مما ألم بها مما لم يكن فيها قبلاً . في حين ان اكثر اهل الاسلام لا يعرفون من امور دينهم الا ما ينكره الدين عليهم وفي وقت اصبح الفكر فيه غير سليم من الاضطراب عند البحث في مسألة دينية . وفي وقت تقاص ذلك العلم اليقيني والمعرفة الصحيحة وانبسط ظلال الجهالة والخرافة حتى تغيرت معالم كل شيء . ودخل في الدين ما الدين بعيد عنه وبريء منه . والأفارني عالماً منهم قام وحض الامة على نفع يذكر من مثل حض

الناس على المحبة وترك الشقاق المستولي على الكل والتفرق الذي اوصلنا الى أسوأ الاحوال - ولا ترني تداخل بعضهم لاستفحال الشر وجلب الضر بين الاخ واخيه ومسائل الموارث فانها معلومة امرها - بل أرني اعتراض البعض منهم على عدم مبيع الاوقاف للاجانب وغيرهم او أرني حض الناس على دفع مال الزكاة والزكاة واجب اداءها وهي احد الاركان الخمس الذي بني عليها الاسلام وما حض القرآن على شيء من الاركان حضة عليها . وزكاة المال فرض عين عند حولان الحول على كل مسلم بالغ عاقل مالك للنصاب . او ارني من قام ودل الإمة على الاحاديث الموضوعة ليحتملها وهي عندنا تعد بالآلاف وذكر بعضها فاضل اديب^(١) وان شئت فقل لا تجد بين العامة والجمهور منتشراً وشائعاً الا الحديث الموضوع . تالله لو كان علماء الاسلام يهتمون بحض الناس على التمسك بالفضيلة والبعد عن الرذيلة والسير بخافة الله لما قامت للشور بين الامة قائمة ولا اتمشرفها ما نشاهده الآن وتجرع غصصه وآلامه

اما واكثرهم ضان بمعارفه باخل بعلمه وافراد الشعب خاصته وعامته في الرذائل قائمون منهمكون فلا عجب اذا دخل في الدين ما ليس منه ولا استغراب ان زادت الآثام الى الحد الذي يستوجب كدر العقلاء وكل ذي احساس . نعم اسف العقلاء من ذلك كثير ولكن اسفهم من عدم دعوتهم للدين اكثر اذ - الدعوة الى الدين وبعث البعوث لها من اطراف الارض الى اطرافها امر واجب في الدين الاسلامي فانه لم ينتشر من بطاح مكة الى حيطان الصين الى اقصى

(١) ذكر بعض تلك الاحاديث الموضوعة محمد البشير ظافر الشاذلي في مجلة الموسوعات

عدد ٢٣ جزء ٢ وذكر بعض اسماء الكذابين والمترولين عند ائمة الحديث والكتب المشحونة بها ولكن يوجد غيرها كثير لم يذكره حضرتة

الغرب الى مجاهل الجنوب الى جزائر المحيط الأبهذه الدعوة محمولة في صدور رجال تجشعوا متاع الاسفار في زمن كان فيه السفر قطعة من العذاب فلم يمنهم هذا العذاب من الوصول الى حدود الهند وغيرها خطوة خطوة يصيبهم الظم وينهكهم التعب وتبيري تحتمهم ابدان الابل وتغور اعين المطايا^(١) قاموا بهذا امثالاً لامر الله بالجهاد في سبيل الله والجهاد ليس السيف وحده والسيف القاضب مخراق لاعب اذا لم تمض الدعوة حقها وجهاد النبي والغواية والجهل والجهالة والهوى والضلالة بالدليل والحجة والبرهان هو الجهاد الاكبر وهذا هو الجهاد في الله قال تعالى - وجاهدوا في الله حق جهاده - قال المحققون من المفسرين في تفسير هذه الآية - هو امر بالغزو ومجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر - وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال "رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر"

هذه كانت سير السلف رضي الله عنهم وهذا كان دينهم وهذا كان عملهم في نشر الدين الاسلامي واناارة القلوب بنوره وهداية النفوس بهديه وتطهير الصدور من ادران الضلالة واوضار الخرافة بالادلة الساطعة والبراهين القاطعة . ولكن من نكد الدنيا ان خلف من بعدهم خلف انقطعوا عن العمل وقعدوا عن الواجب وركنوا الى الراحة ووقفوا عند التفاخر والتشامخ باعمال غيرهم حتى اضمحل ذلك التفاخر على طول الزمن بانقطاع العمل والعمل بيان اذا لم يسنده عمل آخر تهدم وانتقض وما زلنا على هذا التقاعد والتقاعد حتى ضاعت الفرص

(١) رحم الله عقبة بن نافع القائل عند وصوله بجنوده شمال افريقيا حتى بلغ المحيط الاطلسي - اللهم رب محمد لولا ان امواج هذا البحر تعوقني لذهبت لانشر مجد اسمك العظيم في اقصى حدود الدنيا -

وانسدت وجوه المساعي وأنست النفوس بهذا الخمول والفتت القلوب هذا القعود^(١)
واصبح احدهم لا يهتز لمصيبة تقع على اخوانه وبني ملته ولكنه يرتعد ويهتز اذا
أصيب بآدنى شيء يقطع عنه معيشته او يؤخر عنه منفعة وهذا من الذين ذكروهم
الله في قوله عن امثالهم من الذين لا يهتمون الا لمنفعتهم (جعل فتنة الناس كعذاب
الله) والمتأمل لرجال العلم والدين عند السوى يأخذ العجب لاقدامهم واحجامنا
مما يجعله ان يعبطهم ويتمنى لنا ما لهم فاننا نسمع كل بضعة ايام برسالية للتبشير
تذهب الى الاقطار السودانية من بروتستنت وكاثوليك بغية بشي تعاليمهم
وارشاداتهم وديانتهم حتى لقد بلغ منهم السعي انهم ترجموا الانجيل الشريف
بلغته سكان التوبة (البرابرة) وطبعوه على ورق نباتي حتى يظنه ابناء تلك الجهات
جزءا من اجزاء القرآن الشريف ثم هم يوزعونهم عليهم بدون مقابل وهو اول
كتاب كتب على ما نعلم بلغته (البرابرة) ولا يحق لنا لومهم وتعنيفهم ما داموا
يقدمون على كل عمل يعود على دينهم بالفائدة^(٢) ولا يقتصرون على البعثات الدينية

(١) عن مصباح الشرق عدد ٣٠

(٢) الفضل في ذلك للجمعية البريطانية والاجنبية لنشر التوراة والانجيل . وهذه
الجمعية تأسست في سنة ١٨٠٤ بقصد نشر كلمة الله في العالم بأسره وقد صرفت هذه الجمعية
اكثر من ٦ ملايين جنيه انكليزي في طبع وترجمة مائة وعشرين نسخة من الكتب المقدسة
الى مائتين وثمانين لغة من اللغات التي لم يوجد لاكثرها حروف كتابية وكانت العلماء
والمرسلون في كل الانحاء هم العاملين المجدين من طبيعتهم على اتمام هذا المشروع . ولم تخل
بلدة من البلاد من نصيب من نجات هذه الجمعية ولها في اوربا وكلاهما ومكاتبين وعمال
ومكاتب يشتغلون بكل وفاق واتحاد مع جمعيات المرسلين الاخر في اقصى البلاد .
فالسوريون والعجم والهنديون والصينيون والحش والكفرة وسكان مداغشقر وزيلانده
الجديدة وبولينزيا والمكسيك والاسكيمو وام اخرى قد استميلوا بواسطة هذه الجمعية اسماع
كلمة الله تظلي بلغتهم

بل يرسلون ايضاً البعثات الطيبة وقد عازمت الجمعية المسماة "بتشرتش ميشونري سوسايتي" على بناء مستشفى تذكراً للاسم غردون ولهذا الجمعية طبيب يدعى هاربر ورجل آخر من اشراف الانكليز الذين لا يستنكفون من خدمة الانسانية مع علو منزلتهم وقد سافرت جماعتهم في الشتاء الماضي للاقطار السودانية وشاهدنا سفرهم على محطة مصر في ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٩ وهم على اشد ما يمكن ان يكونوا عليه من الفرح والسرور العظيم . وودعهم جماعة من كبار الانكليز وسائر مستخدمي الجمعيات الانكليزية في القاهرة ومصر القديمة والدكاترة وطسن وهارفي من المرسلين الاميركان

والجمعية ترجو المسيحيين على اختلاف مذاهبهم ان يتكروا ليس فقط بمساعدة الجمعية بعطاياهم بل للاستقاء من كنز المعارف والآداب التي تفهمهم . فالمدارس والمستشفيات والسجون والمحلات المخصصة للتربية والجيش البري والبحري يشهدون بما أثنى هذه الجمعية من الخيرات والمساعدة . وهي تعتبر ان الانقلابات السياسية والاشتراكية والمهاجرة والمعارض العمومية والحروب والمصائب التي تصيب عموم الجنس البشري كأنها تطالبها بمضاعفة همتها لادخال كلمة الله في كل مكان

والجمعية يخدمها أكثر من الف مترجم ومصصح وكلهم يشتغلون بترجمة الكتب المقدسة الى لغات الارض ويصلحون الترجمات القديمة وقد ترجم الانجيل في سنة ١٨٩٩ فقط الى ١٣ لغة منها لغة قبائل الهنود وجنوبي اوستريا ومتوسط ما يصرف من الكتب بقصد توزيعه من مكتبة لندن وحدها يزيد على سبعة آلاف نسخة سنوياً وما يخرج من المخازن الاخرى في الجهات الاخرى يزيد على ذلك . والجمعية المذكورة تطبع كتبها في لندن وباريس ونانسي وبروكسل وامستردام وبرلين وكولوني وفيينا ورومه ومدريد ولسبون وكوبنهاج وامستوكهولم وبطرس برج والقسطنطينية وبيروت ومبباي وكلكتونا ومدراس وسنجاهاي والكامب وسدني وفي باقي البلاد الاخرى الكبرى واخيراً طبع الانجيل بلغة "البرابرة" في الاسكندرية

ترجمنا ما ذكر من مقدمة عينة ترجمة الانجيل الى لغات ورطان جميع الامم تقريباً المطبوع بعرفة جمعية نشر التوراة والانجيل بشارع كوبين فيكتوريا استريت نمرة ١٤٨ المطبوع سنة ١٨٩٠

و- امر سيدات المستشفيات ورئيسات المدارس الانكايزنة وموظفو الجمعيات ولما تحرك
القطار للسفر هتف لهم الحضور بصوت واحد داعين لهم بالتوفيق . ولقد اثر هذا
المنظر في نفسي فدعوت لهم ايضاً شكراً على هممتهم . كما اني تأملت من ضعف
همتنا وتقاعدنا عن اقرب الاشياء الينا وبعيدنا عن المساعي المحمودة بهمة علمائنا
العاكفين نهاراً على التفتيش في الكتب والتفاسير التي عليها ^(١) . حتى اذا وقف
احد هم على بيت من النظم قديم قلبه ذات اليمين وذات الشمال واكثر عنه البحث
والتتقيب كالبيت الآتي

ويسقط بينها المرئي لغو كفاء العنب في الدبة الحواء

ثم يتناظر مع رفقائه وكل منهما يجتهد في اظهار غلطة فيه . وقد يعكف
اذكاهم على اظهار خطائه . ثم يقول ان فيه خمس عشرة غلطة بعدد اوتاده واسبابه
ثلاثاً منهن من خطي الاشعوني والرابعة من خطي الحفني وعشراً من خطي الصبان
والاخرى لغيره وتشتغل الجرائد بكتابة الفصول الطويلة والجل العريضة عن ذلك
وباقى الامة يقرأون وهم عن خيرهم لاهون . ولا يقتصر الحال على ذلك فقط بل ان
مسألة منع " عمر " وصرفه شغلهم ايضاً زمناً ليس بالقليل ولا تسب مجتهد عن نملة
سليمان أي ذكر ام اني فان هذا مما يضحك الشكلى . فهذه السفاسف وامثالها
ثبتت عدم اعتنائهم بوقتهم من جهة وغلطهم عما هم فيه من الاحوال وما ينبغي ان

(١) وحيداً لو كان هذا البحث دأب الكثير ولكن منهم من لا يهتم بشيء من البحث
ما دام يجد تعظيماً من العوام وتفخيماً من الجهلاء فتراه يلهو ويزهو وسواء عليه أكان الاسلام
والمسلمون في عز ورفعة او انحطاط وذلة . اولم يعلم ان اهم شيء يجب عليه هو السعي في ان
يكون دينه عزيزاً وامنه مرتقية وهذا شيء ارشد اليه القران الكريم بقوله " والله العزوة
ولرسوله وللمؤمنين " وفق الله علمائنا لان يكونوا عاملين بمقتضى هذه الآية الجليلة آمين

يكونوا عليه امام الله والناس . وهذه مسألة اصلاح المحاكم الشرعية اقامتهم واقعدتهم ولا يزال تأثيرها في الازهان لانهم حيروا الامة بمخالفتهم بعضهم لبعض في ما هو الصواب من ذلك كله . ففريق كان يقول بان اصلاح المنوي ادخاله على المحاكم الشرعية مخالف للشرع . وفريق يخالف هذا القول ويكتب في الجرائد ضده . حتى ان الامة للآن لا تدري بعد طول هذا الشقاق اي الفريقين مصيب في دعواه

وينبغي على الظن انه الفريق المجوز ادخال اصلاح . والا لما قبل به العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده ووضع له ذلك التقرير المشهور (ولو كان للآن لم يعمل به تماماً) والمنتظر تنفيذ ما فيه لانه هو الذي ينتظم به امر هذه المحاكم وبه يعود اليها العدل والانصاف ويرتفع النزاع والخلاف ومن هنا يمكننا الاستنتاج ان زمن علمائنا في مصر ينقضي في ما لا نفع لهم والامة منه وهذا شيء يسوءنا ذكره ويدل على ان اوقات العلماء تمر بلا فائدة سوى اظهار التقصير في العلم . والاقتصار على الدعوى عوضاً عن الاجتهاد في التحصيل . ولا شك ان الامة التي يسوسها في دينها ودنياها امتال هؤلاء الرجال لتأخر وتغفو آثارها ونست في حاجة الى تكرار الاسباب التي اوجبت جهالة هؤلاء ما داموا هم الكافين على درس ما تقدم من كل شيء لا ينفع الا في ازماته الماضية

ذلك عملهم في النهار يعملونه حال اشتغالهم بعلمهم اما عملهم وقت فراغهم فيما بقي من النهار وبعض الليل فعمل وسعي حثيث في زيارة هذا العظيم والتزلف لذاك الغني او في بث الشكوى لولاة الامور من قلة المرتب والجرابة والرجاء والواسطة في ميراث مورث او غيره حتى اصبح امر تزلفهم مشهوراً عنهم بعد ان كان سلفهم اذا دعي احدهم لجالسة امير او عظيم لا يلبي دعوته وكما هو معروف في سير السالف

الصالح منهم^(١) وقد حدث عنده هؤلاء العلماء شيء لم يكن معروفاً لدى العلماء من قبل وهو سهرهم في الافراح والمخافل . فان العلماء قديماً كانوا لا يسهرون الى ما بعد العشاء الا قليلاً للمذاكرة وتحصيل العلم . اما الآن فتري بعض العلماء هذا ساهراً في فرح وذاك في ولية اوليلة طرب يراهم الرائي وهم مختلطون بين القوم فيعجب ويأسف لزي عربي جميل كان اولى ان يسان من ان يكون بين السكيرين ليلاً اذ يشاهدهم الناظر يقرب قاعات المشروب فيظن بهم ما هم براء منه . ومن الذي يهرتهم وهم مختلطون باولئك اخنلاط الخابل بالتابل . تالله انهم يجرون عليهم بوجودهم في تلك المخافل اشم الظن وظن الاشم مع ما في ذلك من اقرارهم المنكر وعدم انكارهم اياه وكان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من شأنهم مع انهم المخاطبون به والمأمورون بامتثاله . والافاين هم الآن والدين يجرم عليهم ذلك . ان الديانة الاسلامية روح العمران وسعادة الانسان . وهي التي لا تجعل في الازهان نقيصة او شبه نقيصة لمن وهب العلم بها واطاع على ما في كتابها الحكيم من مناهج الحق والكمال . الا ان من العلماء الحاضرين من هم من افسد الناس اخلاقاً واداباً . ولكن حاشا الدين ان يكون قد افسد اخلاقهم وادابهم . ولكن المرجح ان لذلك

(١) في السير ان بعض الخلفاء ارسل يطلب احد العلماء فلما حاهم الخادم وجده حالسا وحوله الكتب وهو يطالع فيها . فقال له ان امير المؤمنين يدعوك . فقال قل له عندي قوم من الحكماء احادتهم فاذا فرغت منهم حضرت . فلما عاد الخادم الى الخليفة واخبره بذلك قال ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده قال والله يا امير المؤمنين ما كان عنده احد قال فاحضره الساعة كيف كان . فلما حضر قال له الخليفة من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك فقال

لنا حلساء ما نمل حديثهم	الناس مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى	ورأباً وتأديباً ومجداً وسوءدا
فان قلت اموات لم تعد امرهم	وان قلت احياء هاست مفندا

اسباباً أخرى هي على ما نعلم اشتغالهم بالدنيا وانكبابهم على التزلف للاغنياء وقلة الثقة بالله وعدم المبالاة بالأوامر والنواهي حتى التحقوا بالعامية . ويكاد بعضهم يكون ذا خلقين خلق حال اجتماعهم مع الناس . وخلق حال وجودهم في بيوتهم مع نساءهم وخدمهم . يسلكون في كل حالة مسلكاً يخالف الآخر . ففي الأولى اظهار اخلاص وولاء وطاعة وسمي في انجاح حقوق الله . وفي الثانية سوء معاملة وكدر واحتقار بعكس حالهم في اجتماعهم مع الناس حتى انه ليصدق عليهم مثل العرب قديماً عنهم - ان اشد الناس بغضاً للعالم امرأته وخدمته - وحتى ان زوجة الواحد منهم لا تكلم عنه بين معارفها الا بذكر معايبه وقل من لا عيب فيه منهم

ولكن الذنب في ذلك على الأزواج الذين لم يهدوا نساءهم الى العلم والتربية الصحيحة حتى لا يستوي لدى احداهن العالم والجاهل . ذلك حاضر العلماء عندنا فتأملهُ وقل اللهم المهمم من لدن جلالك الأسمى مواهب الاتحاد المقرون بالثبات حتى يعوضوا مما فقدوه وفقدناه بسبب توغلبهم في الاهمال . وحتى يمكننا ان نرفع رؤوسنا بهم بين الامم المحدقة بنا ونفاخرهم بعلمهم ونعلمهم اننا حقيقة كثيرون اقوياء

الوعظ والوعاظ

” لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرًا عظيمًا “ (فران شريف)

الوعظ هو الحث على اداء عمل او اجتنابه سواء كان بالترغيب او الارهاب او التذكير . فالترغيب انما يكون في عمل نتيجه حسنة وعقباه حميدة . والارهاب لمن حاد عن جادة الصواب والصرط المستقيم . والتذكير لقوم نسوا واجباتهم او

تأسوها . فالوعظ اذا نتيجته ردّ النفوس الزائفة عن سواء السبيل وكبح جماح
التائبين في بيداغوجيا الضلالة وواجب ادائه ممن وفق لمعرفة الحق ليردع الذين
خدعوا بظواهر الاشياء وراجت عندهم الخزعبلات التي نخرت عظامهم وهم لا
يشعرون . وتدثروا بالباطل وهم لا يعلمون . وهو دواء الهلّة وشفاء سماوي نافع لان
القائم به حق القيام يستمدّه من قول من وسعت رحمته كل شيء . فالمخناجون اليه
هم اهل الغفلة في دينهم ودنياهم . الذين استولى عليهم القنوط في معيشتهم والحق
في اعمالهم . والذين تكاثرت على نفوسهم ارزاء الخطايا والاوزار . لان الوعظ
للموعوظ به اشبه شيء بالدواء للمريض . وكمن موعظة حسنة ضرب بها وجه
السكران فاقطع عن سكره . وصفح بها السفينة فغشبه الحياه . وسمعها التعيس فشمه
التوفيق بفضل الوعظ والواعظين الذين وفقوا لتشخيص الداء ووصف الدواء . هذا
هو الوعظ كما ذكرنا . وليس كما نسمع به اذ ليست نتيجة وعظ اليوم سوى وضع
التضليل على التضليل . ونحن ايها القارئ نقص عليك بعض ما يجري في الوعظ
من الواعظين . ونسألك وأبيك أهذا هو المقصود منه ام لا . الوعظ بيننا الآن
اكثرهم ممن تلقوا العلم في الازهر الشريف وحفظوا القرآن والحديث كلمة كلمة
ولكنهم لم يتفقهوا فيها كمن يجب عليه حفظ ذلك ومعرفة معرفة حقيقية . فترام
في المساجد يجلسون للموعظ وارشاد الناس . واكثر ما يكون جالوسهم في ايام
الصوم من رمضان وايام الجمع بعد تأدية الصلاة

بينون على زعمهم ما اغمض على الناس فهمه . وهم احوج الناس لمن بين لهم
ذلك الذي بينونه . فيذكرون للناس السنن ويتركون الفروض . كما انهم يشرحون
الحرام ولا يذكرون الحلال . ويحبون الى الناس الجدال في الدين . ولو كان
الجدال مكروهاً عند العلماء . فيجري هؤلاء العامة في الجدال جري العلماء فيه

حتى لقد يخرج الصحبان متخاصمين بفضل هذا الجدل الامر الذي يوقع التفور بين الافراد ويصبح عثرة في سبيل توحيد الامة وضمها على قلب رجل واحد نعم ان الجدل مع ما فيه قد يوقظ الفهم ويشير الانفة لاقتباس العلم . ولكن ذلك لا يجدي نفعاً ما دمنا نعرف حال العامة منا من حقت كلمة الله عليهم "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير" وناهيك عما يعلمه هؤلاء الوعاظ وما يذكرونه من الاحاديث الموضوعه كذباً على النبي صلى الله عليه وسلم كالذي قيل عن الارز نذكره^(١) والاسف ملء الضلوع - الارز مني وانا من الارز - او (خلق الارز من بقية نفسي) او (لو كانت الارز حيواناً لكان آدمياً ولو كان آدمياً لكان رجلاً صالحاً ولو كان رجلاً صالحاً لكان نبياً ولو كان نبياً لكان مرسلًا ولو كان مرسلًا لكنت انا) او (من أكل الارز اربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه) يقول الوعاظ هذا القول ولا يخشون الله وعذابه . وهؤلاء الوعاظ لا يقتصر وجودهم على مصر بل هم مبثوثون في كافة مدن القطر ونواحيه ولا يقتصر الامر على جماعة الوعاظ بل يشاركونهم فيه ايضاً خطباء المساجد الذين فقدوا الرشد كما فقدت الامة الرشاد فضاغت بسببهم حكمة الخطابة وما وضعت لاجله ولقد سمع احدهم خطيباً في الريف ذا جهل وتخريف صعد المنبر وحمد وكبر ثم اتنى في تفخيم وترقيق الى ذكر طول قصر ابي بكر الصديق . فقال . ان جبريل سار في طوله ثلاثة اشهر باجنحته الاربعين ومن المعلوم انه كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بجناحين ويقطع النبي سنة وخمسة مائة في دقيقتين^(٢) هذا بعض من كل مما يأتيه زحرة الوعاظ والخطباء

(١) نقلنا ذلك عن مجلة الارغول الاسلامية عدد ٣ سنة ٥ والعمدة عليها

(٢) انظر مجلة الارغول الاسلامية عدد ٣ سنة ٥

في المساجد لفساد الدين وتضليل المسلمين . الامر الذي نمسك القلم عن الخوض في عبايه لانه يفطر الاكباد ويفتت افئدة الذين يغارون على الدين . والله يعلم ما بنا من الاسف لقاء ذكر ما تقدم ولكنها الحقيقة نذكرها ولو جرحت . غير اننا لا ننسى فضل بعضهم ولو كانوا قليلين جداً ولا ننسى فضل الفضلاء من كبار العلماء الذين علموا احياج الامة للوعظ والارتداد واقدموا عليه بغية نيل الاجر والقيام بالواجب ومن هؤلاء العلامة الفاضل مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله . فانه يعظ بعض ليالٍ في درس التفسير الذي يقرأه في الازهر العمور . ولا يرضن بالايضاح الوافي والشرح الشافي بما يقص على سامعيه من التفسير والتذكير . وبمقدار شكر اناله نأسف كثيراً على بعض الازهريين الذين يحضرون حلقاته وجلهم وقت القاء تفسيره يشغل نفسه بالمباحكات اللفظية ولا يعير سمعه للاستفادة والفهم كما ينبغي . وبعضهم لا يحضر الا لتمضية الوقت بين المغرب والعشاء وللتفرج لا غير . وكثيراً ما شاهدت الاستاذ الفاضل المنوه عنه يبرهن لهم على عدم صحة بعض التفاسير فلا يجد منهم الا الخروج عن الطريق بالسؤال في مسألة منطقية او مسألة نحوية . وليس لهم غرض الا اخراج الشيخ من دائرة البحث الى دائرة اخرى فيقابل ذلك حفظه الله بالصبر الجميل

تلك حال اهل الوعظ عندنا وهم المنتظر منهم استنارة العقل بالارشاد وصلاح القلوب بصالح التعليم والتهديب

تالله لو داموا سائرين على خطتهم هذه ولم يجيدوا عنها ولم يجدوا من يردعهم عن غيهم ويوقفهم عن وعظهم حتى تستير انفسهم ويفقهوا ما يقولون . قل على الاسلام الحق السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل

القرآن والفقهاء

قد جاءكم من الله كتاب ونور مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم (قرآن شريف)

القرآن كتاب مجيد . واجب التعظيم لا يسهه الا المطهرون . ابان ما لله على عباده وما لهم عليه من الحقوق . ضرب فيه من كل مثل وما فرط فيه من شيء . جمع فاعى كل ما فيه سعادة البشر في دنياهم واخرهم . وحقائق راهنة لا يزيدنها كر الليالي وتعاقب الايام الا وضوحا وسطوحا . نزل على رسول الله " صلى الله عليه وسلم " وحيا حسب الوقائع . فكان رابطة للمسلمين وجامعة للوحدة الدينية . سورة اربع عشرة ومائة . تختلف طولاً وقصراً . ولا تتجاوز الاربعون الاخيرة خمسين آية . ولا تنقص عن ثلاث . وهو مكي الا ثمانى عشرة سورة فمدنية له اسلوب شرعي في الترتيل يعرفه من عرف دينه وثقفه في شريعته . وليست قراءته الحقيقية كالقراءة الشائعة الذائعة الآن في اكثر البلاد الاسلامية . بل الحقيقة ان الصحابة والسلف الصالح كانوا يقرأونه من غير تلحين . ولقد انكر الامام مالك رضي الله عنه القراءة بالتلحين كما هو منصوص في مذهبه ومعروف واجازها الشافعي " رضي الله عنه " ولكن لا على الكيفية التي نسمعها من اكثر الفقهاء مما يجعل القراءة تغنياً . فقرأ القرآن على سبع طرق اختلفت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها . وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها فمن اراد الوقوف عليها فليرجع اليها — وقرأ القرآن فيما مضى من الزمن كانوا يتلونهُ بكل خشوع وادب وتدبر وتعقل . فاوجد فيهم كل الفضائل . كما ابعد عنهم كل الرذائل . ولا غرو فهو كلام المهين جل وعلا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد

اما حاضر قرائنا الآن من الفقهاء فما يؤسف له . فانه مع ما نراه من
 اكثرهم غير حافظين له تمام الحفظ لعدم فهمهم معنى الغرض من حفظه . تراهم
 يقرأونه في حالة التذاذ . بعدوبة اصوات وتوقيع نعم وهم لا يأتون على قراءة القليل
 منه حتى يختمونه بالغناء وانواع الخلاعة التي لا تناسب ذلك المقام العظيم . وهذا
 من الوقاحة التي كان الفقهاء امثالهم من قبل لا يعرفونها . وقد يعد الفقهاء الآن
 بعملهم هذا عما أمروا به واغفلوا عن واجبهم . فبعدت عن السامعين للقراءة
 موعظة القرآن الشريف وحكمته . وهبطت درجة تأثير النفوس من احكام
 هذا الكتاب السماوي الجليل . فهوى الارتباط الديني وضعف الاحساس الملي .
 وما منشأ ذلك غير الفقهاء الذين يتلون كلام الله بغير خشية منه تعالى

وما احسن واجمل ما كتبه الشيخ الفاضل صاحب المؤيد الاغربي في مؤيدوه
 وفي المجلة المصرية العدد الثالث حيث قال . وفي اعتقادي ان تلحين الآيات
 القرآنية على الطريقة المألوفة الشائعة بين المسلمين كانت من اكبر دواعي انحطاطهم
 منذ قرون مضت الى الآن . لان هذا التلحين جعل القرآن من قبيل المغاني التي
 تؤثر على مشاعر النفس من السامع بتأثير الصوت وانغامه لا تأثير المعنى المقصود
 بالذات حتى ان السامع كثيراً ما يتعشى وجدانه سروراً او تتفعل نفسه انفعالاً
 يختلف آناً فآناً من مجرد سماع صوت القارئ تلحيناً من حيث لا يعرف الآية
 التي يلحنها لبعدها ما بينه وبين القارئ بعداً لا يمكن معه تمييز الكلمات ماهي ومن
 اي سورة تلى . وبطول العهد وزيادة الف الناس لهذه الطريقة اتخذ تلحين
 القرآن ضرباً من الضروب المكلمة لسرور الجماعات في الافراح او المسلية للنفوس في
 المآتم وشعائر الاحزان . وبذلك خرجت قراءة القرآن عندنا من الدائرة التي
 رسمها الوحي النازل بها من عند الله . الى دائرة صناعية يستوي الامر والنهي

والزجر الشديد . والقصص التاريخية والمواعظ الحسنة والدعاء . كلها تطبق على نقرات الجركا والسيكا والحجازية والعراقي وما شبهه . فلا تقع الآية الصاعدة بالحق في امري الدنيا والآخرة على سامع إلا كما تقع مقاطع التلحين عند سماع المغنين . تلك الآية التي كانت تلقى على سمع الاعرابي . وقد امتلأ قلبه كفرة وشراً . وآخر في كل جارحة من جوارحه عدراً للإسلام والمسلمين فكأنما هي الصاعقة نزلت من السماء بأشد تأثيرها على جميع حواسه فيغشاه منها ما يغشاه . ثم لا يفيق إلا وهو صاغر امام هذه القوة الإلهية يبهت منها أولاً ويخضع لها ثانياً . أصبحت لا تؤثر على كل سامع لها بطريقة القراءة المألوفة الآن إلا كما تقع مقاطع التلحين عند سماع المغنين ان اجاد الملحن سمع من كل اطراف المجلس الله الله . احسنت . احسنت . كما يسمع المغني المطرب سواً بسواً والأفلا . ثم زاد الطين بلة ان ملحن القرآن انفسهم تفتنوا في طريقة تلحينه بالتخت بالصوت وابداء الحركات الغربية المختلفة في الالقاء بما اخرجته عن كونه قرآناً الى الغناء المحض ففقد السامعون بذلك كل شيء يعزى الى قراءة القرآن وسماعه .

واذا كان القرآن كتاب الله الذي انزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشر وتقويم اخلاقهم واصلاحهم في معاشهم ومعادهم ينقلب سيء في كيفية ادائه والقائه الى هذا الحد وتصرف مشاعر الوجدان عند سماعه عن معانيه الى محض مغانٍ هي لجوهره الاسنى عرض عار مستعار . فليس بغريب ان تفسد الامة الاسلامية بهذا الفساد كما كان صلاحها بذلك الصلاح . اه

المحاكم الشرعية وحاضرها

قال ^(١) العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده في تقريره المشهور . تدخل المحاكم الشرعية بين الرجل وزوجته والوالد وولده . والاخ واخيه والوصي ومجوره . وما من حق من حقوق القرابة القريبة او البعيدة الا ولها سلطان السيطرة عليه والقضاء فيه . وانها تنظر من ذلك في ادق الشؤون واخفاها . ويسمع قاضيها ما لا يسمح لاحد سواه ان يسمعه سوى ما يكون من الزوج وزوجته او الزوجة لزوجها . فكما انها هياكل عدل هي كذلك مستودع سر واي سر فمزلتها من نظام الأسر "العائلات" تلي منزلة الهبة وروابط القرابة . فاذا تراخت تلك الروابط ومرضت المروءات تعلق حفظ نظام البيوت بالمحاكم الشرعية . وللشريعة الاسلامية في ذلك دقائق لا يسئل الالتفات اليها الا على من احاط علماً بكليات احكامها ووقف بالبحث الصحيح على مقاصدها . ووصل الى ادق معانيها وكان من العلم بلغتها في منزلة يعرفها له اربابها . ولن يكون الرجل كذلك حتى يأخذ الشرع عن اهله وتكون تربيته على السنة الدينية الصحيحة . ثم لا يكون القاضي حافظاً لنظام الأسر والبيوت بعد الاحاطة باحكام الشرع حتى يكون للشرع سلطان اي سلطان على نفسه

هذا هو التعريف الحق عن هذه المحاكم في تقرير وضع نتدقق منه الغيرة الدينية رحمة بمعاهد الشرع الشريف . ونحن نقطف من هذا التقرير ما يدل على الحلال في المحاكم الشرعية . اذ بفضل الاستاذ قد اكتبنا مؤونة البحث في هذه المحاكم من الوجه الذي وضعت له

(١) انما آثرنا نقل ما كتبه حضرة الاستاذ لانه اوى دلالة واوسع اطلاقاً وقوله الفصل في هذه المباحث الهامة والمقاصد العامة ولا زال يفيد الامة حيراً واصلاحاً

قال حفظة الله عن اماكن هذه المحاكم . اذا ذهبت الى ديوان مديرية وارادت ان تعرف محل المحكمة الشرعية في ذلك الديوان فابحث عن ارداء محل فيه تجده مكان المحكمة الشرعية . ثم قال عن فرش هذه المحاكم انه رثٌ قذر وعن الكراسي التي توجد في هذه المحاكم انها من الصنف المعروف بالاخضر . وان وجد عشرة فسته كراسي لا تخلو من كسر . وقال عن حالة الكتبة انهم يشترون الخبر من ما لهم . وانه حفظة الله نظر مضبطة في محكمة من المحاكم طمست سطورها من رداءة الخبر . وقال في ختام كلامه عن محال المحاكم الشرعية انها سبب يجعل المتقاضين ينظرون الى القضاء الشرعي بما يحبط من قدره .

وفي باب الكتبة ما مؤداه . ان اكثرهم لا يعرف كيف تعلم صناعة الكتابة . ولا اين كانت تربته فلذا تكون معرفتهم ناقصة وقليل بينهم الكفو لعمله . وانهم يحفظون الفاظاً وعبارات رديئة التركيب مشوشة التأليف الى ان قال . ثم علمت من اختلاط ارباب الحاجات بالكتاب ما لا يمكن معه انقطاع الشكوى . ومما وضع من القواعد لضبط الاعمال لا يمكن ان يقطع شأفة الفساد مع دوام هذا الاختلاط

وجاء عن القضاة . انه وجد كثيراً من قضاة المحاكم الشرعية خصوصاً في المراكز لا تسر معارفهم الشرعية والنظامية . ولا يرضى العدل في اعمالهم وان الخاذق منهم يحول جميع القضايا تقريباً الى محاضر صلح تجنباً للحكم . ولا يلبث المتصالحان بين يديه ان يختلفا لان الصلح غير حقيقي . وان كثيراً من القضاة يتحاشى سؤال الخصم فيما يهم السؤال عنه خشية التهمة . ولكنه يستبج لنفسه ان ينصح احد الخصوم بان يطلب شطب القضية

وفي الاعمال الكتابية . قال . حفظ كتاب هذه المحاكم الفاظاً معينة يضعونها

في اساليب معتلة مع تكرار بارد يعسر معه الفهم ويسأم منه الذهن . وان لهؤلاء الكتاب جرأة في تعريف الأشخاص من متعاقدين وشهود وجيران في الحدود حتى يضطرونهم الى الكذب . او الى اختراع اسماء يتخلصون بها من جهل الكاتب وحماقته وذكر الاستاذ حفظة الله . انه رأى اشهاداً باقامة الجناب الخديوي ناظراً على وقف في دمياط استغرق سبع صفحات بالخط الدقيق وهو لو كتب بالخطوط المعتادة لاستغرق عشرين صفحة او ما يزيد . ومعظمه من اللغو الذي لا فائدة فيه بل مما يضرب فهم الكلام . وانه اي الاستاذ جاءه رقيم بطريق البريد من احد الادباء يستغيث به مرسله من تكرار لفظ المذكور والمذكورة في عقود المحاكم ومراقبتها . وانه عرض له ان عدد هذين اللفظين في شهادتين صغيرتين فوجدتها تكرراً سبعا وعشرين مرة . ربما يحتاج الكلام الى اربع مرات منها فقط والباقي لغوا معنى له

وقال عما يتعلق بالعقود الواردة من المحاكم المخناطة الى المحاكم الشرعية ما توجه اليه نظر القاري ليقراه من الصحيفة ٢٣ الى ٢٦ من التقرير المذكور وجاء في الكلام على اختصاص المحاكم الشرعية ما يؤخذ منه ان بعض القضاة يلبس عليهم الامر عند التخاصم فيمكنون بعدم الاختصاص فيما هو متعلق بالمواد الشرعية وفي باب المرافعات . والتوكيل في المخاصمات من صفحة ٣٥ الى ٤٤ ما يدل على مصاعب حجة تفضي بالحقوق الى الضياع كما قد يضع الوقت على القاضي في سؤال المتنادي وتعريف الزوج الغائب والزوجة الحاضرة مما يدل على ان الحقوق معطلة والمصاعب دون الوصول اليها غير منذلة مع ان دين الله يسر ولا عسر فيه^(١)

(١) وقد قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحاء ليلها كنهارها

وما ذلك إلا لتمسكهم بالمذاهب والاخذ بظواهرها بدون انعام نظر في مقاصد قائلها . وفي الكلام عن الجلسات في هذه المحاكم انه لا نظام فيها . وان المتخصصات من النساء يلعبن في اطراف المكان وليس في المجلس ما يمنع متكلماً ان يتكلم ولا مشوشاً ان يشوش . واذا دخل على القضاة محترم قاموا له وحيوه والمرافعة جارية . وقد قال الاستاذ انه رأى بنفسه الكاتب ذا سلطة اكثر من سلطة القاضي مما لا يليق بجرمة القضاء الاسلامي الذي كان يعد مجلسه او قر المجلس واعظمها هيبة حيث كان يجلس الخليفة

وفي باب حضور الخصوم ما يشهد معظم الحلل مما يجعل القضايا تشطب او تنظر بعد زمن طويل

وفي باب المرافعة ما توجه اليه نظر القارئ ايضاً ليراه في التقرير المذكور من الامور المضحكة وكذا في باب الشهادات والادلة ما فيه من المباحكات وتضييع الحقوق على كثيرين وكذا في باب التنفيذ امور تجعل التنفيذ كعدمه لقلة اهتمام اولي الامر في المحافظات والمديريات

هذا مختصر مما بينه الاستاذ حفظه الله في تقريره المذكور . ومن يعرف عطل الاشغال في هذه المحاكم الشرعية وما يجري فيها من شهادة الزور^(١) وتلاعب المأذونين في عقود الزوج الذين اكثرت الناس الشكوى منهم . واتعب الحكومة امرهم وعم ضررهم الازواج والزوجات وادخل بسببهم في الانساب ما ليس منها . ومن يعرف

(١) حدث احيراً من بعض الشهادات امام محكمة مصر الشرعية الكبرى ان الشاهد يؤدي شهادته من ورقة فيها صورة الشهادة . وقد نظرت محكمة الموسكي الاهلية الجزئية في هذه القضية يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٩٩ وبعد ان اعترف المتهمون بذلك ودافع عنهم المحامون دماً طويلاً حكمت المحكمة عليهم بالبراءة . نظراً لان القانون لا يعاقب شاهد الزور الا اذا حلف اليمين والا فلا تعتبر شهادتهم

ان المحاكم الشرعية فيها الآن من التلاعب بالحق والباطل ما فيها وعرف ان حجابها يستبدون ومحاميا قد نسخوا الشرع باقوالهم . علم ان الشرع اصبح منسوخا بسببهم حتى كثرت المساوىء وذهبت الغاية المقصودة منها . وغير ذلك كثير يحصل في مسائل المواريث وغيرها ولذلك يطلب العالم بهذه المساوىء مع الطالبين الى ولاية الامور الاسراع بادخال الاصلاح الحقيقي الذي ذكره فضيلة مولانا المفتي في تقريره رأفة بالعجزه الذين لا قوة لهم وبالامهات والاطفال والضعفاء الذين لا سند لهم والذين جرم نكد طالعهن المقاضاة امام هذه المحاكم . وليس بعزيز لوه اخلصت النية في اصلاح المحاكم الشرعية ان تهدي الامة الى شرعها الشريف الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم وقد جعل الله فيه صلاح الدين والدنيا معا فعسى قومنا يتأملون والى شرعهم القويم يرجعون فقيهو كل الخير والصلاح والنجاح

المدارس والتعليم

المدارس الابتدائية

كان التعليم في مصر من عهد غير بعيد اجبارياً . ولاجل ان يعلم القارىء حقيقة احوال المعارف في الازمنة الغابرة وطرق التعليم فيها نذكره بالحالة التي كان عليها قطرنا قبل وقتنا هذا بمئة عام ليقس بمعيار ذكائه درجة العلم في الماضي بعلم وقتنا الحاضر فنقول

كانت بلادنا المصرية منذ مئة عام او تزيد غارقة في بحار الجهل والخرول بسبب تملك دولة المماليك عليها . والولاة الذين كانوا يولون تباعاً بعد انقراض هذه الدولة من قبل دولتنا العلية صاحبة الدولة وقتئذ ولا يمكنون الا قليلاً ريثما ينالون

غرضهم في زمن تولايتهم . وهو جلب المنفعة والمغانم اليهم بأية وسيلة كانت . ولذلك السبب لم يعبأوا بنشر التعليم ولم يهتموا به وجاراهم في ذلك المسلمون منا اقتداءً بهم فلم يهتموا ايضاً بتحصيل العلوم والمعارف في زمن هؤلاء الولاة الغاشمين الا القليل منهم فانهم كانوا يقفون انفسهم على تعليم الدين في الجامع الازهر العمور . اما غيرهم من الطوائف الاخرى فصرفوا جل اهتمامهم الى حفظ حياتهم وكيانهم بالعلم . ودليلنا على ذلك ما كان عليه الاقباط من المنزلة الكبرى في مناصب الدولة المصرية والمقام الاعلى فكانوا متقلدين وظائف حسائية وكتائية وادارية كلها على جانب عظيم من الاهمية والخطارة دون منازع او مزاحم لانغاس المسلمين في بحار الجهل واستصغارهم لامثال هذه المناصب التي لا تليق على زعمهم باصحاب البلاد نظيرهم

على انه ما مضى زمن كبير يذكر حتى من الله سبحانه وتعالى على بلادنا وعلينا بولاية المرحوم الحاج محمد علي باشا كبير الاسرة الخديوية الكريمة . الذي نظر لامر التعليم نظرة الحكيم العاقل فوجه نظاره الى المعارف وخطا فيها الخطوة الكبرى مما لا يزال أثره باقياً بيننا للآن . وبين ظهرانينا الآن بضعة من اولئك التلامذة الذين درسوا في المدارس التي أسسها رحمة الله من ابتدائية وتجهيزية وعالية

وكانت العلوم التي يتلقاها الطلبة فيها من هندسية فطبية على نوعها البشري والبيطري فسكرية فملكية . وكان اثابه الله وطيب ثراه يجبر اهالي التلامذة على ارسال اولادهم الى المدارس المجانية التي كان يصدق عليها من فيوض مراحه واحساناته . وكان يبعث بالنابع منهم الى اوربا لتعليم العلوم العالية حتى اذا عاد استعان بامثاله^(١) في القيام باعباء الوظائف في خدمة الحكومة وتنظيم شؤونها^(٢) ودام على

(١) ومع هذا فلا ننكر ان بعضاً من المتعلمين في البلاد الاوربية لم يجعلوا في المناصب التي يليق بهم ان يكونوا بها فضاع كثير مما كان يؤمل ان ينمو بيننا نمواً حقيقياً فان كثيراً

عمله هذا حتى توفاه الله وخلفه من بعده ابناءؤه الكرام الذين حذوا حذوه سيرة
 عمله المشكور الى زمن الخديوي الاسبق "اسماعيل باشا" رحمه الله الذي تقدمت
 المعارف في اول عهده ونمت واخرجت العلماء والفضلاء فكانوا منارة ساطعة في
 ظلام الجهل وائمة تحج اليهم ركاب الطلاب من كل صوب وناد. ولكن لم يكد
 التعليم يبلغ ذلك المبلغ الكبير حتى اخذ في اواخر ايامه بالتأخر والهبوط وابتدأت
 المعارف في هبوط مستمر وخصوصاً قبل ايام شوب نيران الثورة العرابية وما بعدها.
 التي اوجبت تشويش كل عمل نافع في ذلك الحين وبعده. فاعتري ازهار
 المعارف اليانعة الذبول واقمار العلوم المشرقة الافول وعفت آثار العلم وعالت عناك
 النسيان والاهمال جدرانها وكادت يد الاقدار تحوما خطته يد التقدم من الفنون
 لولا ان قبض الله محيي مواتها ومجدد آثارها سليل المجد وريب الكفاءة ساكن
 الجنان المرحوم "توفيق باشا" الخديوي السابق الذي في عهده انتعشت روح العلوم
 وعادت الى سابق مجراها ولكنها لم تكن لتصل الى ما وصلت اليه من قبل. وسبب
 ذلك عدم الاهتمام الذي اظهره المخلون للبلاد وقلة ما هو مخصص لها في ميزانية
 الحكومة

ويكاد المستفسر عن ذلك يعلم من متولي ادارة المعارف قولهم ان على الاغنياء
 والموسرين ان يتبرعوا بشيء من اموالهم للاعمال اللازمة لنظارة المعارف وان

من الذين اتقوا الرياضيات والطبيعات لم تستقر وظائفهم على ما علموه ليكونوا عاملين حقيقة
 بل جعلوا في وظائف وان تكن سامية ولكن مجزاوتهم لها اهملوا ما كان ساطعاً في نفوسهم ففقد
 القطر الانتفاع بما عندهم في الوقت الذي كان احوج ما يكون اليهم وعلى كل فان ما تحصلت
 عليه مصر في ذلك الحين لم يكن منتظراً ان تحصل عليه بيضة قرون ولله في خلقه شؤون
 (٣) توجه التفات القاري الكريم لقراءة ما كتبه المغفور له علي مبارك باشا في كتابه
 "الخطط التوفيقية" المطبوع سنة ١٣٠٦ هجرية عن تاريخ حياته

يتباروا في ميدان البذل والعطاء كما جرت عادتهم في بلادهم فاصلوا بهذه الوسيلة منار العلم والادب بين ظهرانيهم سعياً وراء الارتقاء لان المرء عليه ان يتوخى في اعماله نفع وطنه وبلاده وهذا اعظم سر لارتقائهم في مضمار الحضارة والعمران في هذا الزمان . وانت لو اعترضت عليهم لحاجوك بقول آخر . وهو لماذا لم تساعد الاوقاف على انتشار المعارف وانتشار المعارف كما تعلم عمل يرضى به الواقفون لكونه عملاً خيرياً . فان اجبتهم ان بين المعارف اوقافاً يبلغ ريعها من ٣٠ الف جنيه الى ٣٥ الفاً كل سنة وقفها الكثيرون من اهل الخير كما اوقف ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديوي الاسبق على الكتاتيب الاهلية تفتيش الوادي وزوائد المساحة في المديرية والحصص التي آلت الى بيت المال . اجابوا انه واجب على الامة انفاقها على المعارف لاجيائها وتعميمها ليعود عليها وعلى ابناءها بالرجح فيرتفع شأن الوطن والوطنيين ويزيد العلم في مجدهم ونفارهم لان المرء يعتز بعز أمة ويذل بذلها وما مدارس الحكومة الأمثال للمدارس الخصوصية ينسج على منواله الناسجون . نعم لا مرء في ذلك كله ولكن كيف تفهم الامة ذلك وهي في حالة ظاهرة من التأخر ولو انه قد ثبت بالاستقراء ان المصريين ليسوا اقل من الانكليز والفرنسيين سخاءً وبذلاً للمال ولكن اكثرهم لا يضعون كرمهم في مواضعه ليحوا منه الثمر المطلوب ويعود بذلمهم بالنفع عليهم . وقد ادرك الكثيرون ذلك اخيراً فانشأوا المدارس الخاصة بهم لتعليم ابناءهم وتنافسوا فيها ولكن لا يزال المسلمون وهم الاكثر عدداً اقل هممة من الطوائف الاخرى المتألفة منها الامة المصرية لقلّة المطلاع على فائدة التعليم منهم . وبيان ذلك نقول لما علم نبياء الامة القبطية ان لا وسيلة لبث العلم والمعارف الا بالمدارس الاهلية الخاصة على التعليم لينشأ فيها رجال الغد مستكملين للفضائل عالين بمعرفة ما ينفع وما يضر بلادهم وابنائهم . نهضوا نهضة

كبرى لانشاء المدارس الاهلية ولم يدعوا فرصة تذهب سدًى لتشييد اركان
المدارس وتوطيد دعائمها فايضت عندهم رياض المعارف وسارت مدارسهم على منهج
من التقدم قويم . إلا نحن معاشر المسلمين فانا رغبتنا عن السعي وجعلنا دأبنا وديدتنا
التنديد على الحكومة لانها على مذهبنا ملزومة بتعليم اولادنا مدفوعة بحق الحكم الى
ترقيتهم في معارج التربية والتعليم وعكفنا على التنديد اعواماً كثيرة ولا تزال حتى
الآن مع علمنا بان باقي الطوائف قد اهتمت بتعليم اولادها باعتمادها في ذلك على
نفسها وعلى غيره افرادها حتى تقدموا وتأخرنا نحن لاصرارنا على مطالبة الحكومة
بتعليم اولادنا وعدم اهتمامنا بان نعلمهم بانفسنا وقد تمر السنين ويشب الولد ويكبر
ونحن تناسى واجباتنا القومية في هذا المطلب سائلين الحكومة المبادرة الى عمل
ما نظنه من واجباتها دون ان تقتدي بالطوائف التي تسعى لازالة عوائق التقدم من
سبيل غايتها المجيدة وازالة كل آفة تلحق بسير التعليم ضرراً حتى حصدوا اخيراً نباتاً
جيداً ونحن حصدنا نتائج اهلنا وعاقبة تقصيرنا^١ ثم هم يطلبون الاحسن فائدة
لتقدمهم مشمرين عن ساعد الجد باذلين قصارى الجهد . وما حملهم وحقك على
الجهاد في سبيل التعليم غير علمهم بان لا شيء يخول للسيد سيادته وللخادم خدمته
الأسبب معرفة الاول بما يوصله للارتقاء وعدم معرفة الثاني ما يرقيه في مدارج
العلاء . نعم لا تنكر فضل الهمة التي ظهرت اخيراً ولكن ذلك قليل على امة
تعدادها يقارب تسعة ملايين من النفوس . ولسنا في الحقيقة الا متأخرين اذ لو
قابلنا بين عدد المدارس الاهلية الاسلامية والمدارس التي للطوائف الاخرى في

(٥) ان نسبة المسيحيين الى المسلمين اقل من نسبة ٢ الى ١٠ ومع ذلك فعدد التلامذة
المسيحيين الذين نالوا الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٠ ٢٥٠ اي اكثر من ثلث التلامذة الذين
نالوا الشهادة كلهم

كل بلد لوجدنا ان نسبة ما للطوائف الاخرى يضاى عشرة اضعاف مالنا . خذ
لذلك مثلاً اي بلد شئتُ تر صدق ما نشير اليه . ونحن تقدم لذلك مثلاً مدينة
سوهاج في الوجه القبلي فان فيها خمس مدارس وطنية عدا مدرستها الاميرية منها
واحدة للمسلمين واربع للاقباط وكذلك المنيا فيها سبع مدارس غير مدرستها
الاميرية واحدة للمسلمين وست لاخواننا الاقباط ولا يعزب عن فكر القارىء ان
مدارس الاسلام قاصرة على تعليم الذكور اما مدارس المسيحيين ففيها من الذكور
والاناث على السواء والفضل كل الفضل في انتشار مدارس المسيحيين انما هو
لجمعياتهم . التي اوجدت فيهم النهضة الحقيقية في طلب المعارف . واذا دامت
نهضتهم هذه وعمت جميعهم لم يمر عليهم زمان طويل حتى يصبحوا في المعارف من
الذين يشار اليهم بالبنان ونحن يشار اليها بالعباوة والجهل . ولكن نهضتهم وتأخرنا
عائق مهم لتقدم مجموع الامة اذ هم بالنسبة اليها كنسبة ٦ الى المئة ونحن كنسبة
اكثر من ٩٢ في المئة بحسب الاحصاء الاخير فكيف تعز الامة المصرية والشطر
الاكبر منها جاهل واجبات الحياة والارتقاء . ان نهضة الاقباط حقيقة شهد بها
الكل واية شهادة اكبر من شهادة اللورد كرومر في تقريره الاخير من ان المسلمين
في مدارس الحكومة اقل من ٨ في المئة وعدد التلامذة من الاقباط في المدارس
الاميرية ١٧ في المئة فلا بد لذلك من سبب ٢٢ والسبب هو انا نرى منهم حياً
للتعليم واقداماً شديداً عليه وولوعاً بالتقدم . غير اننا نذكر علة هي السبب المهم
لانحطاط التعليم عندنا معشر المسلمين وهي نتيجة من فكر متسلط على الاغلبية منا
وهو قولنا عن مدارس الاجانب انها تميل لقلب التلامذة نحوهم ونحو دينهم . ولذا
نحجم عن ارسال ابنائنا الى مدارسهم ونحرمهم من التعليم فيها بيد ان الطوائف
الاخرى المسيحية قد عكفت على ارسال ابنائها اليها فنجحوا وتقدموا ونحن لم ننتبه

لهذه الغلطة ونقدم على انشاء المدارس التي تعيننا عنهم والتي نحن احوج اليها منهم
 الآ في هذه السنين الاخيرة وما سبب ذلك الا انقسامات الدين فان المسيحي يظن
 ان بواسطة ادخال ابنه لمدارس المسلمين يسلم والمسلم يظن ان بواسطة ادخال ابنه
 المسلم لمدارس المسيحيين يستنصر. وفي ذلك ما يدل على استحكام الجهل في عقول
 الآباء. " وقد كان الجهل هذه المرة مفيداً في الاقدام على التنافس " وتملك
 ملكة الانقسام بين العنصرين الوطنيين لدرجة توّدي بهم للهلاك وهم لا يدركون
 والّا لو علموا الواجب وتركوا الانقسامات من بينهم لانشأوا المكاتب لقبول
 الطلبة من المسلمين والنصارى معاً على نسق المكاتب الرشدية الموجودة في بلاد الدولة
 العلية التي يبلغ عددها المائة ما بين داخلية وخارجية ولا تمتنع ما نشاهده الآن
 من احجام اب التلميذ عن ادخال ابنه للمدرسة التي تكون من غير مذهبه وملتوه
 كما هو مشاهد في مدارس الجمعيات الاسلامية والجمعيات المسيحية. فانه مع
 عدم وجود المدارس للمسلمين في بلد يمتنع الآباء عن تعليم ابنائهم وكذلك تفعل
 امة الاقباط وغيرهم لو لم يكن لهم مدرسة والسبب هو الانقسام المتقدم ذكره.
 وجهل الاساتذة هو سبب آخرهم - هذا وتبين للقارىء باجلى بيان عدد
 مدارسنا الاهلية الاسلامية ومدارس الطوائف الاهلية المسيحية ليتأكد لديه قلة
 مدارسنا وكثرة مدارسهم. نذكر ذلك على سبيل التنافس العصري المؤدي بالعقلاء
 الى التمسك باهداب العلم والترية والذي هو سبب يجعل القوة في جانب القلة كما
 يجعل الضعف في جانب الكثرة حتى لا يضيع الوقت بالمجادلة وتقرع الحكومة
 والطلب منها تعليم اولادنا. والله يعلم ما نرعي اليه. فتقول: اشتغلت الافكار من
 عهد قريب بنشر التعليم في البلاد حتى انتهت الحال الى تأسيس بضع مدارس اهلية
 في البلدان ففي الوجه القبلي تأسست مدرسة زعزوع بك بني سويف ومدرسة علي

بك رفاهه في طهطا وبعض مدارس لافراد آخرين عددها قليل . وفي الوجه البحري وبالاخص المنوفية جمعية المساعي المشكورة التي لها ستة مدارس وفي الاسكندرية جمعية العروة الوثقى التي انشأت من المدارس ايضاً ما يقرب من هذا العدد . وفي القاهرة مدارس ايضاً اشهرها مدرسة القره جلي ومصطفى كامل وولي العهد والعثمانية والعزبة المتقدمة التي انشأها سمو مولانا الخديوي المعظم . وبعض مدارس ايضاً للافراد لا يتجاوز عددها الست

أُنشئت هذه المدارس وسببها التنافس العصري كما قدمنا فاذا اضفنا عدد هذه المدارس الى عدد مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية الاربع التي سبقت الجميع في انشاء المدارس وجدناها لا تتجاوز الثلاثين عدداً وكلها مدارس اسلامية . اما لو قابلنا عدد المدارس التي للطوائف الاخرى فاننا نجد ان عددها اضعاف ما لنا من المدارس بكثير فللاميريكان وحدهم على ما جاء في تقريرهم الصادر في سنة ١٨٩٨ ١٨٠ مدرسة وللفرير والجزويت ما يقرب من الستين مدرسة . ولاخواتنا الاقباط الارثوذكس مدارس تابعة للبطركخانة عددها تسع وللجمعيات وللافراد مدارس عددها ٦٥ مدرسة وقد وقفنا على هذا العدد من تقرير المرسلين الاميريكان والفرير والجزويت ومن حضرة وهي بك ناظر المدارس القبطية ومن حضرة رئيس جمعية التوفيق وقد اخذت من حضراتهم كشوفات موضحاً فيها عدد المدارس والتلامذة التي بها فسرتني ما علمته من النجاش الباهر . واني اقدر عدد تلامذة هذه المدارس باربعين الف تلميذ وكان بودي درج الكشوف لولا خوف الاطالة وسامة القارىء وكفانا دليلاً على صدق ما تقدم عننا وكفاهم فخراً على تقدمهم . انهم اول من فتح المدارس في ام درمان وباشتر التعليم فيها بعد طول انقطاعه عن الامة السودانية فان جماعة الاقباط الارثوذكس المستخدمين هناك اكتبوا بواسطة

اسقفهم وجمعوا مقداراً وافراً من المال ثم ساعدتهم جمعية انتشار الدين المسيحي ايضاً بمبلغ ٢٥٠ جنياً مصرياً فانشأوا بالدرام التي جمعوها على هذه الكيفية مدرسة فيها على ما جاء في الجرائد ٥٠ تلميذاً مسلماً و ٢٧ مسيحياً و ٣ اسرائيليين^(١) فاذا عرفت هذا جميعه وعرفت الاسباب الناتجة من قلة التعليم فينا وأنا اقل هممة في التجارة والصناعة كما سبين ذلك فيما يلي . فلا تقع باللائمة على الحكومة ونحني عليها بالتقريع ونقول عن الغير انهم نائلون اكثر من استحقاقهم في الوظائف وغيرها . كما ذكرت ذلك احدي الجرائد في احد اعدادها . بل حجب الى قومك تعليم ابنائهم وبناتهم واستنفروهم لفتح المدارس وتهيئة الاسباب التي تعدهم للارتقاء والنجاح فقد سلك من تقدم هذا المسلك وفاز في ميدان الحضارة والعمران ونال قصب السبق على الاقران

المدارس التجهيزية

جميع ما تقدم ذكره خاص بالمدارس الابتدائية الاهلية . اما المدارس التجهيزية التي هي الوسطة بين العلوم الابتدائية والعالية . والتي هي من كليات المدارس وضرورة وجودها لازمة في وقت تهيأت لقبولها النفوس لسطوع نور العلم والمعرفة سيما وقد مكنت فيه الاستعدادات التي تؤهلها للظهور . وغير خاف ان النفوس راغبة في العلم ترجو ان تفتح امامها وسائل الارتقاء والعمل لتربية الشبية على تنمية عقول افرادها وتثقيفهم ليعملوا على ارتقاء امتهم وحفظها بهوامل المعرفة والعلم . وحتى تكون حلقة العلوم متواصلة مرتبطة

(١) راجع عدد ١٣٧٣ من جريدة مصر والمقطع الصادر في ٢٣ اغسطس سنة ١٩٠٠

ان شئت البحث عن هذه المدارس التجهيزية رجعتُ والنفس آسفة لعدم وجودها بين المدارس الاهلية . بل هنالك شبه مدرسة تجهيزية لاختواتنا الاقباط الارثوذكس بالقاهرة وأخرى مثلها للمرسلين الاميريكانيان بسيوط وثالثة هي عبارة عن قسم تجهيزي في مدرسة خليل اغا بالقاهرة توفيق اخيراً ديوان عموم الاوقاف الى انشاءه . اما بين مدارس الحكومة فثلاث مدارس اثنتان بمصر والثالثة بالاسكندرية جميعها غير كاف لمن يخرج من المدارس الابتدائية المتقدم ذكرها . فضلاً عن مدارس الحكومة

فلذا شعرت النفوس الشريفة بهذا النقص من عهد ليس بعيد . وكتبت الجرائد عن مسيس الحاجة اليه فصولاً اضافية . ولكن للآن لم يهتد الاغنياء في الامة الى السعي في انشاء مدرسة أهلية من هذا القبيل مسلمين كانوا او مسيحيين لانه لا يزال في نفوس هاتين الطائفتين الظن انه من الواجب على الحكومة ان تنشئ لهم من هذه المدارس ما يكفي عدد المتخرجين من مدارسها ومدارسهم الاهلية وقاتهم ان هذا عين الخطاء الذي كانوا يطالبون به الحكومة قبل انشاءهم المدارس الابتدائية الاهلية

وليس من الصعب ان يتحد ارباب المدارس الاهلية على ايجاد كلية لهم او بالحري مدرسة تجهيزية تسد عوزهم وتقوم بحاجتهم وهذا الواجب ملق على عاتقهم وعائق من يمكنه ان يجمعهم على هذا وهو اولى بهم من دائرة معارف اهلية فان هذا العمل الاولي هو الباب الذي يدخل منه الى تلك وما علينا الا ان نستفز حميتهم وغيرتهم ونسأله تعالى ان يوفقهم لصالح الاعمال ويجمع قلوبهم على حب الخير العام والقيام بما يعلي شأن الامة ويصلحها امين

المدارس العالية

المدارس العالية في القطر المصري عددها قليل واحتياج القطر اليها عظيم
 لمحبة اهل العلم في الوقت الحاضر اكثر مما في الزمن الغابر
 وليس في القطر كله من المدارس العالية الا بضع مدارس للحكومة فقط واغلبها
 يدل على اعناء المرحوم الحاج محمد علي باشا بالتعليم كما تقدم بيانه فلطلب مدرسة
 واحدة حاضرها متأخر عما كان عليه قبلاً في زمن مؤسسها رحمه الله . ينفر من
 دخولها التلامذة لقلة انصاف الحكومة للمخرجين منها . فان التلميذ بعد ان يجوز
 الدبلوما يتقاضى راتباً قدره ثمانية جنيهات في الشهر . وهو مبلغ حقير لقاء عمل
 كبير . وناهيك بدراسة فن الطب فان له من الصعوبة في الوقوف على حقائقه ما
 ربما يتقضي العمر ولا تنقضي معرفتها ومن الغريب لدى الحكومة ان تعطي اقل
 مستخدم من عملها كالكتابة وخلافهم عشرة جنيهات في الشهر والطبيب ينقد من
 فيوض كرمها ثمانية جنيهات او اقل فلا بدع ان قل الراغبون في دراسة هذا الفن
 الجليل . ولا غرابة ان نرى اغلب الاطباء الموظفين في الجيش المصري من
 السوريين المتخرجين من مدارس الاميريكان في بيروت

اما عن مدارس الصناعة فليس للحكومة منها الا اثنتان احدهما في القاهرة
 والثانية في المنصورة . اما المدارس الصناعية الاهلية فلا يوجد منها شي^(١)
 ومدارس الزراعة لا يوجد منها سوى واحدة وهي ايضاً للحكومة . ولا يخفى عليك
 احتياج القطر وهو زراعي محض لمدارس الزراعة . وافتقار اهلها اليها اشد مما يتصور

(١) وغاية ما يعرف عن مدارس الصناعة الاهلية ان في عزم جمعية العروة الوثقى الخيرية
 الاسلامية اشاء مدرسة بالاسكندرية بما جمعة من الاكثاب اخيراً وبما فضل عن مال
 الجمعية البالغ قدره ٤٣٥٠ جنيهاً الأكر الجنيه

الذهن بكثير مما سيظهر معنا فيما يأتي . وهذه المدرسة تخرج منها في السنة الماضية تسعة تلامذة فقط اثنان منهم من الاجانب (اليونان) والسبعة الباقون من الوطنيين . فالاولان ايا الا الاستخدام في اطيانهما والقيام على غرسها ونميتها . والآخرون استخدم بعضهم في بعض التفاتيش والبعض الآخر في مصلحة الدومين^(١) اما مدارس التجارة فلم يتح الله للقطر منها شيئاً كما لم يتح للشرق باسره بذلك اذ لو فتشت عن مدارس التجارة في كل بلدان المشرق لا تجد سوى قسم صغير في المدرسة الكلية الاميريكية في بيروت " كان الشاؤء في اول هذا العام ولم يكن من قبل موجوداً " فلا عجب اذاً من تأخر التجارة على ما سيأتي القول عنها في موضعه^(٢)

غير انه يوجد مدرسة للحرية واخرى للمهندسخانة ومدرسة واحدة للحقوق من اشاء الحكومة . ومن امثال هذه الاخيرة يوجد قسم ليلى لتعليم الحقوق تحت مباشرة جماعة النزلاء من الفرنسيين . وهذا القسم كان سبباً مهماً لمن تعلم فيه من جماعة المستخدمين للانفكاك من قيد الاستخدام في الحكومة ومباشرة حرفة المحاماة . اما مدارس التلامذة " المعلمين " فلا يوجد الا مدرسة منها واحدة وقسم للمعلمين بمدرسة التوفيقية . ولا يوجد قسم ولا مدرسة لاجراء المعلمات ليباشرن تعليم البنات ولما كانت معلمات البنات المصريات من متخرجات مدارس سوريا

(١) جاء في تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠١ ان في هذه المدرسة الآن ٥٤ تلميذاً ٣٤١

منهم مصريون و٢٠ اوريون . اي نسبة من فيها من الاجانب اكثر بكثير من الوطنيين

(٢) بينما نحن نكتب هذا علمنا ان جماعة من اليونانيين القاطنين بمصر قد رأوا ان

ابنائهم في حاجة شديدة لتعليم اصول التجارة وقواعدها حتى ينبغ منهم التجار . فعقدوا النية على تأسيس مدرسة وجعلوا رأس مالها ٢٠٠٠ جنيه في احدى الامر تجمع بطريق السهم وكل منهم قيمته اربع جنيهات فتأمل

هذه هي حقيقة حال المدارس العالية في القطر المصري . ومنه يظهر عظم الحاجة وشدة الافتقار الى العلوم العالية . حتى يرجع للامة بعض المجد والسؤدد الذي نعلمه من مطالعة كتب التاريخ من انه كان منا الاساتذة في الطب والكيمياء والطبيعة والعلوم الرياضية والصناعية والتجارية وعلوم الحقوق والفلسفة والجغرافية وعلم الاقتصاد وغيرها

مدارس تعليم البنات .

تعليم البنت فرض من فروض الانسانية وركن من اركان المدنية . لان الله اوجدها شريكة للرجل ومساعدة له وعاضدة اياه في شؤونه فهو بدونها ناقص تدفعه الطبيعة نحوها لسد الخلل الموجود فيه . هذه سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فاذا كانت عاضدة الرجل ومكلمته مهذبة معلمة مدبرة ذات اخلاق راضية اثرت على الرجل بل كانت اكبر عامل على انحيازها اليها والتمسك بعادتها والتخلق باخلاقها وبهذا عمار الكون

ومن الغريب ان تعليم البنت المصرية منذ بضع عشرة سنة كان لا يعرف عند المصريين كافة لجهلهم فائدة تعليمها ولزعمهم ان البنت اذا تعلمت وثقفت ترجع بالضرر على العائلة وتكون في عرفهم اهلاً للمغازلة والمكاتبه مما يفسد الاخلاق . عكفوا على هذا الزعم مسلمين واقباط . لان عوائدهم واحدة واخلاقهم واحد لا فرق بينها . وظللت الحال على هذا حتى اهم الله ولاية الامور وانشأوا المدارس لتعليم البنات . قامت الحكومة اولاً بتأسيس مدرسة غير ان الامة كانت تنفر من هذه المدارس نفور السليم من الاجرب . حتى ان هذه المدارس كانت لا تحتوي

الأعلى البنات اللقيطات فكان بعضهن بعد ان يتعلمن القراءة والكتابة يتلقين دروس فن الولادة وتطبيب النساء في قسم خاص لمن بمدرسة القصر العيني اما الاجنبيات من جماعة النزلاء الافرنج في البلاد فكان لمن مدارس اهلية مخصوصة يتعلمن فيها . الى ان وفدت بنات سوريا على مصر بعد ان تعلمن في مدارس الاميركان وغيرها في بلاد الشام . فاتحدن مع المدارس الاهلية للاميركان والفرير والجزويت وفتحن ابواب مدارسهن للبنات المصرية . فكان الاقبال عليها من بنات سوريا لاغير . وظل المسلمون والاقباط على زعمهم بانها لا يجوز تعليم البنات لان التعليم مضر بها فلذا تقدمت البنات السورية ايضاً تقدماً يسيراً الحاضر على البنات المصرية مسلمة كانت او قبطية

غير انه لما ظهر نفع التعليم والارشاد للبنات باجلى بيان ترك الاقباط المسلمين على زعمهم الذي كانوا متمسكين به معاً . وتقدم قسم من الاقباط لتعليم البنات فنجح وما زال الاقبال منهم يتلو الاقبال حتى ظهرت لهم منافع ذلك فاقبلوا عليه بعد ان كانوا مدبرين وادخلوا بناتهم في مدارس الحكومة ومدارس الاميركان والراهبات . الى ان ضاقت بهن على سعتها فقاموا اخيراً « والفضل لجمعياتهم » وانشأوا دور التعليم الخاصة لمن واخذت البنات السورية تدأب على تعليم اختها المصرية

ومن مطالعة تقرير المرسلين الاميركان يظهر ان عدد البنات عندهم بلغ في سنة ١٨٩٨ - ٣٢٢٠ بنتاً كلهن من بنات الاقباط الأقبليات يُعددن بالعشرات من بنات الاسلام . وكذلك يظهر من الكشف الذي اخذناه من ناظر المدارس القبطية ان لدى مدارس البطريركخانه ٤٢٥ بنتاً وكذلك ظهر من الكشف الذي اخذناه عن مدارس جمعيات « التوفيق » ان لديها ما يقرب من الفين وخمس مئة بنت . اما لو اضعنا الى ما تقدم عدد البنات اللواتي في مدارس الحكومة ومدارس

الراهبات وغيرها بلغ عددهن ما يقرب من الثمانية عشر الف بنت مصرية قبطية .
كلهن يتعلمن نظام بيوتهن . مع هذا العدد العظيم لا يتجاوز عدد البنات المسلمات
اللواتي يتعلمن الفين وخمسمائة بنت لقلّة اهتمامنا لتعليم البنات او توجيه العناية من
موسرينا الى انشاء المدارس لها ^(١)

ولسوف تجني الامة القبطية عن قريب ثراً طيباً صالحاً هي في حاجة اليه
مثلنا . اذ لو فرضنا ان هؤلاء الثمانية عشر الف بنت . هن في سن العاشرة وعرفنا
ان زواج البنات المصرية على الاغلب في سن الثامنة عشرة عرفنا انه بعد نهضي ثمانى
سنوات يكون لدى هذه الطائفة ثمانية عشر الف بيت منظم مرتب فيها من يساعدن
ازواجهن على مكافحة الزمن والفاقة اذا زلت . فيها من يساعدن ازواجهن على تربية
ابنائهم . من يساعدن اهليهن على معرفة صلاحية وتطهير المنزل وتنقية هوايه
وترتيب الاثاث فيه مع التوفير في اللبس وغيره . وهكذا يستمر تقدمهم على هذا
النوال اذ في كل سنة يخرج من بناتهم مثل هذا العدد

ودعنا نحن معشر الاسلام تنفر من تعليم البنات ونحلج بعدم جواز ذلك .
وتقول بان المعلمات اللاتي هن اهل لتعليم بناتنا لا يوجدن فيما بيننا وان وُجدن
فعددهن قليل في بلادنا المصرية او انهن غير اكفاء للتعليم والارشاد وان كانت
هذا الاحتجاج الصياني مردوداً ومردولاً لما نعلمه من ان في البلاد السورية التي
هي على قرب منا كثيرات من المدرسات اللواتي مارسن صناعة التعليم . ولا بأس
من احضار بعضهن للتدريس والتعليم . حتى اذا وُجد من البنات عندنا من يكون

(١) استغفر الله . في عزم فرد فاضل منهم (احمد باشا المشاوي انشاء مدرسة لتعليمهن
في طنطا وفي عزمه عند انمامها الشروع في بناء مستشفى للرغى والمساكين . انظر جوابه لخصرة
الدكتور شبلي شمبل المدرج في عدد المقطم الصادر بتاريخ ٤ أكتوبر سنة ١٨٩٩

في امكانهن القيام باعطاء الدرس والتعليم نستعيض بهن عن المدرسات السوريات
وليس في ذلك عار علينا ما دام السلف الصالح تلقى العلوم العالية من كتب اليونان
والرومان وغيرهم من الاعجام والامم السالفة . وهاته السوريات اقرب الناس منا
واحسنهم مودة الينا فهلاً نرضى ان نتساوى وسائط الترقى بين ابناء الوطن الواحد
في هذا العمل الصالح والله سبحانه وتعالى يقول (من عمل صالحاً من ذكرٍ او أنثى
وهو مؤمنٌ فلنجنيه حياةً طيبةً ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)

الجمعيات

وجدت الجمعيات في الاسلام حين وجد . وناهيك بالجمعية الاولى . التي
كانت اول جمعية ومعاهدة اسلامية . وهي المسماة "بيعة الرضوان" عقدها النبي
" صلى الله عليه وسلم " وبايعه فيها الاصحاب العشرة الكرام . بعد التمام تحت
الشجرة لجمع الكلمة وظهور الرسالة . ثم ان هؤلاء العشرة اصبحوا مئات والوفاء بعد
ذلك . ولورجعنا الى البحث والاستقراء لعلمنا كيف تجتمع الاجسام وتتألف
القلوب وتجتمع الكلمة والمتأمل في سيرة الاسلام الاولى يجد ان الجمعيات لم يخل
منها قطر من اقطاره وكانوا يقتبسون من نورها الاستبصار والاستبشار " حتى ان
الآثم بعد دخوله اليها يخرج بالفوز ويحظى بالسعادة والقانط بدخوله اليها يخرج
وهو اسد ما يكون رجاء يرتاح الى العمل وتفريغ عليه السكينة بعد الدهشة والراحة
بعد الحيرة "

وتلك الجمعيات كانت في زمن انتشار المعارف والعلوم اما وقد عمت الظلمة
بعد ذلك النور بتلك الجهل لنفوس الكل فحاضر الجمعيات الاسلامية من التنازل

على ما نعلم وعلى الاخص بمصر نعم لا ننكر فضل الجمعيات الموجودة حالاً مثل الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقى^(١) والمساعي المشكورة . وجمعية طبع الكتب العربية . الا انها وبيا للأسف اقل من الواجب ان يكون في امة استولى عليها الجهل بعد العلم والفساد بعد الرشاد حتى انحط ابناؤها وبناتها الى ما تراه في حاضرها من فهمهم معنى الغرض من الجمعيات الى قصد الضحك والمجون والتكلم " بالانقاط " يتلقاها الكل من الاوياش بالقهاوي والافراح بدلاً من مجتمعات العلم والعرفان . ومن الغريب ان تدوم هذه الجمعيات الهزلية ولا تدوم تلك الجمعيات المفيدة التي شرع فيها بعض النبهاء . فانك لو شئت تعدد الجمعيات التي قامت لغرض شريف ثم عفت آثارها لعجبت . وعلى الاخص اذا علمت ان الذين انشأوها من ابناء المدارس ومشايخ الازهر وبعض رجال الفائدة والعمل وما سبب عفا آثارها واندثارها الا عدم تكوينها على اساس متين فلذا ينحل عراها في اقرب وقت وتصبح في خبر كان . ولو كان منشؤ الجمعيات التي عفت آثارها من ذكرنا فقط لالتسنا لهم عذراً يقبل ولكن ما قولك في جمعية ظهرت واخفت بسرعة هجينة . ولو كان من اعضائها فحول العلم عندنا ورجال الادب منا . اجتمعوا على قولهم في مجتمع دعوه (مجتمع اللغة العربية) فما اثمر ذلك الاجتماع بشيء سوى الفوص في بحار اللغة واخراج بعض كلمات^(٢) قالوا باستعمالها بدلاً من كلمات دخيلة في اللغة العربية

(١) هذه الجمعية تأسست في شهر شوال من سنة ١٣٠٩ هجرية

(٢) واليك بعض تلك الكلمات

مرحى	بدل	براقو
مدره	"	اوكاتو
المسرة	"	التيليفون
عم صباحاً	"	بون جرر

هذا المجتمع ايضا عفت آثاره بعد الثامن مئتين او ثلاثا ولو استقصيت حقيقته لوجدت عدم ثبات اعضائه في مجتمهم هذا انما هو من اختلافهم في فهم معنى لغتهم ولذا كان انحلاله سريعا . وغاية ما يمكننا ان نقول اذا تكلمنا بوجود جمعيات علمية بيننا انه يوجد جمعية واحدة طبية مصرية لا غير . هذا فيما يتعلق بالجمعيات التي يطلق عليها لقب جمعيات العلم والادب . اما الجمعيات التي نحن في حاجة اليها حقيقة اي مثل جمعيات الحمامة والتجارة والصناعة لنموها ولزيادة الكسب ووفرة الربح من طريقها الصحيح فهي معدومة بالمرّة من بين المصريين جميعهم . ولم يفكر احد منهم للآن في انشاء جمعية من هذا القبيل . ولو كانوا يعلمون بوجودها بين ظهرائي اهل التجارة والصناعة من جماعة الافرنج الزلاء^(١) الذين لم يقتصروا عليها بل عمت الجمعيات عندهم حتى منعت القسوة عن الحيوان ومع كل هذا القصر المغيّب نقول اننا قد دخلنا في دور التقدم بفهم لوازم الحضارة والتمدن . ونحن في الحقيقة ليس منا غير القليل في الجمعية الجغرافية الحديثة وما بقي فيها من زلاء البلاد

هذا ولا مندوحة لنا من التنبيه على امر ينبغي التفطن له والتنويه به اذ في ذكره ما يسر خاطر من نحو اخواننا الاقباط الارثودكس . فان هؤلاء الاخوان ما حقنا ان نعبطهم عليه ونتمنى لنا حقيقة من حقيقتهم الدالة على تقدمهم علينا . واليك النظر لجمعياتهم التي منها "التوفيق" التي تحتوي على نبهاء هذه الطائفة المحبوبة

عم مساء	بدل	بون سوار
اليهو	"	الصالون
قعا	"	الجوانتي

(١) للاكلير وغيرهم جمعيات تجارية لها على تجارتهم وصناعتهم فصل كبير ومن اهم جمعياتهم الجمعية التجارية الاكليرية بالاسكندرية

هذه الجمعية نشأت في سنة ١٨٩١ ميلادية بهمة بعض الافراد . وشمرت عن ساعد الجد وجمعت رائدها الثبات والاستقامة فنجحت النجاح الباهر الذي نود دوامه لها . وكان من ثمره ثباتها انها ابطلت عوائد كثيرة كانت مضرة بامتها وسهلت عليهم كثيراً من الاعمال واسست جمعيات فرعية تابعة لها في سائر مديريات القطر . وبهذه الوسطة اوجدت لابناء امته المدارس العديدة للبنين والبنات . وسهلت عليهم نقل موتاهم الفقراء بواسطة مركبات اعدتها لذلك وهي تصدر مجلة اسبوعية تدعى "التوفيق" تملأها كل اسوع بالحث والترغيب في اقتباس العلم والاستضاءة بانواره . واخيراً اوجدت للجمعية سراي عظيمة مساحتها ٦١٠٠ متر وفي السية انشاء مستشفى لمعالجة الفقراء مجاناً . توصلت هذه الجمعية الى عمل كل ما ذكر بهمة اولئك الافراد وفي مقدمتهم سعادة رئيسهم الدكتور ابراهيم بك منصور وبهمة المحسنين من ابناء الطائفة الذين تبرعوا وما زالوا يتبرعون دوامكم بما فيه قوامها ونجاحها . واولئك العاملون على ترقى الامة بالوسائل اللازمة للترقي اوجدوا ايضاً مطبعة خصوصية للجمعية^(١) ونادياً ومحللاً لمركبات دفن الموتى وقد اشترت الجمعية اخيراً مركبات للافراح فدل ذلك دلالة واضحة على حسن المستقبل الزاهر الزاهي وهذا جمعية التوفيق يوجد جمعيات اخرى مفيدة منها جمعية المساعي الخيرية التي غرضها جمع الاحسان وتوزيعه على الفقراء وهذه الجمعية لها وقف تحت ادارة سعادة الفاضل باسيلي بك تادرس المستشار في محكمة الاستئناف ريعه يصرف على الاعمال الخيرية كما تقدم

وجمعية النساء القبطية تهتم بالفقراء ايضاً ولها اعمال نافعة من اهمها اصدار

(١) لمطبعة جمعية التوفيق هذه فضل "بذكر على جريدتي مصر اولاً والوطن ثانياً .

فانهما عند اول ظهورهما كانتا تطبعان في هذه المطبعة

نتيجة سنوية . وجمعية التوفيق بمصر القديمة تابعة للجمعية المركزية وهي مخصصة للوعظ وتحتفل كل يومى الجمعة والاحد بالقاء المواعظ وتفسير الاناجيل للشعب ولها ايضاً اعمال خيرية ممدوحة . هذا وفي الوجه القبلي لم جمعيات كثيرة سواء كان في بلد او قرية . ومن اشهرها جمعية الاعتدال باسيوط التي يبلغ عدد اعضائها المائتين كلهم ساعون على الحض بنبذ شرب المسكرات او الاعتدال فيه . ونحن لا نزداد الا شغفاً على الايمان في النهر . وهي محرمة عندنا . كما اننا لا ندرى الى متى نبقى نشاوى وبيقون ساهرين مجدين في مراقى العلى والتوفيق وكلنا امة مصرية واحدة . نسأله تعالى الهداية لنا جميعاً الى اقوم طريق

الاستخدام والمستخدمون

الاستخدام في الحكومة الآن داء سرى مكروبه في جميع الشبان حياً بالمظاهرات الفارغة . واغلبهم غير ناظرين الى نتائج التي هي على الغالب غير مفيدة للوطن فائدة تذكر لانها مدعاة للكسل وغير سائقة كما يراد للعمل . فترى الشبان بعد ان يفارقوا المدارس كلهم آمال في حياة الاستخدام . آمال مكذوبة يظنون انها تليق بشرفهم او علمهم وتقييمهم من طوارق الفاقة والفقرا وتعلي شأنهم وفاتهم ان من اقدم عليه يرهن الحواس الخمس والحرية والموهبة الطبيعية براتب طفيف يمنع عنه الجوع ويوجد في النفوس اليأس والتمول . والذي يزيد الطين بلة ان الوطن العزيز لا يعود عليه ادنى فائدة من استخدام ابناؤه خصوصاً في الاحوال والظروف الحاضرة التي لا تسمح لشباننا ان يتطلعوا الى وظائف عالية فيها حقيقة تكون خدمة الوطن والامة خدمة صحيحة مفيدة ثابتة دائمة . لان تلك بايدي قوم ساهرين على مصالحهم ونحن عنها غافلون

ومن الاسف العظيم ان هذا الامر هو مرض مصر العام المسبب منه عدم تكوين الثروة في القطر والمقعد بالمهم والقاتل لصفة الاعتماد على النفس واجمال القول انه قد كان يصح ذلك الاستخدام قبلاً وعند ما كانت وظيفة الاستخدام من اجل المهن واسماها . فان المستقصي سبب حب الناس الاستخدام قبلاً ووضعهم انفسهم بانفسهم في موقف المسخرين لقضاء مأرب غيرهم حتى استسلموا للقضاء وتركوا جميع الامم تسابق في مضمار الجد والارتقاء وهم لاهون . ظن ان الحكومة منفصلة تمام الانفصال عن الامة . ورسخ هذا الاعتقاد في نفوسهم ان الحكومة هي الهيئة المخدومة والامة هي الهيئة الخادمة . مع ان الحال بضد ما ذكر . نعم كان بعض الشيء من ذلك في الزمن الماضي منذ عشرين سنة وأكثر اما الآن فالحكومة وحكامها يعلمون انهم خدام للامة لا سادتها وتساوى الصغير والكبير امام الحق والقانون وأمن الناس على ارواحهم واموالهم وحقوقهم كلها واصبح التاجر بتجارته والصانع بحرفته والمزارع بزراعته كل واحد يفيد الامة أكثر مما يفيدها بالاستخدام . غير اننا نقول ان الاستخدام في مثل المراكز العالية كالقضاء والادارة واجب لضرورة ذلك ولا تنظيم هيئة الحكومة . ولكن اصحاب هذه المراكز مسألون امام الامة بحفظ مراكزهم التي هي وديعة من الامة ويجب المحافظة عليها طبقاً للعدل والحق لا ان يتبعوا اهواءهم في وظائفهم ليحل بدلاً عنهم الاجانب فيسوسوا الامة بغير ما يلزم ان تساس به ولكن هؤلاء ليسوا المقصودين منا بالقول بل المقصودون هم اولئك التعساء الذين لا تفسر تعاستهم على ظواهر احوالهم واولئك المساكين من الناس الذين وصلوا الى وسط من حالة الحياة . ولا يزالون ينظرون بلهف الى ما فوقهم من الدرجات فرهنوا مستقبلهم كله على نوال مرغوبهم بطرق الاستخدام . وهم يظنون انهم بلغوا بها السعادة في مكان فسبح

الرحاب قد تحجب بالعزة والمكانة ولو كانوا ضمنًا يشتغلون كالألة التي تتحرك من نفسها في قضاء اغراض ومآرب مديريها . اذ هم لا يعرفون إلا ان يأتوا صباحاً في الوقت المعين ويطاشرون عملهم الذي يندر ان يتغير قليلاً ويذهبون الظهر الى بيوتهم فيأكلون وينامون ولا هم لهم إلا النزول ساعة العصر من بيوتهم الى القهاوي والاندية لتمضية الوقت وازهابه سدى بلا جدوى ولا منفعة خصوصية او عمومية . وكل يوم هم على هذا المنوال . والمستخدم واحد امس واليوم وغداً

ثم يحتاجون لعدم زيادة مرتبهم ويلحون وهم باقون في مراكزهم . ولا يخطر ببالهم ان يعدوا انفسهم لعمل آخر ولذا يفضلون البقاء على حالة واحدة ولو كانت من مرادفات الموت . وقل ان ترى مستخدماً يحرص على سيرته وصيته ولذا هم في المجتمعات وفي طرق الخلاعات وادمان المسكرات لا يجارون ولا يبارون . ثم يشكون من حالتهم المعيشية . وما شكواهم في الحقيقة إلا من تبذيرهم واسرافهم بلا ضابط حتى فاقوا الحد عن بقية افراد الامة وقد فاقوا غيرهم في التورط في الدين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم . ولا ذنب للحكومة في هذا بل الذنب كله واقع عليهم . اذ الموظف منهم صغيراً كان او كبيراً يعتبر نفسه انه من طبقة خلاف طبقات الامة فلذا يعيش في الانفاق الكثير على المنازل والخدم والحشم ومما يضحك ذكره تقسيم لايام الشهر على ثلاثة اقسام فهم يعبرون عن العشرة ايام الاول منه " بالايام البيض " نظراً لرواجهم من قبض مراتبهم . والعشرة الثانية " بالايام الحمر " لانهم في هذه الايام الحمر يضطرون لصرف ما هو مقتصد معهم والعشرة ايام اواخر الشهر " بالعشرة السود " لانهم يقترضون من اهليهم او من جماعة المرايين " واكثرهم جماعة الدخانية الاروام " ولذا اذا قابل احدهم الاخر فقبل ان يسلم عليه يسأله ان كان للايام عليه تأثير ثم ان البعض منهم يحتاج

لذلك فترى جيوبهم بالدرهم عملة دائماً ساعة العصر والبعض منهم لا يذرون في اوائل الشهر ولا يسهرون ويوفرون الى اواخر الشهر اسرافهم وتبذيرهم خوفاً من تبيكيتهم بتأثير الايام عليهم - ومن من الناس لم تؤثر عليه الايام - والمستخدمون كلهم حساد بعضهم لبعض حتى ان بعضهم اذا عرف شخصاً لاول وهلة يسأله ما هي وظيفتك في الديوان وكم هو مرتبك في الشهر . فان وجده متقدماً عنه اسف على حاله وتعاسته وسب مصلحته ووظيفته نادياً الزمن ومصائبه التي انكبت عليه . وان وجده دونه سقط من عينه ولم يعد يعتبره ان رآه مرة اخرى " وقد وقع لنا من قبيل ما ذكرنا شيء كثير " . وهذا امر سببه ان السعد والنحس ملازمان للمستخدمين من عهد قديم فان بينهم فئة تعرف بالفئة الداخلة هيئة العمال وفئة تعرف بالخارجة عنها ^(١) وللاولى حق في المعاش بعد ان تعمل في الخدمة مدة معينة ولو كانت الاولى على بساط الراحة . والثانية محرومة منه ولو انها النصب واذابها العناء . وعلة ذلك تعدد الاوامر التي اصدرتها الحكومة في هذا الشأن من قديم وحديث ^(٢) وليس من دليل اوضح من الدليل الآتي على ظلم المحاباة بين المستخدمين

كان في مصلحة البوستة حتى سنة ١٨٩٧ رجلان خدما فيها اكثر من اربعين

(١) في الوقت الحاضر اضلب مستخدمي الحكومة في نظارة الاتغال ومصلحة السكة الحديدية المصرية والبوستة والتلغراف وغيرها من هذه الفئة لا فرق بين الوطنيين والاجانب فانهم كلهم " ظهورات "

(٢) بفضل هذا التمييز في الازمنة الماضية نال كثيرون مع عائلتهم شيئاً كثيراً من المعاش وهم الآن يتنعمون به وان كانوا لم يفيدوا الامة بشيء بل قد يمكن انهم اضرروا بها واستعبدوا عباد الله وسلبوا اموالهم واطيانهم . ولا يزال باقياً منهم من له في المديرية ما ينيف على المئة او المائتين فدائماً وعن خمسين او مئة جنيه شهرياً في " الرزنامة "

سنة بامانة واستقامة منذ عهد جنته كان الحاج محمد علي باشا ووظيفتها كانت اخذ البريد سعياً على الاقدام من القاهرة الى الاسكندرية وذلك قبل انشاء السكك الحديدية . وكثيراً ما كان احدهما يسعى ليوصل مراسلات الولاة السالفين "وبالاحص المرحوم سعيد باشا" ولا يأتى له ذلك الا بعد التعب الشديد . فقد كان يذهب احدهما الى البلدة التي يقال له ان بها الوالي فلا يراه فيها ويعلم انه ذهب الى غيرها فيتبعه اليها . وقد كان نصيب احدهما بعد ان هرم وشاب ان يعين ليوصل الدراهم والمراسلات من العاصمة الى بولاق مصر ذهاباً واياباً ثلاث مرات في اليوم . ولما وهنت رجلاه وخارت قواه عين في بوستة مصر يشتغل فيها وعمره قد ناهز الخمسة والسبعين فكث مدة يشتغل من الساعة السادسة صباحاً الى الحادية عشرة مساءً وليس له يوم راحة في الاسبوع كله . ثم عجزا عن القيام بخدمتها فترأى للمصلحة ان تعزلها فأمرت بذلك ولو لم تقرر شركة الاقتصاد والتعاون الخيري في البوستة التي أسست بهمة سعادة مديرها العام "يوسف باشا سابا" اعطاءها مرتبها سنة كاملة رأفة بهما ويعائلتهما لذهبا ولسان حالها يقول مع باقي امثالها من المستخدمين

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبها اني بما انا بالك منه محسود

في هذا الباب الضيق المنافس المملوء بفقدان الشهامة المضيع لزمن الشبيبة المصرية . المبعد لنمو الثروة . المرابي في النفس الاعتماد على الغير . يلقي الشبان المتعلمون انفسهم بايديهم ولا يسعون في طرق ابواب المعاش الاخرى كالتجارة . والزراعة والصناعة فانسحوا عن كل شيء من موارد الكسب الصحيح والعمل المفيد ولم يبق لهم قوام ذاتي الا التعلق باذيال الحكومة واهداب الوظائف وهبات لهم ان ينالوها الا بشق الانفس واراقة ماء الوجه وليس ما ينالونه مما يذكر ولكنه

من سقط المتاع وما زالوا على هذا الحال حتى فقدت الأمة اواسطها من المتعلمين .
وباتت في اين دائم . وذل مهين . لطف الله بعباده . والمهم سبحانه الى ما فيه
صالحهم وصالح الوطن العزيز . انه على كل شيء قدير

التجارة

قال صلى الله عليه وسلم (ما أمانى تاجر صدوق)
وقال عليه الصلاة والسلام (رحم الله رجلاً سمحاً قاضياً ومقتضياً بانعاً ومشترباً)
وقال ايضاً من بورك له في شيء فليزره

باب الاتجار مفتوح لكل داخل . وليس ككباب الاستخدام يخص باس
قلائل . وثروة البلاد موقوفة على التجارة . سواء كانت داخلية او خارجية . ويشترط
على من سلك سبيلها ان يكون سيره فيها على علم وبصيرة . وان يكون عنده مال
يدبر حركة عمله التجاري . وباللحال ينهز الفرص كلما ظهر له شيء رخيص يمكن
الاكتساب منه . وعلى هذين الشرطين قوام التجارة

وللتجارة شروط أخرى لازمة لكل تاجر وهي الاتصاف بصفات الصدق
رائدها في المعاملة ليستميل بها قلوب معامليه . والاتصاف بالامانة لمن يترك شيئاً
عنده ليباع على ذمته . فان في ذلك محلبة تقصد الناس له من اقصى الجهات .
وبالتمسك بالتقوى وما أحرت به الشريعة . حتى تكال تجارته بالبركة ورزقه بالتيسير
وبالاقتصاد حتى تنمو مكاسبه . وتظهر نتيجة تبعه وتزيد الرغبة فيه لتوسيع نطاق
تجارته . وبالبعد ما امكن عن الدين حتى لا تشتغل افكاره بما لا طائل تحته -
وأحب شيء الى الانسان ان تعطيه ولو من مالك وابغضه ان تأخذ منه ولو حقك -
ومن أهم شروطها انتظام معيشة الانسان فيها على حسب القواعد الاقتصادية وترتيب

شؤون أعماله بحيث لا يتطرق اليها الاخلال والوهن وسوء الادارة فان هذا مما يحبط عمله ويجعل الناس غير واثقة بنجاحه

هذه هي شروط من يقدم على التجارة . وفيها لعمري مجال فسيح لاظهار موهبة العقل . واستثمار ما بقي من المواهب . التي اودعها الله في الانسان "والعقل في موضعه يمكنه ان يعمل من النار جنة ومن الجنة ناراً" (١) وناهيك بما في التجارة من اللذة المتعاقبة عقب كل نجاح ثمره الاجتهاد فيها . اسأل التاجر المستجيب للشروط المتقدمة توهه بقص عليك ما منح من العطايا وما وهب من الارزاق . ولكن لا يغرب عن فكرك انه ما نال ذلك عفواً . بل ناله باهتمامه الاهتمام الذي هو شأن كل متجدد ثابت لا يؤخر عمل يوم الى غده . حتى انه يحرص كل الحرص على عمله توقعاً للاحدوث الجلية وهي من امدح الحاصل في الرجال وكفى التاجر ان يقال فيه ان فلاناً متوقد الفؤاد ذا حركة ونشاط يقدم دلي جلائل الامور

والتجارة حياة كل أمة . وما امتازت دولة على أخرى الا وقد كان للتجارة الفضل الاكبر في سعادتها . تأمل تاريخ المشرق الماضي تر فضل اعتزازهم الماضي انما هو راجع لاشغال اهلهم بالتجارة . وتأمل ضعفه الحاضر تر سببه ترك اهلهم للتجارة . وبلدنا حاضر اوربا فالدولة الاكثر تجاراً لها السلطان الاول تين سائر الدول تدوم لها المنعة والسلطان ما تاجر اهلها مع الامصار والاقطار

ومصرنا وان كانت ارضها زراعية يشتغل غنيها وفقيرها بالزراعة دون التجارة والصناعة . الا انها منذ خمسين سنة كان اهتمام اهلها بالتجارة عظيماً جداً فانه في تلك الازمان قام من اواسط اهلها من احترف التجارة فنجح وافلح وكان ذلك النجاح الباهر حينما استعمرت حكومتنا السودان في ازمنة الولاة الاول من العائلة

العلوية الحاكمة . ذلك انه ذهب البعض الى السودان للتجارة فكان ذهابهم سبباً لموارد اليسر . ومنهلاً لسائق الرزق . ارجع بنظرك قليلاً لتعلم توسع المتاجر في هاتيك الاصقاع سنة بعد سنة . ولنا شاهد على نمو التجارة في ذلك الاوان وهو قلة الوارد الى البلاد ووفور الصادر منها . مع ما في ذلك الزمن من العسف والجور وعدم سهولة المواصلات . ولا يزال بعض اولئك التجار الذين اتجروا بين القطرين في قيد الحياة يرزقون . ويقص البعض منهم عليك حديث تجارتهم بالاصناف وغيرها . كما قد يقص ايضا الطرق والمسالك الوعرة والمتاعب التي اجنازها في ذهابه وايابه وهم يعدون لك ان شئت الحال التجارية التي كانت واسعة المتجر قبل عهد الدراويش حتى انه كان للتجارة مجالس مشهودة . غير انه قضت الحال بانفصال السودان سنة ١٨٨٤ ميلادية فاعتزل كثيرون الاتجار وباشروا بعضهم الزراعة . وما من مزارع كان تاجراً الا وقد زادت زراعته واتسعت بتقدم مستمر ونجاح باهر لكونه وجد من نفسه ميلاً وارتياحاً الى العمل والكسب

اما من بقي في تجارته الى الآن فقد اكتفى بالاسم ولو كانت تجارته في اشياء قليلة كلها يجلبها الاجانب له من الخارج . هذا تاجر القماش صاحب الوكالة الكبيرة في مصر ترد اليه الاقمشة باسمه وهو يخزنها في مخزنه وبيعها الى عملائه الاصاغر لهذا مئة ثوب ولذلك خمسين ثوباً بزيادة مبلغ طفيف في المئة عما وردت اليه . وياليتها يقبض الثمن فوراً . بل يقبده في دفتر الذممات ويدفع اليه العميل ثمن ما اخذه اقساطاً بمواعيد متفاوتة كما هو ايضاً مع الفوريقة مقيد بكميالات يدفعها عند استحقاقها بمواعيد متفاوتة ايضاً . وما يقال عن تاجر القماش يقال عن باقي التجار حتى تجار الزيتون . اخبرني صديق "كسيونجي" لاحدى الفوريقات الانكليزية بالزيت ان تجار مصر يشترون الزيت والشحم بمعرفة من الفوريقة وهو

عند ذهابه الى الارياف يجدهم يبيعونه باقل من ثمنه الاساسي . اي ان كانوا قد اشتروا الرطل الواحد بثلاثة غروش ونصف غرش يبيعونه بثلاثة غروش وتجار الارز يفعلون كذلك فانهم يجلبونه من الاسكندرية ورشيد ويدفعون عليه اجرة السكة الحديد ثم يبيعونه في مصر بمثل سعره في الاسكندرية واذا اعترض عليهم معترض عارف بسعر البلدين وسألهم عن مكسبهم . احتجوا بانهم يبيعون بجانبه صنفين آخرين من العطارة يربحون فيها ربحاً عظيماً

وغالبهم جاهل بمعرفة اسعار اصناف البضاعة وقليل منهم يعرف غلاء الثمن لقلة الموجود فانك لو ذهبت الى تاجرين مثلاً يتاجران في صنف واحد وساومت احدهما على شراء شيء منه أخبرك بثن ثم انت لو ذهبت الى آخر لاخبرك بثن اقل من الاول وان استقصيت السبب علمت انه يبيع لك مطلوبك تكليلاً بجارو او انه قد يكون مستحقاً عليه دفع بعض الكمبيالات فيضطر الى البيع بالرخيص . ولقد عرف بعض اهالي الريف ذلك منهم فلذا قد ينتقل احدكم من مخزن الى آخر ليساوم السعر فمن رآه يبيع بالرخيص عن جيرانه يشتري منه . وقد يرضى التاجر منهم ان يكون مكسبه صناديق الفوارغ كتجار الكبريت والشمع مثلاً . وهم مع ذلك يفتخر بعضهم على بعضهم بكثرة البيع ولا يشعرون بخطائهم . الا اذا حان أجل دفع الكمبيالات فتراهم يتململون ويشكون وتراهم يرهبون محصلي البنوك وقت مرورهم بهم وقد يظهرون لهم غاية الخضوع ومنتهى الذل والمسكنة

ولذلك اسباب غير ما تقدم وهي ان بعضهم اذا اتسعت تجارتهم بالقدر "لا بالمعرفة" يأخذون في مشتري العقارات التي كثيراً ما تكون داخل الحوارى والازقة . حتى يقال ان السيد فلان صاحب ملك في الجهة الفلانية والجهة الفلانية . وقد يشترون هذه الاملاك بالتقاسيط ويفضلون دفع اقساطها على دفع

ما هو عليهم للفوريقات ولو كان فيما ذكر شهرة الاسم ونجاح العمل وفاتهم معرفة
الريح من الطرفين . اذ هما بلغت مكاسبهم من الاملاك لا تتجاوز ستة في المئة .
اما في التجزير فيربو الريح عنا ذكر . اذ لو فرضنا ان المقدار الف جنبه واتجر به ووضع
تحت امر التاجر لاربحه اضعاف اضعاف ما ذكر ولا غنى التاجر عن التذلل يوماً
لمحصلي البنوكة ويوماً للقومسيونجي . ولوجد ما يدفع منه وقت الحاجة . وهو لو
شغله لا يمكن التاجر الا شراء بالنقد وبالقد يمكن خصم ما يساوي اقله هـ في المئة
وفي خلال السنة يمكنه به ان يشتري ثلاث او اربع مرات فيخصم له ما ذكر أعني
اربع مرات في خمسة تساوي عشرين في المئة بدلاً من الستة التي تعود من شراء
الاملاك . وناهيك بالتاجر الذي يحنط في عمله في اخذه وعطائه فانه يشعر بلذة
حقيقية في عمله فضلاً عن عدم انذاره بالبرستو يتلو البرستو وبالتهديد بحجز
الاملاك وبالبعد عن الافلاس الميهن الذي يكون معرضاً له كل حين

وليس للتجار حيلة او آراء محكمة في مباشرة تجارتهم بل حيلهم وآراؤهم
لا تحضرهم الا اذا وقعوا في الامور المتقدمة . والا فمعظمهم يحضرون الى محالهم
ضحى ويتركونها عصرًا لحبم النوم وايتارهم الراحة على التعب . ولداعي انهم كثيروا
الاشتغال في اصناف يجهلون حتى في لفظ اسمائها يعتمد البعض منهم على الموظفين
الاجانب فيشاركونهم في الريح ولو كانوا هم اصحاب رأس المال . او يستخدمون لديهم
جماعة من الرجال العجائز المتقدمين في السن اهل السعال واحديداب القامة الذين
ربما قد ينسون اكل الزاد اذا حضر . ويعطونهم مرتبات نافية وهم مع ذلك ياتمنونهم
على مخازنهم التي كثيراً ما يكون فيها عشرات الالوف من الجنيهات . نعم انهم قد
انتبهوا اخيراً واستخدموا بعض الشبان ولكنهم يخلون عليهم ايضاً بدفع المرتبات
الكافية لهم وهؤلاء اقله المرتب يلتزمون بالسير في طريق تأباه الامانة والعفة .

وكثيراً ما يلاحظ التاجر من سيرهم وسلوكهم انهم لا يخدمون بالشرف والاستقامة ولكن لكسلهم ولتصورهم انه لو خرج المستخدم نقف حركة عملهم يتركونهم يعبثون باموالهم وهم ينظرون نظرة الحامل الابله . وأغلب مخازنهم بعيدة عن محلات بيعهم وشرائهم فاذا جاءهم مشتري نادوا على خادمهم ان يأخذ المفاتيح ويسلم عدد كذا من صنف كذا فيذهب هذا ولا يكاد يصل الا بعد ساعات لبعده المخازن وفي هذه الاثناء قد يتواطأ احدهم مع الشاري اما بتسليمه صنفاً غير الصنف المطلوب او باعطائه عدداً اكثر من مطلوبه لقاء مبلغ جزئي يعطى من الشاري للمخزني .

ولسبب عدم علمهم بحقيقة ما في مخازنهم او لكثرة ما يوجد من الصنف المطلوب فلا يمكنهم ادراك ما يسلم الى الشاري . هذا فضلاً عن عدم معرفتهم بحال مخازنهم وقل من يدخلها منهم في السنة مرة . ولو دخلها احدهم فعزز عليه معرفة ما تحتويه لقلة الترتيب وسوء الانتظام . ولذا ترى كثيرين منهم يكتفون بقولهم لنا مخازن في الجهة الفلانية

وهذه المخازن أغلبها وكالات مهجورة يمكن السطو عليها في اي وقت كان . فضلاً عن عدم تسجيلها منهم امام شركات الحريق الامر الذي كثيراً ما تذهب بسببه تجارة احدهم كذهب امس الداير

وهم للان جاهلون بطريقة تصدير بضائعهم سواء كان لداخية القطر او لخارجه وجاهلون حتى بطريقة ارسال طرود البوستة مع تحويل الثمن عليها . مع ان المصلحة المذكورة مهمة في هذا الباب بتسهيل عظيم بغية رواج وانجاح التجارة التي يمكن ارسالها بصفة طرود بوسته . وللمصاححة كتاب الدليل فيه كل ما ذكره باسطة عبارة ولكن لا اهتمام لاحد منهم به مثل اهتمام جماعة تجار الاجانب . فانهم ينتظرونه بالساعة حتى يقتنوه ويدركوا ما جاء فيه . وثمة لا يتجاوز عشرة مليات وليس للتجار

الوطنيين اعنائاً بتجارة السجائر التي تصدر الى الخارج مع ان في ذلك ربحاً عظيماً لهم وان وجد منهم اشخاص فلا يتجاوز عددهم الاربعة وفي كل شهر يتأخرون عن شهر . فانك لو راجعت ما تصدر من محالهم في هذه السنة وقابلته على السنة الماضية لظهر لك كبر العجز بخلاف نجاح هذه التجارة عند جماعة اليونان والارمن . ويكفي التجار الوطنيين ان تسب السجائر اليهم وانها مصرية من عندهم^(١) وليس النجاح مع جماعة الاوربيين قاصراً على السجائر فقط بل تناولوا كل شيء يربحون منه حتى تصدير بيض الدجاج بعد جمعه من البنادر والقرى بثن رخيص^(٢) وحتى البلع فان لهم فيه مكسباً كبيراً لانهم يصدرون "العمرى" منه الى الخارج في علب مخصوصة من الزنك يكون فيها البلع مرصوفاً مرتباً . وغير ذلك من الاصناف الاخرى كالبرنقان والتمين والشمام . هذه ابواب السودان قد فتحت والحكومة فيه قد انتظمت واسباب الامن فيه قد استتبت فما لنا لا نرى تلك المحال التجارية المتقدم ذكرها قد عادت الى اصلها . وما لنا لا نرى لنا في تلك البلاد نصيباً من التجارة كالسابق حتى لا يشكو التجار كثرة الموجود وقلة الطلب . وحتى لا يشكو التاجر من الدهر ومعاينة الايام لانها تحرمه خيرات بلاده وتغدق نعمها على غيره من جماعة الاوربيين هذه امور يمكننا الاجابة عليها بقولنا ان من يتعاطى التجارة منا ليسوا في الاحتيال

(١) بلغت كمية المصدر من السجائر المصرية سنة ١٨٩٨ م ٢٤٦٩٢٨٣٧٤ سجارة

وسنة ١٨٩٩ م ٢٩٤٩٠٥ سجارة كلها لجماعة التجار من الارمن واليونان

(٢) بلغ المصدر من البيض سنة ١٨٩٧ م ١٣٦٧٠٠٠٠ قيمتها ١٢٣٧٣ جنيه وسنة

١٨٩٨ م ٣٤٩٨٢٠٠٠ قيمتها ٤٣١٧٧ جنيه وسنة ١٨٩٩ م ٣٩٧٦١٠٠٠ قيمتها ٤٢٣٤٤

جنيه وسنة ١٩٠٠ بلغ قيمة ما صدر من البيض للخارج ١٠٢٨٠٠ جنيه واهم ما يصدر

البيض الى بريطانيا العظمى . واكثره يستحضر من مديريات الوجه القبلي كقنا وجرجا

واسيوط والقيوم ومن هذه المديرية الاخيرة يجلب احسن انواعه

ففيها على شيء لانهم لم يسعوا الى الترقى فيها والاعتماد على شهامتهم مثل ما كانوا قبالاً . والافاكثر التجارة لبعض الاوربيين وبعض جماعة الارمن والسوريين الذين هم في الحقيقة يدهم تجارة القطر . والسبب خمواتنا وشهامتهم وتأخرنا ونقدمهم والافا بلاد السودانى اقرب اليها منهم والحكومة واحدة فلماذا لا نذهب اليها كالسابق . مع ان احد البيوت التجارية في منشستر كان له وكالة في الخرطوم قبل عهد الدراويش فاعاد الوكالة الآن وهو يرسل اليها البضاعة والمنسوجات مثل ما كان يفعل منذ عشرين سنة

وفي القاهرة كثيرون من الاروام وغيرهم لا يمر بهم يوم الا ويذهبون الى الاقطار السودانى فينتخبون احسن البلدان وباشرون المشروعات التجارية . حتى ان احقر البلاد هناك صارت تجارتها يدهم ولهم في مصر عملاء لاجل سرعة انجاز الطلبات بكل دقة . وناهيك بطرود البوستة التي تسافر اليهم يومياً من قلم طرود بوسته مصر . ويقرب متوسط عددها من مئتي طرد اسبوعياً كلها تقريباً باسماء تجار من الاروام واليهود والسوريين . هذا عدا ما يرسل عن طريق السكة الحديد برسم هاتيك الاصقاع

هكذا تكون حال التجارة وطريقة سيرها . ودع التجار المصريين وبالاخص المسلمين منهم يقضون ليالهم ونهارهم بنعابة بعضهم بعضاً ويرضخون للعجز والكسل وحب الراحة الى ما فوق الحد المقبول والتقدر العقول والله عاقبة الامور

الزراعة

قال عليه الصلاة والسلام " اتمسوا الرزق من خبايا الارض "
 الزراعة علم عملي مبني على الحقائق التي عرفها ارباب الزراعة بالاختبار .
 والزراعة افضل صناعة . وارجح بضاعة والفلاح الذي يبذل عافيته لتحصيل ما يفوق
 كفايته من الثمرات لتغذية ابناءه نوعه وغيرهم من الحيوانات اولى بالاكرام واحق
 بالاحترام من غيره .

والزراعة تكاد تكون هي العمل الخاص لجمهور سكان مصر . وسبقني
 كذلك الى ما شاء الله . ولا يزيدري بها الا من كان جاهلاً لفوائدها . وفي
 مقدمة هؤلاء جماعة منا قد انخرطوا في سلك الاستخدام الميري المتقدم ذكره .
 وسببه كما قدمنا جهلهم فضلها . وبالتالي استيلاء الكسل عليهم لما اعتادوا عليه
 في صغرهم من الخلود الى الراحة . والقناعة الممزوجة بالذل بما يكتسبونه من
 استخدامهم في دواوين الحكومة ومصالحها . والآن لو كانوا يدركون فائدتها ولذة
 عيشتها لو رأينا اولئك الذين استغنت الحكومة اخيراً عن خدمتهم بعد النماء
 وظائفهم عاملين في خدمتها من استجارهم للطبايع الاميرية وغير الاميرية
 ولكانت اوجدت فيهم الحنكة حب الكد والعمل واستنبات ما يخرج من الارض
 من فولها وعدسها وبصلها وقمحها وقطنها . بدلاً مما هم متعودون عليه من حب
 المعيشة الانكالية في وظائف الحكومة . ولكن ليس رجال الاستخدام فقط هم
 الذين يستنكفون العمل في الزراعة بل وابناء الفلاحين أنفسهم الذين يخرجون
 من المدارس سنوياً وיעدون بالمئات . فهم ايضاً لا يعودون الى زراعة والديهم
 وحرف آباءهم . بل يبعدون عنها كل البعد ويستنكفون من نسبتهم اليها

ويطلبون الاستخدام في المصالح الاميرية بالاشغال الكتابية

نعم ان ذلك لا ينقص عدد الفلاحين ولكنهم لو باشروا شؤون اعمال والديهم واهتموا بها لتقدمت الزراعة واستحيت الارض بفضل علمهم وعرفانهم وكدهم واهتمامهم . اذ الزراعة انما ترتقي بالعقل واليد وفي اجتماع العلم والعمل يكون التقدم الحقيقي . وفلاحنا في حاجة كبرى لامثال هؤلاء اذ ان جهله ظاهر في عيشته وحرفته اما في عيشته فدليلنا عليه اخذه الاموال بالرباء الباهظ وحتى انه يقع في لاجولة اولئك الذين يعيشون خلال دياره من جماعة الاروام وغيرهم^(١) وناهيك بالفلاح المصري وحبه للاسراف وجهله حاضره ومستقبله وقلة اهتمامه لغيره قدر اهتمامه بيومه وهم المتوسعون في نفقاتهم في السير الى حد دونه السفه فضلاً عن خلق التنافس (حتى في الزواج) وهم الكثير والخصومات في معاملتهم بعضهم بعضاً لاقل سبب . وقضاياهم ومواقفهم في مزادات البيوع واخذهم وعطاهم مع جيرانهم واقربائهم . كلها اسباب تجربهم الى الاسراف والاستدانة حتى توقعهم في تعاسة الفقر والعيشة الضنكة . حتى ان ديونهم اصبحت ثقلية الحمل عليهم^(٢) وميلهم الى الفتنور والى ما يسيء السمعة جعلهم في حاجة الى من يتولى

(١) وفي مصر وحدها من بيوت تسليف النقود نحو ٥٠ بيتاً . وهو اضعاف العدد الذي

يوجد في مدينة باريس

(٢) ظهر من سجلات المحاكم المختلطة في سنة ١٨٩٨ ان الدين الموجود على الفلاحين

٧٣٢٣٣٠٠ جنية وقد يكون عليهم ديون غير مسجلة ربما زادت على ما ذكر ضعفاً او ضعفين " وناهيك عما لحق بهم في سنة ١٩٠٠ بسبب الشراقي ومضاربات البورصة التي قدرها البعض بما يقرب من هذا المبلغ " وليس لهذا الدين سبب موجب سوى انهم غير عارفين بالافتصاد الزراعي وتقدير الدخل والنفقات . اذ يستدين الواحد منهم مبلغاً يثري به ارضاً فلا يكون دخلاً نصف ربا الدين

اعمالهم بالجد من اهل العلم حتى يجد فيهم حب الانتباه الى ما ينفع وما يضر .
اذ هم يبيعون محصولهم قبل حصاده او في ابتداء الموسم برخيص الاثمان . وهم لا
يعلمون ما يأتي به الغد من الاسعار . والشاهد السنة الماضية وما قبلها فانه مع
صعود الاثمان باعوا كلهم في ابتداء الموسم برخيص الثمن . فضلاً عن ولوجهم ابواباً
يجعلونها من شراء الاسهم والسندات التي كثرت اخيراً بسبب الشركات ^(١) التي
لا يعرفون حقيقتها ولا ما هو الغرض منها مما يدل صراحة على احتياجهم كلهم لمن
يفهمهم حقيقة ذلك . والفلاح لو وفق الى من يعرفه ما يجلب عليه الضرر والى من
يعرفه ايراداته ومصروفاته لتحسنت شؤونه واحواله . ولبعد عن السير الذي يتبعه

اما جهلهم في حرفتهم فدلينا عليه قلة غلة الزراعة في القطر اذ هي لا تزيد
على الثلاثين مليون جنيه لو قسمت على السكان لما نال كل نفس سوى اربعة
جنيهات وهو مبلغ قليل بالنسبة الى ما تستغله الامم الاخرى التي اراضيها
كاراضيها مثل امريكا وفرنسا وغيرها فانهم يستغلون اضعاف هذا المعدل ولذلك
اسباب جمّة منها انقار الحرث والصرف وتعاقب الزراعة باضافة السماد لا تعاقبها
بقلة الدراية حتى يؤدي لموتها . والسماد الجيد في مصر كثير . وحتى اذا لم يكن
موجوداً فيمكن استحضاره بالمعرفة وهو لو وجد وساعده خصب الارض المشهور
لضعف غلتها . افليس في القاء اجسام الحيوانات في النيل وفي الطرقات بعد
موتها ضياع لأعظم سماد . وهي لو تحفر لها الحفر وتطمر فيها الى ان تتحلل وتمتزج

(١) للشركات سمارة عددهم يزيد عن الثلاثة آلاف عدداً كلهم يسرحون في القرى
والبنادر لبيع الاسهم والسندات للشركات بتقاسيط شهرية من عشرين قرشاً الى مائة قرش .
" ذكر المؤيد الاغر " ان شخصاً من النزلاء الافرنج انشأ من مدة ثلاثة سنوات بيتاً مالياً
في القاهرة رأس ماله الفين جنيه فاصبح الآن وهو صاحب خمسين الف جنيه مصري وهو لو
راعى الذمة في عمله ما ربح هذا القدر حتماً ومناماً . اهـ

بالتراب لوجد فيها فوائد عظيمة تنفع الارض فضلاً عن منافعها الصحية
 وجهل الفلاح لما يلائم طعاماً للحيوانات ضرره كذلك عظيم . فانهم يتركون
 حيواناتهم اذا اصبحت بالامراض تعدي بعضها بعضاً وتموت . هذا ولا تسأل
 عما جدّ فيهم من تسميم حيوانات بعضهم بعضاً واتلاف مزروعاتهم لجيرانهم
 ولغيرهم ايضاً

ومن الغريب ان قطرنا العزيز كان مقر تربية الخيول من قديم الزمان وكان
 اهل الشام وغيرهم يأتون اليه لاقتبايع الخيل منه فصار اهل مصر يمشون الى الشام
 وغيرها لاقتبايع الخيل منها^(١) والخيل لازمة لكل البلدان الزراعية للحمل وغيره
 ونفقتها فيها قليلة . كل ذلك دليل جهلهم في حرفتهم والا فأرني دعائم الزراعة
 من بساين لامتحان الزرع واتقان لآلات الزراعة « ولا يزال المحراث المستعمل
 في مصر هو الذي كان مستعملاً من النفي سنة » او أرني من مستلزمات الزراعة
 شيئاً من تربية النحل في الجنائن وهي الكثيرة وهو لا يحتاج لكبير مشقة

ذلك فضلاً عن حاجتهم لديوان زراعي يهتم بكل ما يتعلق باراضي القطر
 ليغني الحكومة والاهالي من انفاق النفقات على التجارب مثل ابادة الحشرات التي تسطوا
 على المزروعات سنوياً ويهتم بادخال المزروعات الجديدة التي تنمو في القطر والشروع
 في انشاء الاحراش وغيرها التي كان في القطر منها شي لا كثير والتي لا غنى لقطر
 زراعي كقطرنا عنها . ويراعي ما يجلبه المزارعون من الخارج مما يكونوا في غنى عنه
 لو زاد الاهتمام بالزراعة فيداويه . اذ المتأمل فيما يرد على القطر من الحاصلات
 الزراعية تأخذ الدهشة وخصوصاً لو علم ما يجلب بكثرة من الغنم ونحوها من

(١) كثيراً ما احتاجت نظارة الحربية ومصلحة البوليس للخيل وارسلوا الوفود لشراؤها

من سوريا وبالاخص في حرب السودان الاخير من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩

المواشي ومن اللحم المقدد والمدخن ومن السمك المقدد والملح ومن الجبن والزبدة^(١)
ومن القمح ومن الذرة والشعير والارز والسمسم والبطاطس والنيئة
والقطر في حاجة لكثرة المعارض الزراعية التي هي من اقوى دعائم الزراعة
والتي من الواجب ان يكون كل شهر معرض في احدى المديريات . ولا يخفى ما
في المعارض الزراعية من المنافسة والمسابقة والاختبار والاعتبار
نعم ان الحكومة اهتمت بما ذكر وايضاً بعض كبار المزارعين واقامت معارض
لهذا الغرض من بضع سنوات مضت . ولكن المتأمل يرى ان ذلك قليل النفع اذا
لم يعم في كل المديريات مديريةية بعد اخرى على عدد اشهر السنة
وهذا معرض سنة ١٩٠٠ اعظم شاهد على قلة الفائدة فان الزائرين (لا
العارضين) له لم يتجاوز عددهم ٨٠٦٤ زائراً وانت لو استقصيت الحقيقة لوجدت
اكثر من نصف زائريه من الاجانب واكثر من الربع من تلامذة المدارس
لعمرى ان ما بقي لعدد قليل على قطر زراعي يعني التقدم الحقيقي ويود تحسين
زراعته وكل اهله من اربابها وحياتهم كلها منها . هذا حاضر الزراعة المصرية وهي
الموروثة من اجيال مضت وقبل ان يعرفها من سبقنا فيها باجيال
اقعد ذلك من دليل على العجز في مباشرة شؤونها . ام نقول معي حبذا
الزراعة لو اقترنت بالعقل واليد مع النشاط والجد لنصبح يوماً ونحن غير مفتقرين
لغيرنا فنعيش بسلام آمنين

(١) جد من امد ليس يعيد ثلاثة معامل للزبدة ولكن كلها لجماعة الافرنج

الصناعة

قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه (قيمة كل امرئ ما يحسنه) وقال
ايضاً (الناس ابناء ما يحسنون)

لولا الصناعة لدام الانسان في فطرته الاولى متأخراً خاملاً . والصناعة من
الامور الضرورية للهيئة الاجتماعية وعليها تتوقف حياة كل أمة وهي السبب في
تعليم الشعوب حب الاستقلال بالافكار والاعمال . وحب الاعتماد على النفس
وكانت مقاليد الصناعة في مصر في عهد الولاة الاولين تناط بالحكومة فكانت هي
المتولية امورها وشؤونها . حتى انه ليصعب على المرء معرفة حالة الحكومة المصرية
الماضية . وما اذا كانت حكومة ادارية او زراعية او تجارية او صناعية لما يعلم من
انها هي التي كانت تأخذ على عاتقها انشاء المعامل وادارتها ومد الخطوط الحديدية
وتسيير السفن البخارية التجارية وانشاء المطابع وغير ذلك من الاعمال والمشروعات
التي لا تقوم عادة بها الحكومات المتمدنة . بل تعد الامة نفسها للاقدام عليه .
نقول هذا عن الحكومة الماضية وهو قول حق . لأنه كان السبب في اقعاد الامة
عن السعي في ترقية شؤون الصناعة بنفسها لانماء ثروتها . وفي ايراد الصناعة موارد
التقشير المعيبة كحال الصناعة الوطنية التي نراها في نكوص دائم وتأخر مستمر يوماً
فيوماً . والتي اذا بقيت حالها سائرة القهقري آلت الى العفاء والمحو . على ان غاية
ما يمكن ان يقال في الصناعة الوطنية انها منحصرة في صنع الحصر والفخار وحياسة
بعض المنسوجات القطنية وغيرها من مثل الحدادة والبرادة وعمل الجزم التي يتولى
عملها بعض الافراد في معامل وورش حقيرة وهي غير آخذة في التقدم غير ان
حالة الصناعة عند النزلاء الاوربيين بيننا في تقدم ونجاح . فهم اصحاب معامل

السكر وتكريره وأصحاب ابورات حلج القطن ومعاصر الزيوت واستخراج الصودا والنظرون وغير ذلك . ومع هذا فالناظر الى واردات القطر يجد الصناعة فيه بوجه الاجمال متأخرة تأخرًا عظيمًا والمصري يعذر من وجهه ويلام من وجه آخر على توأكله وتخاذله وبيان هذا الاجمال أنه لا يؤمل صنع المصنوعات التي يؤتى بكل موادها الاصلية من البلدان الخارجية في قطرنا . ولكن يؤمل ان المصنوعات التي موادها الاصلية موجودة في القطر يجب ان تصنع على الاقل فيه . فالسكر المكرر يرد منه من الخارج ما تقدر قيمته بثلاثين الف جنيه مع ان معاملته في القطر على ما مر بنا وكان الواجب ان يفي بحاجاته او يزيد عليها . والورق وهو سهل العمل ومواده عندنا فكان الواجب ان يعمل في قطرنا وحاجتنا اليه شديدة لأنه من لوازم العمران وبعض الامم تقيس عمرانها على مقدار ما تستهلك منه فن العار علينا اذا هذا التصدير في عمله . والقطر السوربي الذي هو متأخر عنا بمراحل يصنعه ولا يشكو اهله قلة كما نشكو نحن وجرائدنا " ومثل ذلك يقال عن الخبر وحبر المطابع التي اصبحت كثيرة الآن بمصر . ومن الغريب في الصناعة المصرية ان اهليها من المصريين لم يتقدموا فيها ولم يحافظوا على ما كان معروفًا لديهم . فان التأمّل يراهم قد نسوا او تناسوا ما كان آباؤهم واجدادهم يصنعونه قبل مما يعجز صناع اوربا عن عمله مثل التجارة العربية « الاتيكة المشربية » التي ضيعوها وان صنعوها الآن مسخوها وهي الآن بيد جماعة من الافرنج وليس بعيد عليهم ان يشتهروا بها في زمن

(١) علمنا انه قد تألقت شركة صغيرة في الاسكندرية لعمل الورق وبلغنا انها نصنعه على انواعه والوانه ما عدا ورق الكتابة وورق الجرائد . وهي تصنع على ما يقال في اليوم الواحد من ٥٠ الى ٦٠ قنطارًا بما كينة صغيرة واحدة فقط لان اسمها كلها يبلغ ٨٠٠٠ جنيه وربما كان الداعي في عدم توسيع نطاقها فلة راس مالها

قريب^(١) وقد غفلوا عن استقطار ماء الزهور الكثيرة في مصر مثل ماء النعناع والورد والفليا - وفائدة استقطارها معلومة لا تخفى على احد . وان وجد من يستقطرها فافراد من النساء يستخرجون منها القليل ويمزجونه بالماء الكثير ويبيعونه داخل قناني في القهاوي وهن مهتكات وغني عن البيان ان البلاد في حاجة الى ذلك ولا سيما حينما تتغير ماء النيل في شهري مايو ويونيو ويوليو من كل سنة . والمتأمل في تقرير مصلحة الجمارك يرى كثرة ما يرد على القطر سنوياً من ذلك من البلاد السورية وغيرها . وهذه اشياء سهلة العمل جداً ويمكن تعلمها بعد المشاهدة مرة واحدة . كما هو ممكن صنع انواع الطيب الاخرى التي يرد منها على القطر من الخارج ما تقدر قيمته باحدى عشر الف جنيه . ويمكن ايضاً صنع الاكياس والحبال . ليستغني القطر عن جلبها من الخارج . ويمكن عمل قماش القلوع الذي يرد علينا منها ما تقدر قيمته ١٥٠٠ جنيه وجميع مواد هذه الاحتياجات موجود عندنا ويمكننا صنعها في بلادنا فنرجح نحن ما يربحه التاجر الاوربي الذي نستوردها على يده ويتنفع عملتنا الفقراء باجور صنع هذه الحاجيات عوضاً عن نفع العامل الاجنبي

ويضيق بنا المقام لو عددنا الاصناف الاخرى التي يمكن صنعها مثل الجير والاجر فان قيمة الوارد منهما لا تقل عن الخمسة والعشرين الف جنيه

والخلاصة انا مقصرون في الصناعة حتى في صناعة عمل الخبز فان باعة الخبز عموماً يملأونه ماءً حتى يثقل وزنه على غير زيادة في مواد الغذائية^(٢) وما يقال عن الخبز يقال ايضاً عن الجبن فان قيمة الوارد منه سنة ١٨٩٨ تقدر بمبلغ ثلاثة

(١) اذ المكان الجميل الذي وضعت فيه مخانات سيد الكرن (عليه الصلاة والسلام) في

المشهد الحسيني من صنع الاجنبي وهو العمري اقدس الاماكن في القطر المصري

(٢) لهذا السبب انشأ الاجانب في الاسكندرية (مخابز صحية) بواسطة شركة بلجيكية

عشر الف وست مئة جنيه . ونحن مقصرون حتى في تنظيف ما في بيوتنا من
الاولاي الغالية الثمن حتى اننا نحتاج عند تنظيفها الى الاجانب وربما احوجننا الحالة
ان نرسلها الى الخارج . وان اردنا لم شيء باخر ولو كان من الزنك لا ندري
كيف يصنع ذلك وهذا غاية في الكسل ونهاية الاهمال وما أظن أمة من الامم قد
ادى بها الانحطاط الى ما نحن فيه وان لم تتدارك شؤون الحياة بهمة قوية وعزيمة
ماضية صرنا الى ما لا تحمد عقباه من سوء الحال وخيبة الآمال والعياذ بالله
نسأل الله ان يجي فينا حب الميل الى الصناعة حتى نمحي حياة اقتصادية
جديدة ونجد فينا حب الابتكار في الصناعة فيكتسب الصانع كسبه بطرق محملة
فان الصناعة ينبوع ثروة لا ينضب وسر من اسرار الاستقلال الصحيح

المطابع والطباعة

ونعمها الماضي وضررها الحاضر

اهتم المصريون بالمطابع والطباعة بعد ان عرفوها من حكومتهم عند اهتمامها
بانشاء مطبعة بولاق سنة ١٢٣٨ هجرية فالشأ الافراد منهم مطابعهم الخاصة ليشغلوا
فيها بطبع الكتب والرسائل فطبعوا ونشروا الشيء الكثير وكان جل اهتمامهم في
اول امرهم بطبع كتب العلم من الحديث والتفسير وكتب التاريخ وغير ذلك مما
وقفوا لطبعه من باقي العلوم الاخرى التي تكسب النفوس بعض الحياة وتحبي فيها
بعض ما اندرس من العلم وتبين بعض ما انطمس من الحقيقة على الفهم . ظلوا على
ذلك في مبداء امرهم حتى استشر العقلاء بالمستقبل الحسن لتقدم الامة المصرية . غير
ان الحال لم تدم طويلاً بل تبدلت بطبع الضار والمفسد من الكتب حتى اصبح ديدن
اصحاب المطابع المصرية (وخصوصاً الاسلامية منها) الميل الى طبع كتب السخافة

والاوهام . ولعلمهم ان العامة اميل الى ذلك من العلم والحقائق اكثروا من طبع القصص والحكايات الغرامية والفكاهية والاشعار الغير المستظرفة وكتب النوادر والمجون المفسدة للاخلاق والطباع والخيال ككتب الجفر والزيرجة والملاحم المملوءة بقول الزور والبهتان المنسوبة كذباً الى مشاهير الاسلام من اهل البيت وغيرهم (١) من ذوي الاصل الكريم والفرع الطيب غير ان اصحاب المطابع السورية وخصوصاً في هذه الايام لم يلتفتوا الى مثل هذه الخزعبلات بل ساروا سيراً حثيثاً يدل على اهتمامهم بطابعهم وطبعهم الشيء النافع . فانك لتري بين ايديهم كتب الجد الحائثة للامة على الظهور في عالم الحقيقة وما السبب في ذلك الا اعتناؤهم بطبع كل شيء نافع مفيد . خذ لذلك مثلاً كتب الافاضل الذين ألفوها او ترجموها في الحقائق تراها مطبوعة في تلك المطابع وما بقي من كتب الجهل الدالة على ضعف العزائم فطبوع في مطابع المصريين و بالخاص المسلمين . مما جعل القراء المدققين في دهشة من ذلك واستغراب . حتى حق للعاقل ان يزدري بالمطابع المصرية ولا يطبع فيها ما دام يمكنه التمييز بين كتاب مطبوع في مطبعة احد المصريين وكتاب مطبوع في مطبعة احد السوريين . اذ يتبين له عظم الفرق بين ما يطبعه هذا وما يطبعه ذلك . ففي الاول يرى من سقامة الطبع ورداءة الورق ما ينفر منه ذوقه .

(١) وحيداً لو كان عملاً ما ينيهون على هذه الكتب الضارة ليجتنبها الناس ولا يلتفتوا اليها وما اضر بالمسلمين شيء كاضرار هذه الكتب التي اقعدهم عن السعي والعمل وغلت ايديهم عن الجد والاشتغال بما ينفعهم ومن الاسف ان بعض من ينتسب الى الازهر قد طبع كتاباً في العام الماضي من اشنع الكتب المضرة واعلن عن بيعه في الازهر ولولا ان ينتبه لذلك ذور الحكمة ويضربوا على يده ويؤدبوه لكان الامر من أفظع الامور وانا نستلقت انظار العلماء الى تلافي هذا الخلل ووضع قاعدة لدرء هذه المفاسد الناشئة عن هذه الكتب المنتشرة وهذا واجب يلقي على عاتقهم لا يمكنهم التخاص منه أمام الله والناس

وفي الثاني دقة الوضع ونظافة الطبع . وما ذلك إلا من نتيجة اهمال الاولين لعملهم واعتناء الآخرين به وعدم جلب الاحرف الصحيحة بدلاً من الاحرف القديمة التي برت ضلوعها طرق الآلة الطباعية وطول الاستعمال وهذا هو السبب الثاني في تأخر مطابع المصريين . كل ذلك يقطع النظر عما يحصل في مطابع المصريين من كثرة الغاطات وسقوط نقطة او كلمة او تداخل احرف اللفظة في احرف جارتها . ولذا يندر ان يكون كتاب مطبوعاً في مطابعهم بدون فهرست في آخره ميئاً فيه الخطاء من الصواب او الاعتذار للقارئ عما عساه ان يكون فيه من السهو هذا قولنا عن المطابع المصرية وهو القول الحق الا انا نؤمل خيراً في المستقبل فقد انتبه منا بعض الشبان المهذبين فانشأوا مطابع لطبع الكتب طبعاً نظيفاً يسر الخاطر كمطبعة الشاب المهذب محمد علي كامل افندي وغيره .

ومما يسرنا ذكره ايضاً انه تألفت من مدة جمعية لطبع الكتب العربية^(١) المفيدة وقد طبعت للآن سبعة كتب جديدة بالمطالعة لما فيها من بعض الفوائد . غير اننا لا نزال مقصرين ولا يزال باقياً لدينا كتب كثيرة ذات فائدة علمية وتاريخية نحن محرومون منها مع انها في لغتنا ونحن الاحق بمطالعتها وقراءتها لنقف على ما كتبه آباؤنا الاولون . ومن هذه الكتب عدد عظيم في دار الكتبخانة الخديوية وهي احق بالطبع من كتب القصص والحكايات الغرامية وكتب النوادر والمجون والخيال التي اعتنينا بطبعها ونشرها . وهذه الكتب يعلم اسمائها من مطالعة فهرست

(١) بعد ان كتبنا عن هذه الجمعية علمنا انه تشكلت جمعية باسم جمعية احياء العلوم العربية تحت رئاسة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد طبعت كتاب المخصص في اللغة لابن سيده وهو من الكتب النادرة المثال وقد اعلنت الجمعية عنه وستوالي طبع الكتب النافعة وهذه الجمعية اعضاؤها من خيرة رجال الفطرونيهاية وفقهم الله واكثر من امنالم آمين

الكتبخانة المذكورة وإلا أفليس من العار على من يعتني بطبع ما تقدم ألا يعتني بطبعها^(١). اليس من العار علينا أيضاً أن يطبعها لإفراج بلغاتهم بعد ترجمتها ثم يدرسونها في منتدياتهم العلمية وهم بعيدون عن اللغة العربية ونحن أقرب إليها منهم . حقاً أن من يعرف كثرة طبع الإفراج لها باخذة العجب^(٢) فحسى أن ينثبه أصحاب المطابع منا ويعتنوا بمطابعهم فينشروا تلك الكتب ويتنافسوا في طبعها بدلاً من كتب السخافة والهذيان التي افسدت علينا اخلاقنا وغيرت محاسننا حتى اصبحنا نخاف ان يكثر اولادنا من قراءتها واقاربنا وجيراننا أيضاً فتؤثر في عقولهم واخلاقهم التأثير السيء الذي ينغص الهيئة الاجتماعية والعائلية . وحبذا لو ساعد الاغنياء واهل العلم منا جمعية طبع الكتب العربية وجمعية احياء العلوم العربية أيضاً هذا بما له وذلك بعلمه لتعيا اللغة ويكثر الانتفاع حقيقة بالطبع والنشر . حتى لا يضحك علينا بعدنا اولادنا ومورخونا ويقولوا عنا انا كنا نهوى الداء وهو يتماذى مع ان الشفاء بيننا يتهاذى ولكن لا نمد لهُ بدأ . وكيف لا يضحكون عليك جدولاً مبيئاً فيه الكتب التي ألفت وطبعت في القطر خلال السنوات الخمس الاخيرة

عدد

٢٥ روايات وقصص

(١) ومن العجيب الغريب المضحك المبكي ان باعة الكتب وطابعيها عندنا لاهم لهم ولا لذة الأبحاث كسمة بعضهم بعضاً والسعي في اضرار انفسهم ولا يتنافسون الا على مثل كتاب الف ليلة وكتاب سيف اليزن ورجوع الشيخ ولذا تراهم يكرزون طبع الكتاب مراراً والحال انه لم يتفقد ولكن سعياً في ابداء الذي طبعه اولاً وهذا شأنهم ومن العجيب ان يطبع كتاب الف ليلة عشرين مرة وكتاب المدخل لابن الحاج مرة واحدة وهذا يدل على الخطاط كبير فينا وخذلان ليس له مثيل والعياذ بالله

(٢) انظر ما كتبه فاضل في مجلة المقنطف الجزء ٤ سنة ٢٥

	عدد
كتب تاريخية وأكثرها من أسلوب واحد	١٩
" أدبية	١٥
" مجون وثفاق مثل كتاب المسامير وسهام التدمير وانتقاد الإخوان	٠٩
" سياسية	٠٤
" حسابية	٠٣
" في التربية	٠٢
" في الأمثال وأصل الكلمات العامية	٠٢
" في العلوم الفنية	٠٣
" ورسائل في المواضيع الدينية مثل رسائل الردود على القسس والقسس على المشايخ	٠٩
" في اللغة القبطية والمهبر وجايف	٠٤
" " الزراعة	٢
" " الرثاء	٦
" دواوين	٤
" في الإنشاء	٢
" التراجم	٣
" الحقوق	٢
" الطب	٢
" علم الآثار	٢

الكتب والمؤلفون بمصر

ان كان عدد المدارس وعدد المعلمين والنظام المالي والاقتصادي يعتبر من الادلة الصحيحة على درجة مدينة البلاد فنوع المؤلفات التي تنشر فيها من حين الى حين وعددها ايضاً من احسن الشواهد على درجة ماهية هذه المدينة . اذ هي خلاصة افكار وخواطر نخبة الامة ومرآة ذوق المتنورين وامثال الفئة المتعلمة بأسرها . ومعلوم ان المصلحة الشخصية هي المحرك لجميع الاعمال في هذه الحياة ويستحيل ان يهتم شخص في الوجود لامر ما لم يكن مسوقاً اليه بحسب المصلحة الذاتية . فتارة يكون اندفاعه طلباً في الافتخار " والانسان طبيعة يفخر بجماله وعلمه وادبه وثروته وتواضعه وتسكبه حتى عند ما يكون ظاهر عمله تضحية بحسب الذات " وتارة سعياً وراء المال او الانعام وغير ذلك من العوامل الادبية الخفية . اذا لا بد ان يكون للمؤلف مثل غيره من غاية او محرك في عمله . ويمكن تقسيم المؤلفين من هذا القبيل الى (اولاً) مؤلفين غايتهم نشر افكارهم العلمية خدمة للعلم او الوطنية او الدين او الآداب . ولشهرة انفسهم مع الامل بالربح المادي انما دون ان يكون هذا الاخير المطمح الرئيسي . وهذه هي اقل فئة بين العالمين

(ثانياً) مؤلفين غايتهم في جانب الشهرة الربح المادي وربما اختلف البعض عن الآخر في انه يرمي اولاً الى الشهرة او الى الربح انما بوجه الاجمال يصح القول بأن الغاية الرئيسية من السالف بوجه عام هي الربح والشهرة

ونحن مع كوننا من فئة المستبشرين القائلين بسير البلاد الى الامام نوعاً لا يمكننا ان نقول باعتقاد صحيح ان في مصر عدداً محسوساً من الفئة الاولى وربما لا يخلو الحال من افاضل هم حقيقة منها وما منهم عن الظهور الا ترجيحهم بأنه لا

يوجد في القوم من يقدر كتابتهم حتى قدرها ويهتم بقراءتها فلا يرون من العقل
الاشتغال في اعمال لا يتوقع فائدة منها . ولكن هذا لا يوجب الاشرار على اية
حال سواء كان الرأي صحيحاً ام لا فالنتيجة ان البلاد خالية من اعمال اهل العلم
الصحيح " ما عدا النزر القليل جداً وسيأتي الكلام عن ذلك " وتدل ايضاً ان هذه
النتيجة القليلة ليست مثل قريناتها في بلاد المتقدمين اقدماً ومنفعة للبلاد ولا يصح
التعويل عليها بصورة توجب الاشرار . اما القسم الثاني من المؤلفين فلوائه يوجد
بعض التماثل بين اعمالهم واعمال بعض المؤلفين في غير هذا القطر ولكن بوجه
الاجمال لا يمكن مقارنتهم بهم لا من حيث عدد المؤلفات ونسبتها ولا بالاختصاص
من حيث نوعها وقيمتها

ففي البلاد المتقدمة يوجد مؤلفون علميون ومؤلفون سياسيون ومؤلفون
اقتصاديون ومؤلفون دينيون ومؤلفون ادييون ومؤلفون فكهيون الخ .
يختلفون طبعا من حيث متانة البحث وآداب الكتابة ولكن في كل درجة منهم ما
يكفي لحاجات جميع الطبقات . ويمكن ان يقال ان في بلادهم كل شيء في تقدم
حتى الذل . نعم يمتنى المرء العاقل ان تكون جميع الخواطر منصرفة الى الجهد ولكن
هذا يستحيل ما دام الانسان انساناً والدنيا دنيا ولكن وجود الذل وغيره يكاد لا
يؤثر على تقدم البلاد نظراً لاهتمام الفئة الكبرى بما يرقى البلاد علماً وادباً وثروة
اما في مصر فالمؤلفات المفيدة التي من هذا القبيل تكاد لا تذكر وعيوب
العدد الاوفر منها اكثر من فضائلها . نجرائدنا وكتبنا لا تخلو من محل للانتقاد
الصحيح اكثر بكثير من نظيراتها عند غيرنا . واغلبها خلو من المباحث العلمية او
الفلسفية او الادبية او التجارية وقاصرة على التمسك على بعض افراد لغايات دينية
محضة او على نشر اراجيف وخرافات وافكار ومباحث تضعف الذوق العلمي

وملكة العقل الصحيح عند اهل البلاد فهي اذا تساعد على انحطاط العقل اكثر من مساعدتها على ترقينه وتدل دلالة واضحة على انحطاط نفس المؤلفين وهم بحسب الارجح الفئة التي امتازت عن المجموع علماً وادباً وأمكنها ادارة الاقلام

ونحن لا نقول هذا عفواً بدون تبصر فان مصر مع انها تعتبر عاصمة البلاد العربية حضارة ومدنية هي بنسبة مركزها الحالي احوج الى الكتب العصرية المفيدة من غيرها فالمؤلفات المذخورة في الكتب بغانات العمومية والخصوصية تكاد تكون قاصرة على بقايا العصور الحالية فالادبية والفلسفية منها قد لا تطبق على آداب وفلسفة الوقت الحاضر الانطباق اللازم . والتاريخية منها اكثرها خطل وحكايات ليس لها في الغالب أساس علمي " أنظر بعض المؤلفات التاريخية من التي طبعت اخيراً وذكرونا عددها في الفصل السالف " واللغوي منها كاه تكرار ومزج غير مفيد " انظر كتاباً من الكتابين المؤلفين في الانشاء الذين ذكرناهما في الفصل السابق "

والعلمية منها لا علم صحيح في اكثرها لان اغلب قضاياها قد ثبت عدم صحتها . ولو انه لا يوجد الا نفر قليل مهتم فعلاً بطلاتها ولكن مجموع خرافاتها واضاليلها ما زالت منتشرة بين الجمهور . وهذا هو اكبر عامل مساعد على بقاء القوم في حالة الانحطاط العلمي خصوصاً وانه لم يفتن احد من ذوي النشاط العلمي الى دحضها بالاساليب المألوفة في غير هذه البلاد

نعم يظهر بيننا من وقت الى آخر مؤلفات بعضها مفيد نوعاً ولكن أغلبها كما قلنا عبارة عن ترجمة بعض روايات افرنكية قد لا تنطبق على المطلوب في هذه البلاد خصوصاً وان الترجمة تفقدها في الغالب قوة اللهجة ولذة العبارة وربما كان لترجمتها بعض الفوز اذ هم لا غاية لهم منها غير مجرد الفائدة المادية حيث ينظرون الى هذه البلاد كسوق رابحة تروج فيها بضائعهم والغاية الادبية من الروايات بوجه

العموم تمثيل عوائد البلاد وتفاصيل احكامها ونظاماتها واستبداد حكماها استنهاضاً
 لهمة الامة ولتقويم المعوج . فالتى يكتب منها لبلاد معلومة قد لا يكون له كل
 المعنى المطلوب في هذه البلاد . فماعد العدد القليل جداً لم يظهر عندنا شي مفيد
 من هذا القبيل . وكذا قل عن التاريخ . اما عن الآداب والفلسفة فلا محل لها
 في الكلام لخلو البلاد تقريباً من مباحث صحيحة فيها . والعلة الحقيقية في ذلك ما
 هو سائد في اذهان العوام من ان كل بحث عقلي يناقض الاعتقاد الديني . وان هذا
 مقدس لا يصح التعرض له ولا غرابة ان استمر مثل هذا الاحساس المضر في القوم
 ان كانت جميع المدارس العائلية والابتدائية والعالية والاجتماعية خالية كل الخلو
 من كل بحث في علل الاشياء ولا غرابة اذا انقضى القرن التاسع عشر ودخل القرن
 العشرون واكبر مدرسة عربية " الجامع الازهر وما يماثله " ليس فيه شي من
 المباحث الفلسفية العصرية التي بدونها يستحيل تقريباً تهذيب النفوس التهذيب
 الحقيقي الذي تقوم عليه المدنية الصحيحة . فان كان لمثل هذه المباحث او لمثل هذه
 المبادي نصيب واعطي لتربية النفوس والاخلاق محلاً ولو جزئياً في بروجرامات
 المدارس لامكن التمييز بين منطقة نفوذ الدين ومنطقة نفوذ العلم ولظهرت بيننا
 كتب ومؤلفات تنهض بالامة نهضة محسوسة يمكنها معها مجارات الامم المزاحمة
 لنا هذه المزاحمة القوية

اما المؤلفات العلمية فقد انقرض زمنها لاسباب شتى اخصها عدم وجود فائدة
 بالمرة من الاشتغال بها . اولاً لعدم استعمال المدارس الكتب العربية في تدريس
 العلوم . ثانياً لعدم اهتمام الناس بالعلوم حباً فيها لاعتقادهم عدم فائدتها في حالة
 البلاد الراهنة . ثالثاً لعدم وجود فئة محسوسة من اهل العلم الصحيح الذين يبدأون
 من انفسهم على نشره بصرف النظر عن جميع الموانع

أما المجلات والجرائد فإن استثنى منها النزر القليل جداً الذي لا يعود فضله لاهل البلاد الأصليين فالباقي إنما هو عبارة عن جرائد قليلة الاحتفاء بعزة النفس والرفعة الصحيحة غير واسعة الاطلاع والتمكن من المسائل السياسية والاجتماعية وجميعها ترمي الى غايتين أساسيتين . الاولى خدمة مصلحة اصحابها . والثانية خدمة الفئة المنتسبة لها ديناً . فهي اذاً من اقوى العوامل على نشر التعصب واضعاف البلاد وأكثر ما يدرج فيها يقصد منه التشفي الذاتي وتوليد الضغائن وبحمد الله كلها مجمعة على البعد عن واجب الكتابة والمباحث المفيدة إلا ما كان في بعض الاحيان من المسائل التي يجرم اليها ظهور الحقائق بحيث تغلب على ما ربههم واميالهم من حيث لا يشعرون وهذا قليل من سوء حظ البلاد

كتب مفيدة

وان كان كتاب " سر تقدم الانكايذ السكسونيين " وتحرير المرأة " والمرأة الجديدة " مقدمة حياة جديدة لهذه البلاد فهي كافية لمحو عارها واحياء آمال محبيها . اني لست اول مهجوب بكل حرف من هذه الكتب النفيسة ولست ممن خصوا بالنصيب الاوفر من العقل لتقدير ما ورد فيها من المبادئ السامية التي تستحق بلا مرء ان تزين بها العقول والمكاتب والمنازل ولست لسوء حظي من الذين يستطيعون اظهار فوائدها ولكن شعني بها يدفعني دفعاً الى افراد باب لكل منها

" كتاب سر تقدم الانكايذ السكسونيين "

" لسعادة العالم الفاضل احمد فحي زغلول بك "

قصد واضع هذا الكتاب احسن علم اجتماعي جمع فيه خلاصة اجائه وابحاث قرائه في نظام فرنسا الاقتصادي السياسي ومقارنته مع نظام انكلترا التي منها يتضح

علة تقدم الاخيرين وتأخر الاولين . فهو اذا قاصر على مباحث اجتماعية محضة لا دخل للدين فيها . ولوجود تشابه محسوس بين الجمعية المصرية والجمعية الفرنسية من بعض الوجوه لاحظ سعادة العالم المدقق احمد فتحي زغلول بك ما ينجم لامته من المائدة من نشره وشرحه وتذييله بالملاحظات الخاصة بهذا القطر

فالكتاب جليل القدر . (اولاً) لانه اول مؤلف في باب وقف على عال الخطاط الامة الافرنسية الحقيقية من عالم مدقق تقرباً فريد من حيث كيفية ابجائه وحرية نظرياته . (ثانياً) لانه بحث في مسائل مالية جوهرية يتوقف عليها حياة امة او زوالها . (ثالثاً) لانه يخص كل فرد من افراد الامة بدون ادنى ارتباط للاعتقاد الديني وهو ذو قيمة خصوصية بالنسبة لهذه البلاد . اولاً لانه اول مؤلف ظهر في باب فيها . ثانياً لان البلاد في حاجة واضطرار اليه . ثالثاً لان ناقه الى العربية عالم فاضل لا شبهة في اقتداره على اظهار مزاياه واكسابه قوة التأثير التي لكتابه الاصيلي في بلاده خصوصاً وانه قد وضعه بصورة تقي بحاجات البلاد الخصوصية فرغماً عن هذه المزايا لم يلق كل الاهتمام اللائق له . وعذر القوم في ذلك واضح فانخطاطنا الادبي مشاهد بالعيان . ونحن لا نلوم الفئة الكبرى لان جهلها المعلوم يلمس لها العذر ولكن الفئة القليلة التي كان ينتظر ان تنظر له بعين الرضا على الاقل وتهتم بالبحث فيه بقصد الامعان . كانت مع الاسف من اشد العاملين على الخط من قيمته ومسوخ معانيه ولعلمهم ان اكبر حجة تفلح في هذه البلاد هي التحكك في الدين قالوا ان مباحثه تناقض الدين والله اعلم بأوجه التناقض . والكتاب بري منها . ولكن بما ان نوايس الطبيعة نقضي حتماً بضرورة ظهور الحقيقة ولو بعد حين فلا بد من يوم تفهم الناس فيه معنى الكتاب وتقدر قدر واضعيه وانهم بلا شك من نوابغ الدهر ورحم الله القائل ما ضرَّ شمس الضحى في الأفق ساطعة ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصير

كتابا تحرير المرأة والمرأة الجديدة

” لسعادة العالم القانوني قاسم بك امين “

ظلت الامم ازمناً تجهل تأثير المرأة في العمران . وان لها حقوقاً وشأناً فيه . لا نقل عن حقوق الرجل وشأنه ان لم تكن أكثر . ولكن ما لبث هذا الجهل ان زال او تقلص على الاقل في الامم المتقدمة بنسبة ارتقائها في سلم العلم الصحيح وادركت ان اساس العلم والتربية هو المدرسة المنزلية واساس هذه المدرسة هي المرأة وانه بقدر ارتقاء هذه ترتقي هذه المدارس وبقدر ارتقائها ترتقي افراد الامة ايضاً . ادركت هذه الشعوب بان المرأة خلقت مساوية للرجل في الحقوق واكثر منه رقة في العواطف وسرعة في الخواطر وشغفاً بالمحافظة على الآداب وان ما انزلها الى درجة الاستعباد خلافاً لما تأمر به الاديان جميعها الا تطرف الرجل وخروجه عن حد الاعتدال واستبداده وان هذا الخط مضر فعلاً بجم الهيئة الاجتماعية ومفسد لقوامها وارتقائها اذ يترتب عليه ابعاد فئة كبرى من العمل المفيد بل ومن اكبر عمل يتوقف عليه التمدن الصحيح . فلما ادرك الرجال المعارفون ذلك وثبت لهم ان سعادتهم لا تتم الا برفع اجحافهم عن النساء واعطائهن مركزهن الطبيعي الذي اقرتهن عليه الشرائع هان عليهم التجاوز شيئاً فشيئاً عن الاستبداد وساعدتهم على ذلك ما شعروا به من الارتقاء وتوفر اسباب الهناء والعمران . هذه حقائق راهنة يكفي معرفتها للاقتناع بصحتها وهذه شعوب اوربا كلها دلائل ساطعة عليها . ولكن لما قام حضرة العالم الباحث سعادة قاسم بك امين يحدث اهل بلاده بها قبول بالسخط والازدراء وياليت هذا من فئة الاميين وسطيحي المعارف فقط الذين ألفوا استعباد المرأة واعتبارها احط منهم قدراً واتخاذها متاعاً من امتعة البيت والدين يابى ذلك

بل من الفئة الممتازة "فئة العلماء" والظاهرين بمظهر المرشدين والمعلمين وحاجوا المؤلف بالدين وجعلوه عكازهم الوحيد . نعم انهم أفلحوا - ولكنه فلاحٌ وقتيٌّ - في تنفير القلوب من هذه المبادئ السامية ومنعها من الوصول بالثريّة الحقة الى سعادتها ولا بد يوماً ما من انتصار الحق وتغلبه لاشتغال القوم بالعرض دون الجوهر فانهم تمسكوا بمسألة الحجاب وتركوا التربية واكثروا من الصياح والجلبة بالقول والكلام وتركوا العمل والفعل . وما فعلوه انما هو عراقيل وقتية لا تستطيع مقاومة قوة الحقائق فلا بد لهذه من الفوز الاخير . ولا بد من عصر يعرف فيه قدر رجل الفضل ونايعة هذا الزمن الذي اخذ على نفسه المجاهرة بالحق والانتصار للمغبوتين في بلاد لا تقابل فيها مثل هذه المجاهرة الأبالنكران والازدراء

اما جعل القوم مسألة الحجاب دينية محضة . فيخالفه ان المسلمين فيها ليسوا سواء في كل بلادهم وليس الحجاب شاملاً لجميعهم^(١) وصاحبنا انما يريد تعديل هذا لدرجة توافق المصلحة ويسهل معها التربية والتعليم والقيام بشؤون الحياة التي يليق بالمرأة ان تكون فيها فما بالنا قد تركنا الباب وهو السعي في التهذيب والاصلاح العائلي والتربية الحقة واشتغلنا بالقشر الذي هو الحجاب ووقفنا عنده مكابرة

(١) قال الاستاذ الشيخ علي يوسف في رسالته من الاستانة العلية المؤرخة في ١٥

اغسطس سنة ١٩٠١ المندرجة في المؤيد الصادر في يوم الاربعاء ١٣ جماد اول سنة ١٣١٩

٢٧ اغسطس سنة ١٩٠١

المرأة هنا ذات حجاب ولكن لا كحجاب المصرية فهو اقل منه بكثير في شكله واكبر منه وظيفة . فهو كلا حجاب في نموده . ولكنه اذنع للناموس واصون للعرض . فلا يوجد هنا برقع ولا يشمق . ولكن خمار رقيق اسود . او ذي لون آخر يسمى "بيج" تسدله الواحدة على وجهها في مضائق الطرق وترفعه اذا قلت المارة وخف الرحام "ورفعه اكثر من وضعه" وقد لا تخرج الواحدة منهن الا وفي يدها تسمية لاثناء حر الشمس او رذاذ المطر . وهي تنفعا كثير في الاحتجاب ايضا عن اشعة الابصار فلا تحتاج معها الى ذلك الخمار . اه

وعناداً أوليت قوماً يعتنون بالتعليم والتربية مع وجود الحجاب بينهم ويظهروا لنا قوة عزيمتهم وشدة اهتمامهم ويحيون اسم الدين في منازلهم وفي قلوب ابنائهم وبناتهم حتى تكون لنا تربية حقة وتعليم صحيح . أما " تحرير المرأة " ومساواتها بالرجل في كل الشؤون فلا يشمل إلا في العلاقات الدنيوية السياسية النظامية وهذا ما يوافق عليه كل من بحث في المسألة باستقلال نظر
فان كان هذا هو نصيب مثل هذه المؤلفات في هذه البلاد فلا عجب ان
قات فيها وضعف الاهتمام والاشتغال بها

السياسة

السياسة عند كل امة متدنة علم كسائر العلوم الاجتماعية . له اصول وروابط يتقيد بها ويسير عليها . وما شذ عنها فهو خرق في السياسة لا يمكن التعويل عليه ولا تعليل النفس به اذا مست الحاجة اليه . وله مدارس خاصة به واهمها الدهر والتاريخ ولا ينجح به الا من كان منذ نعومة اظفاره ميالاً اليه فيتعلمه في كل آونة وهو لا يعلم به . لا . لأنه غير شاعر به . بل لان ذلك اصبح عادة لديه اذا تركها رأى في ذاته شيئاً غائباً عنه فيتطلبه حتى يجده ويكمل به ما نقص منه . ومن لفظة السياسة يفهم الغرض منها اي مسابرة الزمن واغتنام فرصه في معرفة المراتب الدينية والاجتماعية الفاضلة والمؤذية ووجه استيفاء كل واحد منها وعامة زواله ووجه انتقاله . ولا يستغني عن السياسة احد من الناس ما دام الانسان مدنياً بالطبع ويجب عليه اختيار المدينة الفاضلة مسكناً والهجرة عن المؤذية وان يعلم كيف ينفع اهل مدينته وينتفع ولا يتم ذلك الا بالسياسة
ونقصد الان ما دنا قد بينا ما تقدم الكلام على علم السياسة عندنا المنشرفي

القهاويي والمنتديات والحانات حيث يؤتمها الحظ الفقير مناسيا ساعة العصر ساعة انتشار الجرائد يبد باعتها من الاطفال البالغ عددهم في القاهرة وحدها زهاء المائة . والتي يتناولها منهم الغني والفقير ويقضون ساعات فراغهم في طرق مباحثات في سياسات الدول عند اطلاعهم على ما جاء به روتروما اخبر عنه هافاس واغلب اولئك الذين يتناقشون في السياسة من جماعة مستخدمي الحكومة وشبان المدارس العالية المنتظر منهم لدى نيلهم شهادتهم المدرسية ان يخدموا الوطن والوطنية بالتفاتهم نحو الزراعة والتجارة ولكنهم يفضلون الالتحاق بالخدم الاميرية ولو اماتت احساساتهم وعلمتهم على الكسل وان كانوا في غنى عنها ايضا . حتى انك لو سألتهم عن عملهم قالوا انا كنا تلامذة والآن نحن منتظرون اجابة زيد في الحقاينة وعمرو في المالية . هؤلاء لهم في ميدان السياسة قصب السبق في حين انهم في ميدان الكسب خاملون . وقد مضى عليهم سنون عديدة في تفضيل فرنسا على انكلترا وانكلترا على فرنسا حسب اهوائهم واهواء المدارس التي ربوا فيها واهواء الجرائد التي يقرأونها وكلهم متعشمون في خلاص الوطن لتوهمهم انه في تعاسة وشقاء مثلهم وعلى هذا يسعون على زعمهم في خلاصه من الاحلال ولو كان فكرهم في اغتلال — اذ عندي انه لو طبع لهم كتاب تاريخ الجبرتي مرة ووزع عليهم مجانا وقراوه لفهموا النعمة الحاضرة ولأدركوا خطاءهم ولحمدوا ربهم على ما هم فيه من النعم الجزيلة — اذا سألت احدهم من بدء الاحلال إلى الآن بالاجمال ان شئت او بالتفصيل اذا احببت فهم له حافظون واسأل من نشاء منهم عن ما يسمونه ديبلونكل او هانوتو^(١) ونمرة ٢

(١) ديبلونكل كان عضواً في مجلس نواب جمهورية فرنسا في وزارة هانوتو سنة ١٨٩٥ للخارجية الفرنسية . اتى مصر وساح في الوجه القبلي ووعد من رفاقه من المصريين ووافقته على سياسته ان الانكليز سيرحلون عن مصر في اكتوبر سنة ١٨٩٥ وللآن لم يصدق وعده لهم

ونقرة ٣ فهو يفسره لك باحسن تعبير كأنه يراجعهُ كل يوم فلا يفوته حرف منه ولا حركة . واسأل من نشأ منهم عن مجادلات المؤيد والمقطن من عهد نشأتها يخبرك بها حرفياً ان شئت اوسطحياً ان اردت وكلمهم يقولون لك ان الجهاد في سبيل الاستقلال واجب فان حاجتهم بجهل الامة غنيها وفقيرها وبفقد التضامن الوطني الذي هو اكبر دعامة في الاستقلال الحق لتكون الامة حية متضامنة وقفوا عن الاجابة وتمسكوا باذيال الفرار واستعملوا المواربة . ولا فرق بين البعض والبعض الآخر في سعة الادراك في هذه السياسة الا ان هذا يحفظ وهذا لا يحفظ ما حدث في عهد الاحتلال للآن من الحوادث العظيمة التي كان لما بعض التأثير . ولما كان اغلب المشتغلين في هذه الامور من المصريين جماعة الاسلام ووجدوا ان الحالة باقية على ما كانت عليه ولم ينفعم الاستصراخ بغلادستون وغيره من علماء السياسة في اوربا اوجدوا سياسة جديدة وهي سياسة الجامعة الاسلامية وسياسة الدين فلذا ترى كلاً منهم يقول ان ما يراه في نظره اولى بالاتباع وكفى . وكل رأي يخالفه فهو ضلال وان كان حقاً ويستنكف ان يجتمع بغيره حتى يقابل فكرته بما عنده لعل احدهما يقنع الآخر ولذا تراه يخبط خبط عشواء يكتب بالدين والاسلام وهو ابد الناس عنها . ومن البديهي ان فاقد الشيء لا يعطيه . ولوشئنا تعداد الآراء التي كتبت في مثل هذه الخيالات في الجرائد اطال معنا القول . وحديث الجامعة والدين يلد فيه البحث ان لا يدرك حقيقة الجامعة ولا الدين مثلنا وهو كذلك ملذ للقارئ والكاتب لا لانه شيء فكاهي مما تعودنا اللذة منه فقط . بل لأن القارئ يجد ما توده نفسه وما تصبو اليه امياله " ان الانسان خلق هلوفاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً "

فيطالع ما يكتب في هذا الموضوع بانشرح خاطر وسرور نفس وهكذا الكاتب

يرى امامه الموضوع كبيراً متشعباً فيجري فيه قلمه حتى لو شاء الكتابة فيه إلى ما شاء الله ما استعصى عليه القلم ولا خاتمه القريحة . ولكن لا ندري ذلك وعاقبته وهل تصح الاحلام . ام الحقيقة هي انه من بعد موت الرسول "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الراشدين لم يتم للاسلام جامعة قط . ولدنيا سير الاسلام واقوال مؤرخي الاسلام انفسهم في ذلك فان بعد موته "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الاربعة لم يتم للاسلام جامعة واللييب يعلم هياج المسلمين وقيامهم في زمن الصديق "رضي الله عنه" . وانه قام في بدء خلافته من قام لولا تهذئة الخواطر بهمته "وبعد موته لولا اشتغال امير المؤمنين عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" سيف الغزو والفتوح لحصل ما حصل في خلافة خافيه الامامين عثمان وعلي "رضي الله عنهما" ودولة بني أمية فيها من التفريق بين ممالك الاسلام ما نعلمه وتاريخ الدول الاسلامية التي خلفتها حاو من الفشل وتفريق الكلمة بين الاسلام واهله ما فيه ومنذ نبوات دولة آل عثمان عرش الخلافة للآن ما سمعنا باهداء سلام من ملك مسلم عربي لملك مسلم تركي حتى صدق قول القائل

الضرب والنون قد يرحى اجتماعها وليس يرحى وداد الترك للعرب
بل كلهم يستنكفون تبادل السفراء في عواصمهم مع انهم يقبلون على الرحب
والسعة سفراء الممالك الاوربية فوا اسفا
ما ذا التقاطع في الاسلام بينكم وانتم يا عباد الله اخوان

(١) لما توفي "النبى صلى الله عليه وسلم" ارتدت قبائل عمان والبحرين ومهرة وحضرموت وظهر مدعو النبوة طليحة في نجد ومسيله في اليمامة وقيس قاتل الاسود في اليمن وهم بالعصيان اهل مكة والطائف وسائر اقليم الحجاز فوجه ابو بكر "رضي الله عنه" همة لقمع هذه الفتنة وبعث اسامة بن زيد الى البلاد الشمالية بجيش هائل اوقع الرعب في قلوب العرب اجمع وهو اجل عمل قام به هذا الخليفة الاول ومن جاء بعده فهو عيال عليه

وها هو حاضر الاسلام في الاستانة منقسم على نفسه وكلهم احزاب وشيع وكذلك الحال في مصر كثيراً ما تكدر الصفا بين سمو مولانا الخديوي المعظم وجمالة مولانا امير المؤمنين . والفضل في ذلك لجماعة الاتراك الذين اموا مصر اخيراً فان منهم جماعة ضد جماعة كلهم هاجون بعضهم بعضاً باقبح الالفاظ وارذل النعوت

وكل فريق يؤلف ضد الآخر الكتب والرسائل ومن هذه الكتب ظهر عدد كبير كما قدمنا وكان ذلك سبباً في تعكير العلاقات بين مصر والاستانة . حتى اصبح البلغاري لاثقاً للالتفات السلطاني اكثر من المصري واصبح ابن الاستانة ينظر الى ابن مصر باحتقار وازدراء بعيشك قل لي هل من الجامعة ان يشتغل السلطان بالهدايا تتبع الهدايا الى ملوك اوربا وذوي الامارات الصغيرة وبدع مثل سلطان مراکش وامير الافغان لانسمع شيئاً عن مهادته لهما ولو بالسلام فضلاً عن الاتحاد يداً واحدة والاجتماع على كلمة واحدة مع انه لا يتصور ان يبغي بعضهم على بعض او يطعم في زوال ملكه .

افهل هذه هي حقيقة السياسة التي اضعنا فيها الوقت الماضي كله . ام من الحقيقة وحسن السياسة القول ان جميع ممالك الاسلام تحتاج نفع جديد ويد الله للتأييد .

ولا يتم ذلك ولا يتحقق شيء مما يقولون الا بالعلم وبث المعارف حتى يبعد ذلك التفرير المشاهد بين المسلم واخيه وحتى لا ينتظر كل منا وعد سياسة اوربا الاستقلال وكل منا متعلق بدولة ولو كان هذا التعلق اشبه بالمتعلق باذيال الهواء او المستجير من الرمضاء بالنار

الجرائد السياسية المصرية

اول الجرائد السياسية المصرية التي أنشئت في مصر جريدة " وادي النيل " التي كانت تصدر مرتين في الاسبوع على شكل كراس^(١) وكان يحررها ابو السعود افندي أنشئت بمصر ١٢٨٣ - ١٨٦٧ ثم عكف من بعدها جماعة السوربين لانشاء الجرائد السياسية ومنهم تبه المصريون على انشاء الجرائد بكثرة تلك حقيقة نذكرها ولا نبغس الناس اشياءهم . والجرائد يقال عنها انها مقياس كل أمة في ارتقائها ونموها . فكما تكون الامة تكون جرائدها ومن رام ان يعرف جرائد امة فليذكرها ليتضح له حالة تلك الامة وتقدمها او تأخرها باحلي بيان . والغرض من الجرائد السياسية العلم بحقائق الامور الجارية . والوقوف على الاخبار بين البلاد وبعضها فاذا عرفنا ما ذكر تقول عن جرائدنا السياسية المصرية والأصف ملء القوادانها دون سائر الجرائد التي نشئها الطوائف الاخرى المعاصرة لنا في معرفة الاخبار وذكر الحقائق . والسبب في ذلك انه يجر فيها كل كاتب وجد في نفسه مقدرة على حمل الاقلام وتجشم الآلام . واحتمال الأواء ورزق قلباً ميتاً وكان ذا استعداد ليعيث في ارض الكتابة افساداً . واحتقب من الاوزار وهب من سنة الضياع فلهدا تنشأ الجرائد السياسية المصرية واصحابها غير كفوء لما اتدبوا اليه . وزد على ذلك انهم يتكلمون على مساعدة الغير مساعدات مادية وادبية

ويزداد عددها وعدد النسخ التي تطبع منها ايام اشتداد الازمة ووقوع الحوادث العظيمة مثل ايام الحروب والمشاكل الداخلية حيث يكون مجال القول لها فسيحاً

(١) اما الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) فقبل ذلك بكثير اذ اول صدورهما كان

فتعرف بما لا تعرف سواء كان بالكذب او الصدق . والكذب عندها اولى وهو غنية باردة . فان نشر الارجيف المهيجة للخواطر . ونشر الاباطيل المثيرة للاذهان تروج بضاعتها لما في طبع الناس من الاقبال على قراءة ما يقرع اذهانهم ويهيج خواطرهم صحيحاً كان او باطلاً ويفضلونه على قراءة الاخبار الصادقة المعتدلة الرواية المجردة عن التزويق و التتميق . وهذا شأن اغلب الجرائد السياسية المصرية وشأن اصحابها فان منهم كل خلي من مبداء قوم كل محب للاباطيل والارجيف والاضاليل بدلاً من الحقائق . ولذلك فلا ثبات لها في الاعتدال . وفي النصف القراء بتقرير الحقائق . وانما ثباتها في عرض البضاعة الرائجة من معارضة الحكومة والحقيقة . مثال ذلك ما نشره بعضها في المدة الماضية ايام حرب السودان . قال ان الجيش اُعيد وان التعايشي قطع الطريق عليه واُتخن في العساكر الجروح . ولما تم الفتح ووصلت بشار مصر اخفت تلك الاباطيل فحى الاثر ولم تبق العين . ومن كتابة تلك الجرائد يظهر انحطاطها في الفكر وسقم الفهم . فان المواضيع التي تكتب فيها تقرير في تقرير حتى انه ليسعى على كاتب الجريدة منهم حالة افكاره السياسية فيشحنها باقوال الشتم والسب في الدول "كانكرا" مثلاً او "فرنسا" حسب اهوائه وامياله وكل يعنى على ليلاه

على ان القارئ نتيين له حقيقة من ذلك وهي ان المقصود تسلية خاطر وقتل الوقت وقت الفراغ عصراً هذا وناهيك عما يدرج فيها يومياً من السباب والتشائم وقذف اعراض البعض من الوجهاء عدا عن ذم سياسة الحكومة وتبجح كل افعالها حسنة كانت او غير حسنة على حد سوى مثال ذلك . نعت الوزراء بالاستسلام وبانهم لا يهمهم ان عاشت الامة او ماتت لترقية المصالح الانكايزية الى غير ذلك من القول التافه العقيم

وصاحب الجريدة منهم متسرع بحرفته في اظهار فكره في اي موضوع كان
مسترسل في الكتابة بلا تروي مدع بانهُ العالم في كل فن ومطلب سواء كان نصحاً
سياسياً او صحياً . ولو كان ممن صدقت فيهم الاية " أتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم "

اما النهج السياسي فهو على ما يذكر القارىء التشيع لاحدى الدول ضد
الاخري ولا يسهى عن القارىء عكف الجرائد مدة العشر السنوات الماضية على
البحث في جعل نفوذ " فرنسا " اعظم من نفوذ " انكلترا " على ان ذلك لم يجدها
نفعاً سوى جعل الامة فريقين فريقاً متشيعاً مبدؤه انكليزي يهوى مسألة المحتلين
بقدر ما يمكن وفريقاً متشيعاً على فساد يعكف على المناداة بالانجلاء والتعلق باهداب
الساسة في اوربا . ولكن ذلك لم ينتج ثمرة سوى ضياع الوقت وايغار الصدور عدا
عن ظهور بهتان تلك الجرائد ليصدق فيها قول " عمر " من تخلق للناس بغير ما فيه
فضحه الله . واي فضيحة للجرائد المنشية لفرنسا ضد انكلترا من كذب ديبلوماتك
وبهتان هانتوتو ونفاقه فقد تمنطقت بهما وبغيرها تلك الجرائد لظنها فيهم ان البلاد
تستقل بجمعهم فكانوا حيات للدين واليقين . ولجرائد نصح آخر سياسي دليله ايام
حرب الانكايذ والترنسفال . فقد كانت تحرض الجيش المصري في السودان على
شق عصا الطاعة في معرض الحث على النخوة والمروءة وتعيد الجنود المصرية على حسن
طاعتها وحسن ولائها في معرض التباهي بصفاء نيتها وسلامة طويتها وترجف بان
زمن التمرد على قوادها قد تهباً . ولكن ذلك كان منها على سبيل الانتكار او على سبيل
الاستفهام ولا سيما عند الاطناب في شجاعة البوير واشاعة الاشاعات الكاذبة عن
الانكايذ والاعجاب بما تفعله امة صغيرة مثلهم والتحسر على امة كبيرة مثل المصريين
وزد على هذا تعييرها الامة وجيشها انها تهاب اللقاء جبناً وتخلد الى السكون ضعفاً

وتوانياً . كل ذلك لكي يعود عليها بالمعنى والربح ولو كان فيه ابعاد المودة من قلوب
المحتلين للمصريين وبالاخص المسلمين ولتوقع النفور بينهم والجفاء . ونحن امة ساد
الجهل فيها وقصرت افكارها عن فهم الحقائق وادراك ما ينفع وما يضر . وليس الحال
مقتصراً على النصح في السياسة فقط بل لهذه الجرائد نصح آخر في التجزؤ ضرره اشد
وقعاً مما تقدم فانها بمقدار قليل من المال تأخذ من احدى الشركات او "البورص"
تعلن طرق الخداع والنصب وتحض الامة الى الولوج في ابواب الشركات المجهولة
لديهم . ثم بعد حين تأخذ باللائمة عليهم لداعي ما خسروه واضاعوه في شراء
الاسهم والسندات حتى وقع الناس من فضل هذه الجرائد في شرك الخراب واقتفر
كثيرون منهم وساءت امورهم . وللجرائد نصح آخر صحي تدعيه وهو الكتابة زمن
نقشي الامراض التي تنتشر بالعدوى ولم يدرك سيرها لان احد حتى ولا نطس
الاطباء . فانها كثيراً ما تكتب كتابة يصدقها جماعة العامة ويساعدها في الكتابة
بعض الاطباء الذين لم يدرسوا علم "البكتريولوجيا" فينشأ عن ذلك خطر عظيم
تبيت به البلاد عرضة للوباء . ونذكر القارئ من نتائج ما كتبتة الجرائد حادثة
مصر القديمة التي هجم الرعاع فيها على عمال التطهير من رجال الصحة وحادثة
الازهر التي اضطرت البوليس الى استعمال القوة في ايام الهواك الاصفر . وحوادث
الوطنيين في بورسعيد . وحوادث هجوم الرعاع في الاسكندرية في عام ١٨٩٨
وهنا مجال لتفكرة القارئ في ضرر الجرائد بالنصح الصحي الذي تدعيه وهي لا تعلمه
ولقد سببت الجرائد التي لا تنفع المجادلات والمشاحنات حتى وقعت الامة
في انقسامات شتى فحن الكل مصريين ولكن في الدين مختلفين . فاذا سنت
الحكومة قانوناً "وهي الآن حكومة دستورية تعد من اول طبقة بين حكومات
الشرق" فانا جميعاً نقوم قومة واحدة لنرى هل هو مطابق للدين . فان وجدناها

وافقت الشرع الاسلامي قبلنا القانون نحن ولو كان مخالفاً لسوانا من الآخرين المسيحيين الذين تهضم حقوقهم لما لنا من الاغلبية بالنسبة الى عدد كل فريق . فيسود الشقاق اثر ذلك ونحن احوج الى الالفه ولهذا تجد الاحزاب في مصر حزب للمسلمين وآخر للمسيحيين

تسمي الحكومة المسائل التي تختلف فيها مسائل ادارية كما تسمى في جميع بلدان العالم . اما الجرائد فتسميها مسائل دينية طائفية يخشى منها على الدين بتبدي صغيرة لا تكاد تذكر فتوسعها الجرائد حتى نتسع وتوشك ان تكون فتنة داخلية . ولا الجرائد تفهم الحقيقة ولا الاهالي يفهمون . ولدينا شاهد وهو منع الحج لوجود الطاعون في مكة المكرمة منذ سنتين . والقارى لو استقرأ هذه المسألة التي شغلت الرأي العام الاسلامي في مصر اربعة اشهر وهاجت لها العواصم والقرى . لوجدتها مسائل عمومية يهم الامة التسليم بها لأن الدين لا يناق في ذلك في مثل هذه الاوقات . الا ان الاحقاد الجرائدية والاحزاب المتأخرة عدوة للوزارة الفقهية مها عملت من الاعمال النافعة . والامة لجهلها حقيقة دينها تحذو حذو نفر قليل من اصحاب الجرائد وتطلب طلباتها سواء كان اصحابها مخطفين ام لا . وهذا سر ودليل آخر على تأخرنا . والأفلو كان فينا عدد عظيم ممن تعلم لكان الحال ارقى مما نحن عليه الآن

خذ لهذا مثلاً آخر مسألة اصلاح المحاكم الشرعية التي شغلت الاذهان زمناً طويلاً وهاجت لها افكار العامة تجدها حقيقة تدل دلالة صريحة على انحطاطنا . والأفلو كان فيها ضياع لسياج الدين ضياع للشرع ما قبل اصلاح المتفقيين في الدين ووضعوا له التقارير وطلبوه . ولكن الجرائد قامت صائحة حائثة الامة على الاحتجاج على عدم مس المحاكم الشرعية . وكان كل فقيه وعريف في القرى ينتقل من مكان الى

مكان يحرض الاهالي المسلمين على الاحتجاج وتقديم العرائض والتلغرافات للبعية السنية بمصر كأن اصلاح المحاكم الشرعية جرم كبير وارتكاب محرم . وكان نتيجة ذلك كف يد الحكومة ورجالها حتى ألفت لجنة لمشاهدة المحاكم ووضع تقارير عن الحالة . والله يعلم كم ناب الاهالي من تعطيل المحاكم وكم ناب الامة من العار لدى الامم الاخرى . ولا يزال قصار العقول سقاء الافكار واجدين على الوزارة حاقدين عليها . والسبب انما تأتي من الجرائد التي يقرأ فيها العداة والبغضاء ولا يخفى ما للجرائد من التأثير — اذ الجرائد الدورية اسرع انتشاراً واقرب الى تناول الناس من الكتب ولها مشتركون مخصوصون ومواعيد ظهور تنتظر فيها بكل تشوق ولها باعة يعرفون مسارب طلابها ومنتديات عمومية تعرض فيها بخلاف الكتب فانها خالية من كل هذه الزايات في النشر^(١) — هذا وللجرائد الاسلامية عادة غير مستحسنة وهي انه عند وفاة مسيحي لا نترحم عليه فنوهم الطوائف الاخرى في المسلمين التعصب خصوصاً لتكرار وقوعه فضلاً عن تكرار اثاره الاحقاد والعداوة وتوسيع الحرق بين المسلمين والمسيحيين وعلى ذلك يبني العداة منصوباً بيننا وبين اخواننا المسيحيين الوطنيين من جهة وبين الانكليز من جهة اخرى . وكل هذه الاسباب لها تأثير على العامة وبعض الخاصة ولكن عقلاؤنا والله الحمد قد ادركوا ذلك وعلموا هذا الشقاق فصاروا لا يثقون بقول امثال هذه الجرائد التي تعتمد التفريق بين مجموع الامة على حد قولهم "فرق تسد" غير ان هذه الجرائد التي تظهر بهذا المظهر حياتها قليلة وقل ان يمر عليها الحول

والسبب إما لأن البلاد والامة عرفت عدم حاجتها اليها . او لأن اصحابها انقطعت عنهم الامدادات الخارجية وحيث لا تلبث الأعشية او ضحاها او لسوق

(١) قول احمد بك الحسيني في احدي مرافعاته امام محكمة عابدين في يونيه سنة ١٩٠٠

اصحابها للمحاكمة لجريهم في كتابتهم على طرق مستهجنة. مثل التعرض للشخصيات
فحوت وحكم على اصحابها

وعدد الجرائد السياسية المصرية التي ماتت في الخمس سنين الماضية ٩٧
جريدة سياسية كنا نحب درج اسمائها لولا خوف الاطالة غير اننا نقول ان الذين
حوكوا من اصحاب هذه الجرائد لاسباب الهجوم والسب والشتم والتزوير تسعة .
منهم اثنان لطعنهم على المرحومة جلالة ملكة الانكليز وآخر ساقط الآداب لهجوم
سمومولانا الخديوي الاكرم^(١) والباقيون لشتهم الامراء والعظماء ولتزوير الاوراق
ولم يقتصر الحال على اصحاب هذه الجرائد بل ان بعض وكلاء هذه الجرائد حوكموا
ايضاً لاختلاسهم اموال الاشتراكات فيها وعددهم كذلك لا يقل عن ستة
هذا هو حاضر جرائدنا المصرية السياسية نذكره بلا التفات الى التمييز
لفريق دون آخر لما في الحق من اللذة ولما في الصدق من عدم التمييز والله اعلم
بذات الصدور

المجلات العلمية

الغرض من المجلات العلمية تخيص الحقائق التاريخية وتخليص العلم من كل
شائبة . مع ذكر ما اهتمت به العلماء في بحثهم . والحض على بث التعليم
والاستفادة بالطرق النافعة . ودليل كثرة المجلات العلمية التي من هنا القبيل بين
كل طائفة مبشر بتقدم العلم ونمو درجته بين افرادها . ذلك لما تبرزه المناظرات
فيها من الحقائق الراهنة التي ترسخ في اذهان قرائها ولقد ادرك الاسلام ذلك في

(١) بقصيدة صدرت يوم تشريف سموه من الاسكندرية الى مصر في ٤ نوفمبر

زمن بهجته وعزه ولو لم تكن المجلات معروفة في ذلك الحين معرفتها في وقتنا
 الحاضر. ولنا في جمع المأمون للعلماء ومناظرتهم ايام المرة بعد المرة في مواضع شتى من
 العلوم العالية ما يكفي للاستدلال بان العلم كان اذذاك تحت حماية الخلفاء وكانوا
 يراعونه حق رعايته. اذ كانوا يستجلبون رجاله الى نواديهم بما يبذلونه لهم من واسع
 النفقات وما يعينون من الجوائز^(١) حتى تكاثرت وفود العلماء على ساحاتهم وازدهمت
 الادباء افواجا على ابوابهم. وهذا مما كان باعثا لهم الطالبين على النشاط. فعمت
 الفائدة وانتشرت المنفعة. وهذا المفضل الضبي والاصمعي وابوعبيدة واحزابهم ممن
 تقدمهم او تأخر عنهم ولولا تلك الجوائز الطائلة التي حصلوا عليها من المهدي والرشد
 وغيرها لما وصلت العلوم الماثورة عنهم الى ما تراه في سير السلف. من اثارها
 بين ظهرانهم ولكن زمن هؤلاء الخلفاء انقضى واصبحنا على ما تعلم وشملنا السبات
 العميق المنتظر لتقلب احوالنا وتغيير ملوكنا وامرائنا فتعاقص ظل المعارف من بيننا.
 الا انه لم نعدم رجالا ربوا في مهدي العلم والفائدة فقام منهم افاضل كثير ونخدموا
 العلم بعلمهم وعمامهم ومن هؤلاء فاضلان " مسيحيان " عرفوا الحقيقة باخبار الزمن
 فانشأ مجلة " المقتطف " منذ خمس وعشرين سنة تلي على نبهاء الامم الشرقية باسرها
 اسلامية او مسيحية ما يجد من المباحث الفلسفية العلمية المفيدة. فترى تارة في احد
 اعدادها مباحثات فلاسفة العصر في اوربا مترجمة عن اللغات الافرنكية للغة العربية
 الشريفة. وتارة يقابل صاحبها ما ذكره العرب قديما مع ما حققه علماء الافرنج حديثا
 فيتسنى لها على هذا الاسلوب تمييز الحقائق من القولين. او ترجيح احدهما على
 الآخر ثم يهديانها للقراء. وفي عمل هذين الفاضلين خدمة جليلة لأهل اللسان

(١) لما ولي المأمون الخلافة استدعى من القسطنطينية عالما يسمى « ليون » فاجى تويل

ملك القسطنطينية ان يرسله فكان بينها سنة ٨٢٥ ميلادية حرب

العربي الجميل مما لو كانا معاصرين لتمدن الاسلام وفوه الاول السابق ذكره لانهاالت عليها النعم والاكرامات كما انهاالت على من سبقها من العلماء المسيحين في زمن المأمون وبعده.

وقد كانا والحق اولى ان يقال بعملها هذا قدوة لنا معشر المسلمين في انشاء المجلات العلمية الاسلامية الآ ان مجلاتنا الاسلامية المحكي عنها ظهر كثير منها ثم اختفى . حتى انه من مدة ست سنين للآن ظهر ١٠٤ مجلات ثم ماتت وكان لم يكن لها من اثر

والسبب قلة الاستعداد لمثل هذا الامر من الذين يقدمون عليه منا وما يكتبه اصحابها فيها دليل عدم الاستعداد . فمن كتابة تكررت بعبارة سقيمة فيها موات اللغة . ومن طرق للباحثات التي لا تجدي نفعاً . ومن اشعار ادرجت في العشق ومن وصف للخمر او للعامة او لصبي او صبية او لدابة او قطع من الحكايات التي لا تعني فتيلاً نشرت وتكررت وكل ذلك بسجع الالفاظ والاتيان على خيالات تروق لمن هو مثلنا في التأخر علماً وعملاً وكفى شاهداً انه لا يوجد لنا معشر المسلمين مجلة مثل مجلة الضياء تعني بخدمة اللغة اليوم حتى تعيدها لما كانت عليه قلاً مع ان منا رجال اللغة من الازهرين ^(١) السابقين وغيرهم

وناهيك بالمناظرة التي يحى وطيسها بين المناظرين في جرائدنا العلمية والتي كثيراً ما تؤدى بهم للمهاترة والمشاتمة وفي الختام نتجلى كما يتجلى النهار على الاحلام . فننقش غيوم تلك السفسطات والاوهام . ولعل ذلك سبب اياهم خاسرين . رذولين

(١) ومن العجيب ان علم اللغة لا يدرس في الازهر كبقية العلوم التي تقرأ فيه مع ان علم اللغة هو العمدة في العلوم والاساس التي تبني عليه ومن الاسف ان هذا العلم ليس هو وحده الذي فقد من الازهر بل له نظائر عديدة ايضاً وفق الله العاملين على الاصلاح الى اعادتها اليو آمين

من ميدان المجالات العلمية دون باقي الطوائف ولو كان عددها في الوقت الحاضر تسعاً وكأها تظهر بمظهر المجالات التي تسبب الى العلم وليس فيها منه غير شوائب كدر الاخلاق عنه والتمويه والمواربة فيه ما عدا واحدة او اثنتين . ولعل لهم عذراً يقبل ما داموا هم ومجلاتهم سبياً اخر نعمسنا في سبات الانحطاط والتأخر . في وقت نحن احوج فيه الى الاصلاح بذكر حقيقة الواقع غير اننا لا نبغس في الخنثام هذه الجرائد حقها ما دام يمكننا القول عن فائدتها انها اتت بثمرة ترغيب الامة في المطالعة وايجاد الميل الى الوقوف على ما يكتب وان كان بحثاً في خلط الحق بالباطل وتمويه القول الصحيح بالقول الهراء فسبحان من جعل الدواء انجع علاج للدواء . وهو رب العرش العظيم

الجرائد الدينية الاسلامية

الغرض من الجرائد الدينية . ترويض النفوس بالتأمل في الدين . واسرار احكامه السامية . والحض على احياء اوامر الصحيحة التي دفنها ثقل الزمن وتغير افكار الرجال بالاختلاط المشين . وعلى امانة باطل ظهر في الدين من عمل ارباب البدع الذين لاخلاق ولا دين لهم واسداء النصيحة بالاحتراس من الوقوع في سيئات نهى الدين عنها ولو كانت صغيرة في شأنها . والامر بالتفكر في الآخرة وما يلزم لها من صالح الاعمال والارشاد للسلوك في طرق مأمورها من الله جل وعلا . توصل الانسان للصواب المبعد عن المؤاخذة لديه وتقرّب الانسان بالثواب اليه . وحبذا هذا لعمرى من غرض سام ومقصد حميد . خصوصاً في وقت ألبست فيه مبادئ ديننا غير لبوسها بواسطة اهل الفساد والجهل الذين لا يخلمونهم زمن . حتى اصبح يلتبس على الفهم المدقق فهم حقائقها التي كان لا يرتاب فيها البدوي الساذج

فما دام الامر على ما ذكر فليعمل بأمر الله من اوتي العلم قياماً بالامر وغيره على الدين فقد قال عز من قائل - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - وقال تعالى وتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون .
لانه اذا دام الحال على ما نرى فالعاقبة انحطاط في الحياة الدنيا وهلاك في الآخرة .
وقد آن لنا ان نبحث عن الجرائد الموجودة لهذا القصد وننظر اليها نظرة ناقد لتدبر أعيننا منها الكفاية ؟ وهل احاط الموجود منها بالاغراض المذكورة

الجرائد الدينية الاسلامية احدث عهداً من سواها من الجرائد السياسية والمجلات العلمية وصددها في الوقت الحاضر لا يتجاوز الاثنتين او الثلاث يحررها بعضهم من متخرجي المدارس وبعضهم من متخرجي الحرف والصنائع المجتهدين في تحصيل المعارف . ينشرون فيها بقدر الامكان ما يمكنهم معرفته من امور الدين ووصاياه . واكثر ما فيها ما ينقله اصحابها من الكتب المؤلفة ايدينا الاوامر والنواهي بقدر ما تستطيع مداركهم وهذا عدا عن كونه غير ممكن اعتقاد الصحة فيه بالنسبة لقدر الناقلين فهو قليل بالنسبة لما يلزم وغير كاف للتأثير على الاخلاق والعقول الى غير ذلك مما هو جوهرى في انشاء مثل هذه المجلات (١) . ثم هم فوق ذلك يخلطون في المواضيع بين ديني وسياسي واخباري الخ . حتى لا نعود نعرف انها مجلة دينية الا من اسمها . وحتى ينقلب الخير المقصود شراً بواسطة هذا الخلط

(١) لا نذكر ان مجلة المنار الاسلامية لها اليد الطولى الآن بالتنديد على اهل العلماء لواجبهم والتنفير عن البدع والخرافات التي لصقت بالدين كما انها تنابع المقالات المشيدة في الاصلاح الديني وانا نرجو لها مجاًحاً دائماً ونأمل من محرريها ان لا يجعل للتخصيصات عليه سبيلاً وان يوالي التصح والارشاد بالتالي هي احسن والله لا يضيع اجر من احسن عملاً

الذي لا يراعون الذوق في التأليف بين مواضعه وذلك من عدم تمكنهم فيها وضعف كفاءة لهم . والادهي انها تظهر حيناً وتختفي حيناً ، وفي كل ذلك من دواعي الاسف وبواعث القنوط لكل ذي شعور بحاجات امته ما لا يقدر والخلاصة ان جرائدنا الدينية الحالية ليست مما ينتفع به كل الانتفاع . والاهتمام بأمرها من اهم الواجبات ليس فقط لأنها عديمة النفع . بل لأن هناك امراً يجعل الضرر مزدوجاً . وهو انتشار مجلات المذاهب الاخرى الدينية بيننا انتشاراً " يكفل له الزمن واهمالنا اذا دام " عدول الامة بأخلاقها ومشاربها عن شرع الاسلام وذوق آدابه وطرق سلوكه^(١) واظن ان هذا الحال وحده كافٍ لانهاض هممنا واشعال غيرتنا

وتوجيه افكارنا لصد هذا التيار الجارف والعمل العدائي الذي يعملونه في جرائدهم بانتظام ويظهرون فيه بظهور الناصح الحق والمرشد الامين ومن اين لنا هادئ نستدل بتعاليمه في دياحي هذا التضليل وقوي كريم نعتز بجوله على مصائب هذا الزمن غير علمائنا الكرام وعظماء امتنا الفخام وقد سبق لنا الكلام عنهم واحوالهم لا ترضي الرجل الشهم العيور

فاللهم يا منير بصائر العلماء بالحكمة انس عواطفهم بنار مباركة من عندك ويا رافع شأن الاعاظم بالغنى والجاه علمهم ان يعرفوا فضلك في انفسهم لكي يتأزر الفريقان ويتحداً محافظة على شريعتك الغراء الضامنة لهم سعادة الحياتين الباقية والقانية انك انت السميع المجيب

(١) خصوصاً اذا عرف القارئ ان كثيرين من المسلمين مشتركين فيها

خلاصة القول عن الجرائد

واجمال القول في الجرائد اننا معاشر المصريين وبالاخص المسلمين ليس لنا مجالات علمية بقدر ما للطوائف الاخرى ولا ما يقاربها وبالاخص السوريين . اذ لا توجد بيننا مجالات قضائية ولا زراعية ولا طبية ولا تجارية ولا مدرسية . وان وجد شيء منها بلغتنا العربية فانما هو بأيدي اخواننا السوريين الافاضل فلم في ذلك فضل الاسبقية فان لم اربعة مجالات قضائية وليس لنا واحدة منها . وثلاث مجالات زراعية وليس لنا منها الا واحدة . واربعة طبية ولا شيء لنا منها . وواحدة تجارية ليس لنا منها ايضاً . ومجلتين نسائيتين وليس لنا منها الا واحدة فقط ولطائفة الاقباط مجلة مدرسية وكان لنا واحدة مثلها فمات ذكرنا ذلك بياناً للفرق وما نحن عليه من الخمول ولم يكن هذا الاحصاء منا رجماً بالغيب بل هو اعتماداً على تقرير مصلحة البوستة وحسبك به تصديقاً

الوطن والوطنية

الوطن تعريفاً هو الجهة التي ينتسب اليها الانسان اليها بصفتها فرداً من افرادها خاضعاً لاحكامها ونظاماتها سواء كان ذلك بحق الولادة او الإقامة او الانتساب للامة . اما الوطنية فهي الشعور الذاتي برابطة الانتساب التي تجمع بين الانسان ووطنه ومن يشترك معه في هذه النسبة اي بوحدة مصلحة الطرفين وضرورة السعي في رفعته وتقويته والذود عنه رفعة وتقوية وذوداً عن المصلحة الفردية وقد يشعر الانسان بارتياح وحنين الى الوطن خصوصاً عند الابتعاد عنه ولكن هذا

تأثير طبيعي عام يجعل النفس تألف الاتياء والمناظر والحوادث التي تعودتها او نشأت فيها وتشعر بالوحشة عند الابتعاد عنها . فهو اذا ليس قاصراً على الوطن بل قد ينشأ ايضاً نحو بلاد اجنبية عنه يكون قد عاش الانسان فيها زمناً وآلف معاهدها . هذا هو الوطن وهذه هي الوطنية بحسب التعريف الاصح . وان كان لا يحتمل ان يختلف في ذلك دقيقو البحث في المسائل الاجتماعية والسياسية الا انه لم يكن المتفق عليه شكلاً في جميع الازمنة واقول شكلاً لان الجوهر في الوطنية هو وحدة المصلحة امر اتفقت عليه الشعوب والجماعات عفواً من حين ما نشأ الاجتماع على وجه البسيطة بحكم الضرورة الطبيعية فقبل ان يتنبه خاطر اول جماعة من الجنس الشري الى معنى الاجتماع اتحدوا بدون بحث وما كان الحامل على ذلك غير الاضطرار والحاجة المصلحية . ومثل هذا الاتحاد الطبيعي ظاهر في جميع مظاهر الطبيعة . تخليبات العضو الواحد من الجسم متحدة لوحدة مصلحتها وحاجاتها الى تنازع البقاء في وسط الجسم كله وهكذا عموم الاعضاء اي الانسان في حالة الانفراد بالنسبة للوسط الذي هو قائم فيه سواء كان عالمياً او اجتماعياً او سياسياً وهكذا العائلة بالنسبة للوسط القائمة فيه والامة والبلاد التي تنسب اليها . وهكذا قل عن الناحية بالنسبة للمركز والمركز بالنسبة للمديرية والمديرية بالنسبة للحكومة والحكومة بالنسبة للحكومات وهلم جرا . وما يقال عن المنظمات الاجتماعية يقال عن المنظمات الصناعية او التجارية او الفنية وغير ذلك فتجار صنف معلوم في ناحية واحدة مصلحة ووحدة خصوصية يشعرون بها ويهتمون لتأمينها اهتماماً خاصاً ولجميع تجار الناحية اجمالاً مصلحة ووحدة اخرى قائمة بنفسها ولجميع تجار المديرية او البلاد او العالم قاطبة وتكون هذه الوحدة وهذا الاتحاد تابعاً للمصلحة الحقيقية المسببة لها فتقوى طبعاً عند ما تكون خالية من تأثير

المصلحة الفردانية وعندما يكون هذا التأثير غير محسوس وتضعف بضد ما ذكرنا. فالوطنية اذا قائمة في الحقيقة في وحدة المصلحة ليس الآ. فالامم الراقية التي تدرك هذه الحقيقة تماماً لا تخلط فيها وتبني جميع اعمالها وسياستها عليها فتصبح قومية الدعائم يندران تفعل فيها تقلبات الدهر فعلاً محسوساً اما في الامم الغير راقية تماماً فالوطنية الصحيحة لا تعرف انما هي متحد والاصح ان يقال انها تجتمع بحكم الحاجة لقضاء الغرض الذي ترمي اليه ولكن مثل هذا الاتحاد لا يلبث ان يزول بزوال الغاية لعدم ادراك الافراد اساسه الصحيح ورسوخه في اذهانهم . ولا يخفى انه يصعب على جميع الناس تحديد هذه المصلحة ومعرفة ماهيتها ومن اين تبتدي واين تنتهي ولكن لا اختلاف في حقيقتها عند الباحثين . فلكل بقعة في الارض مزايا طبيعية واقتصادية خصوصية يشعر سكانها بالليل والحاجة الى احكامها وتوسيع نطاقها ما امكن وليس من باعث لم في ذلك غير حب المصلحة الذاتية وخدمة الانسان نفسه . ولا ارتباط ثروة ومنافع العالم كله بعضها ببعض ولجنوح كل انسان وكل فئة من الناس فطرة الى جعل نصيبه وافراً منها . نشأ التزاحم بين كل فرد وقرينه وبين كل فئة واخرى . وربما أدى هذا التزاحم بالانسان الفرد الى مقاتلة الفرد الآخر . ولا يمنع هذا اختلاف شكل ووطنية كل عضو حيث انه قائم على ناموس الحاجة الفطرية . ويتحد افراد كل بقعة بحكم الناموس نفسه الى مكافحة افراد البقعة الاخرى . فان شذت هذه الاعضاء او الافراد عن هذا الناموس الطبيعي انفرط عقدها وفقدت قوتها وعجزت ليس عن المقاتلة فقط بل عن المحافظة على حياتها فتغلتها القوات المحاطة بها وتصبح في حكم العدم . هذه هي حقيقة ناموس الارتقاء تدل عليها حالة كل امة ويدل عليها بالاكثر انحطاط الشرق وتهميؤه الحالي لفقد الباقي من استقلاله ان كان هناك استقلال حقيقي باق

الوطنية في عرف الشرقيين

وعلة شقايمهم

ان انحطاط العلم في الشرق وفقدان قاعدة البحث في الحقائق جعل الاكثرين فيه لا يفهمون معنى الوطنية كما هو . وجلهم ان لم اقل كلهم يعتقدون انها قائمة في جامعة الدين . نعم ان الدين يقوي تلك الروابط ويهذب اميالها ولكنه لا يحول دون هذه الجامعة ان ادرك كل فرد ماهية دينه والعبادة الجوهرية منه . انما الجهل قد ابعده هذه الحقائق عن اكثر الشرقيين فهم يعتقدون ان لا جامعة حقيقية غير جامعة الدين . فزال الاتحاد الوطني من نفوسهم وضعفت وحدتهم واخذت في الانقراض

عدم تنافر الدين والوطنية

الدين عبارة عن اعتقاد بتعاليم خصوصية لا تعدى دائرة الضمير وهي قاصرة على علاقة الانسان بربه انما يسن اليه القواعد التي تتعلق بشؤونه مع غيره في دائرة علاقاته الادبية لا في علاقاته الاجتماعية التي يعود امرها الى القوانين النظامية السياسية . فوحدة الدين هي فقط الارتياح الذي يشعر به الانسان عند ما يرى آخر مشاركاً له في رأيه ومذهبه . والمصلحة الدينية قائمة فقط فيما يجده الانسان في شريكه في الاعتقاد من التعاضد في اقامة الشعائر الدينية التي ربما يعجز الفرد الواحد عن اقامتها بالاحتمال المأوف . فكل ذلك يزيد الاتحاد قوة وجمالاً ولكنه في الحقيقة خارج عن العلاقات الضرورية التي تحتاج الوطنية اليها

الحاصل الآن في مصر

نحن (اي السواد الاعظم) لان لم ندرك الوطنية الصحيحة . ولم نشعر
بوحدها الحقيقية فالمسلمون يقولون لك ان لنا جامعة اسلامية مستقلة تمام الاستقلال
عن كل فرد خارج عنها . ويعتبرون جميع مسلمي الارض داخلون فيها . والنفر
القليل المهذب منهم يفهم ان للوطنية معنى آخر ودائرة نفوذ أخرى انما لا يزال
يشعر بعداء طبيعي ممتزج بدمه لكل من هو غير مسلم وربما بدون ان يدرك لذلك
علة ظاهرة اما الذين يدركون ويعملون على اعداد نفوسهم لائتلاف الوطنية كما هي
فهم في حكم النادر وقد لا يشعر بوجودهم . وهم بدون شك ليس لهم تأثير على جموع
كثيرة العدد والبعد عن العلم والتقدم الصحيح . وما يقال عن المسلمين يقال ايضاً
على غيرهم من المسيحيين الوطنيين ولو ان ظواهرهم تدل على انهم أكثر رغبة
واستعداداً الى احياء المبادئ الصحيحة وابتعاد وحدة وطنية نحن اصبحنا اشد الام
احتياجاً لها في الوقت الحاضر . اذ من حسن طالع الغربيين ونتيجة انحطاط مدنيتنا
وخلو جميع طبقات مدارسنا من مبادئ التربية الصحيحة ترانا الآن منقسمين الى
قسمين رئيسيين قسم المسلمين وهو "حزب العرب وحزب الاتراك" وقسم النصراني
وهو الاقباط الارثوذكس والكاثوليك والسوريين والارمن وغيرهم . وكل قسم ان
لم يكن مهتماً في اذلال غيره فهو على الأقل عامل لمصلحة خاصة بدون ادنى ارتباط
بالمصلحة العامة . وهم جميعاً يشتغلون ضد مصلحة انفسهم ولخدمة الاجانب الذين لا
غاية لهم الا ابتلاع البلاد وما فيها وامانة العواطف الوطنية للاجهاز على ما بقي او
يبقى لأهالي البلاد . والغريب ان جميعاً غافلون عما تؤول البلاد اليه من التأخر
المستمر فيما يخص بالوطنيين والبعض منا يتوهم ان المعارف لتقدم يوماً عن يوم وأنا

بهذا التدرج انما نرتقي ارتقاءً متواليًا. ولو انا بحثنا الامر حقيقياً نرى ان سيرنا بجانب سير غيرنا يكاد لا يشعر به والمعارف الصحيحة اقل انتشاراً بيننا من قبل . والحقيقة اننا كنا اكثر امتزاجاً واتحاداً من الآن . والسبب بعد المعارف الصحيحة عنا وكثرة الغرور المشاهد بيننا الآن

حقيقة مصلحة المصريين

لنفرض ان للمسلمين جامعة ووحدة مستقلة عن جامعة ووحدة المسيحيين فهل يمكن للبلاد ان تنهض من خضوعها وانحطاطها الحالي ؟ وان تحصل على استقلالها بمثل هذا الانقسام ؟ وهل يمكن ان يتوقع ان البلاد تخلو يوماً من الايام من احد هذين العنصرين ؟ كل هذا يستحيل . فلا وطنية بدون اتحاد حقيقي ولا فلاح ولا استقلال بدون وطنية . ولا أمل قط باخصاص البلاد بعنصر دون آخر . وحيث انه لا بد من اجتماع العنصرين في معيشة واحدة تحت سماء واحدة واحكام واحدة مدى الدهر وما دامت حياتهم بجميع وجوهها اصبحت اكثر من كل زمن نتوقف على القوة والتضامن وهذه لا توجد الا بالاتحاد وهذا لا يكون الا بتربية النفوس على ان الدين لا ينافي العلاقات الوطنية وهذا الامر طبعاً لا ينتظر من مدارس الحكومة حيث فكرة التعليم فيها تناقض المصلحة الوطنية الحقيقية فان رغب وود المغاصون لهذه البلاد ارتقاها الفعلي وتمهيد السبيل الى استقلالها فلا يكون ذلك الا بفتح مدارس للبنات في جميع انحاء البلاد . وجعل المبدأ الاساسي فيها التربية الصحيحة بجميع انواعها . واكثر عدد المدارس الحالية للاولاد وانشاء جامعة في العاصمة يستحضر لها اساتذة من بلاد لا غاية سياسية لها في القطر .

والسبيل الى ذلك صعب لا مستحيل. انما نحن نترك البحث فيه الى غيرنا من اصحاب النظر السليم والله يتولى امورنا بالنجاح جميعاً

الاسراف

” او ميثانية الهدم في الامة “

” والذين اذا اتفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك فواما “ (قرآن شريف) .
الاسراف صفة عامة في كل الطوائف التي تتألف منها الامة المصرية . ولكنه يختلف في كل طائفة عن الاخرى . فليس الاسراف في الطائفة الاسرائيلية مثلاً ولا في الشعب القبطي كما هو في الشعب الاسلامي . واسباب اختلافه حرص الاولين وتوفير الاقباط وبالعكس تبذير المسلمين . وما ذلك الا لاحتياط الطائفتين الاسرائيلية والقبطية لانفسهما في السير على ما يكون لهما فيه قوام الثروة : فلذا دأبهما كنز المال ولو جارتا على انفسهما والفضل في ذلك ليس لهؤلاء الطوائف بل للمصاب التي اتنابتهم من قديم الزمن وعلمتهم الادخار لوقت الحاجة فان للشعب الاسرائيلي الان مركزاً مالياً عظيماً في مصر وليس بعده في الدرجة الا الشعب القبطي . اما الشعب الاسلامي فلا يكاد يذكر بينهما لانعماس المسلمين في الترف والابهة والعظمة والتهور في الملاهي والولائم . اذ قد ورثوا كل زينة باطلة وكل ما يفضي الى الاسراف والتبذير والحراب وهم لا يعلمون . ومن الغريب ان يحكم البلاد الان غير اهلها ولا تشعر الطوائف المتألفة منها الامة المصرية بالتحوط لانفسهم في حفظ اموالهم لتربية ابناءهم بما ينفعهم في ايامهم المستقبلية المجهولة اذ ليس اقوى من المال على حفظ كيان الامة والجماعة . وما من امة استغرق افرادها في الاسراف والتبذير الا

تلاشت وانحطت وضعفت واضمحلت مقاماً وكياناً . ومن الاسف ان الاهالي عموماً
والمسلمين منهم خصوصاً ليس لهم في زمن حكومتهم العادلة وسائل لموارد الرزق
لجهلهم كيف يستخدمون اوسائط فيما ينبي الثروة : والمتأمل يرى ان عمران القطر قد
عاد بالفائدة المالية على جماعة الاجانب لعلمهم بطرق الاكتساب واغتنامهم الفرصة
المناسبة في زمن العدل فلذا ترى الاجنبي يحل محل الوطني كل يوم في اكثر مواطن
التكسب لشيوع العلم فيهم وشيوع الجهل فينا وعلّة ذلك الاسراف المشين الذي
بليت الامة باجمعها به والمسيحي لا يأمره دينه بالاسراف والمسلم ايضاً كذلك فان
المتأمل لحكم احكام الشريعة المطهرة يجد في كتب الفقه ما مواده انه لا يجوز
لمتوضي ان يسرف من الماء اكثر مما يلزم منه للوضوء ولو كان على شط نهر او
ساحل بحر . فاذا لم يجز لمن يتوضأ لعبادة ربه ان يسرف من ماء البحر الذي هو اوفر
الاشياء في الدنيا وارخصها ولا ينقص بوضوء المتوضئين سوا الاكثر او منه او أقلوا .
فكيف يجوز لعاقل تبذير المال الذي عليه مدار مصالح الامة في الدارين واخلى
الاشياء واندرها بالنسبة للحاجيات العمومية . ولا سيما اذا اتفق الانسان فيما لا ينفع
وهو من المحتاجين اليه اشد الاحتياج وحالة العمران تستدعي الاعتماد على المال في
قضاء الحاجات والواجب على كل انسان له زوجة واولاد ان يستعد للموت العاجل اي
ان يدخر لهم ما يقوم بحاجاتهم حتى اذا فاجأته المنية قبل ان يصيروا في غنى عنه
لا تبرح بهم التربة ولا يكونون عالة على الناس . ولا يخفى ما في طوارئ المرض
والعطلة والشينوخة ايضاً من الحاجة الى المال . ومن احوج الناس الى ذلك مثل
جماعة الوسط من الامة — فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً — ولقد اتبته
الى ذلك وسط جميع الامم فانشأوا لذلك بنوك الاقتصاد ومن ثم كل يوم عددها
بينهم في ازدياد . وما كل ما يشاهد من الهجم في الامم المارقية عنا الا من آثار

هذا العمل الباهر . وهو سرٌّ من اسرار ارتقائهم عنا^(١) وحبذا لو حثت على الاقتصاد الجرائد بدلاً من سياسة "الطرايش في الهند" او ذكر ما روتهُ جريدة "محمدان" او ذكر "نجاح ونقدم حزب تركيا الفتاة" ومصائب المايين^(٢) فان الجرائد في تلك البلاد باذلة الجهد دائماً في تربية ملكة الاقتصاد في الامة لأن به قوام شعبها وحياتها . ولو فرطت الامة في الثروة وبمثرتها وبددتها فلا بد ان تصبح على شفا جرف السقوط والاضمحلال خصوصاً اذا كان التبذير والاسراف في مهمات خارجية وفي زوائد تقليدية مثل استرسال جماعة الوسط الذي هو نتيجة عدم تعليم وايجاد ملكة الاقتصاد سيما وقد ساد على العقول المثل "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب" ولبيان الابواب الهادمة لثروة الامة نقول آفات الاسراف كثيرة منها آفة الميسر تلك الآفة الحديثة العهد في ديارنا فوق ما فيها من الآفات الكثيرة التي تسمت منها الاجسام وصغرت بسببها العقول فأماتت العواطف وضيعت الاحساس وافنت المروءة والشهامة فان مع منع هذه الآفة رسمياً بقرار صادر من الحكومة^(٣) لا يزال لاعبوها المستترون كثيرين في بيوتهم ومجتمعاتهم الخصوصية وربما اشترك بعضهم مع مخدراتهم اشترأهم معهم في معاقره بنت الحان

(١) اهم بنوك الاقتصاد في اغلب البلدان التمدنة بنوك البوستة . ومما يسرنا ذكره سعي سعادة الشهم الغيور يوسف باشا سابا مدير عموم البوستة في انشاء بنوك الاقتصاد في بعض مكاتب البوستة والمأمول ان يعم ذلك مكاتب البوستة كلها عن قريب فان من يعلم همة سعاده في ايجاد شركة "الاقتصاد والتعاون" بين موظفي ومستخدمي البوستة ونجاحها الباهر يتأكد لديه مقدرة سعاده على ذلك

(٢) القرار المذكور صادر من نظارة الداخلية في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩١ بعد تصديق محكمة الاستئناف المختلطة عليه . ويقال في المادة ١٧ منه ما نصه — لا يجوز لأصحاب ادارات الخمرات العمومية ان يكتنوا احداً من اللعب بالعباب القمار على اختلاف انواعها مثل البكارا والانسكينة والواحد والثلاثين والاربعين والفرعون والزيريو وما كينة الخبول وما أشبه

وما سلطان القانون على النفس التي لم تهذب وتربّ فيها ملكة الاقتصاد بانع من اللعب بين المنازل والمصيبة ان آفة الميسر لم تحل بالمدن الكبيرة فقط بل ان القرى الحقيمة ثن منها وتشكو

ومن الآفات العظيمة ايضاً انصراف الامة الوسطى الى المسكر واندفاعها في الشرب وتعاطي الخمر حتى اصبح السكر زينة الفتيان والحانات اعز مقاعد الشبان والمصري يميل الى الافراط في كل شيء سق غيره في ميدان الخمر فلم يبق مالا ولا ترك صحة وجهه لدينه وتقليده للأجنبي فيما يضر ولا ينفع كلها اسباب مكنت فيه حب الميل الى الخمر والألوعرف ان الميسر والمسكر شيان مخالفان لنصوص الدين والشرع واوامر الكتاب والسنة من اول تربيتهم البيتية والمدرسية . وعرف معنى المقصود بقوله تعالى

« يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجنّبوه لعلمكم فلعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون — الآية »

وتحقق لديه حكمة تحريمها والتناول منها ما اقدم على مخالفة امر الله الناهي بذلك عن وارثة دمار الامم الجالبة الفساد والحراب المقتلة للنفس الباعثة على فساد الصحة^(١) ومعاصرة الافرنج المبثوثين في اطراف البلاد شرقاً ومغرباً ساعد على انتشار

(١) يقول الاطباء ان الخمر تسبب ارتعاش الابدني بعد القدرة على تحريكها وتسبب عسر الهضم وفقدان الشهية . تلحق بالكبد الاذى تضعف القرينة . تؤدي الى كثير الهواجس . وازدياد هذيان المدمن عليها . تؤدي الى الاتجار ولا يزول ضررها باقضاء حياة المدمن عليها بل يسري ضررها منه الى ذريته فينشأ الاولاد بالامراض العصبية على تنوع اشكالها التي من اخصها داء الصرع ثم انه مما اجمع عليه الاطباء ان ولد السكران يكون ضئيلاً ضعيفاً وان عاش قتل ان بلد وحينئذ نجانية الخمر على العقل والجسم لا تضاهيها جناية مطلقاً وهذا استحققت ان تسمى أم المعاصي

شرب الخمر بهم من طرق الخداع والحيل حتى اعتادت اغلب الفئة الوسطى من
الامة على شرب "المستكى" ظهراً "والبيرة عصراً" "والكنياك" "مساه" ^١
فتراهم جماعات جماعات في الحانات ما كفين على شربها لتمسكهم باهداب مخازي
التمدن والحضارة الغربية . ويا ليتهم في شربهم معتدلون ولا يصلون لحد العريضة
والاسكار بحسوة الكأس اثر الكأس خمره صرفاً حتى لا يتشاجرون ويتضاربون
الى حد الاهانة والمحاكمة ولكن هي الخمر لا حكم لشاربها على نفسه اذ هي المتصرفه
بالعقل انى شاءت من ضحك ورقص وفهقهة وزعيق . ولا يخفى اضرارها المادية
في امة هي بحاجة الى الاقتصاد من مرض يطرأ ومصيبة تحل ومباغ جهلها لا
يوصف . ومن الآفات المسببة للاسراف قهاوي الرقص المشتمل على الحركات القبيحة
التي يرتد عنها نظر الاديب حياءً وخجلاً

هذا ولا نطيل فيما بقي من الاسباب المؤدية للاسراف ما دامت كثيرة

معلومة لدى القارىء

ولكننا نتقدم اليه باحصاء اخذناه من محافظة مصر - قلم تنفيذ اللوائح -
عن بيان الخماير وقهاوي الرقص والقهاوي العادية التي للاجانب والوطنيين حتى
يظهر لديه بأجلى بيان كثرة مسببات الاسراف في الامة
كان في القاهرة وحدها للوطنيين ١٦٦١ محلاً من خماير وقهاوي قبل
صدور اللائحة سنة ١٨٩١ وكان للاوربيين ٧٥٥ محلاً من خماير وقهاوي رقص
ويبرات سنة ١٨٩١ ايضاً اي قبل صدور اللائحة
ثم حدث من بعد صدور اللائحة المذكورة ٥٠٥٠ محلاً للوطنيين و ١٩٨٩ محلاً
الاجانب وبإضافة ما كان قبل صدور اللائحة الى ما حدث بعد صدورها يكون
المجموع ٩٤٢٥ محلاً في القاهرة وحدها

فاذا تساهلنا وفرضنا ان كل خمارة او بيرة او قهوة من هذا العدد تباع يوميا بنصف جنيه لا غير فانهم يبيعون في السنة بليون وسبعائة وثلاثين الف جنيه وكسور ثم لو فرضنا ان سائر محال الخمر والقهاوي في جميع القطر بمقدار ما في العاصمة فقط يكون مقدار ما يصرف في الخمر وعلى القهاوي والرقص وغيره يساوي مبلغ ثلاثة ملايين وأربعمائة وستين الف جنيه وكسور

كل هذا المبلغ الذي دونته دخل بعض الممالك الصغيرة في اوربا يذهب من ايدي الوطنيين اسرافاً وتبذيراً سنوياً في شرب الخمر وعلى التفرج على الرقص والقصف والخلاعة وعلى القعود في القهاوي

ثم لو زدنا على هذا ما ينفقه الشبان الجهلاء الذين يرثون من المال ما لا يحصى مقداره وبيذرونه في اماكن المقامرة المستورة وغير ذلك لضوعف المبلغ اربع او خمس مرات

فأي مصري عاقل لا يتفطر قلبه اسي واسفاً على أمة هذا مبلغ حالتها في التبذير واي انسان لا يتحدر على مال ينفق بلا نفع أدبي يعود على البلاد وتربية ابنائها وكيف يؤمل حفظ كيان أمة بغير الثروة وهي حياة الممالك . او يؤمل لها مستقبل حسن . وغاية شبانها وكهولها التبذير والاسراف الذي يزيد البلاد تعاسة وتأخراً " فاما من اعطي والقي وصدق بالحسنى فسيسرهُ اليسرى " صدق الله العظيم

الغناء والحماسة

الغناء صدى النفس الصادر من اعماق القلب بعد احتكاكه بالعواطف والحاسيات . وهو الشاهد العدل على الاميال الغريزية في الانسان . والواسطة لتجرد الانسان عن الاشياء الحسية وتعلقه باهداب العقليات والتوسع في الافكار

والخيالات لانماء الشعور واحياء العواطف وكان العرب في الجاهلية ينشدون الاغاني الدائرة على الالسنة في ذلك الزمان في حلاتهم وكانت كل قبيلة تفاخر الاخرى بمقدار ما في قولها من الحجاسة . حتى ان الفتيات المواتي كنّ مخصصات برعي النوق والابل كنّ يغنين ويحدين لها على الطريق بغية ان لا يستعوذ الممل على النوق والابل وحتى قد اشتهر عندهم اذا ارادوا ان تسرع الابل والجمل في السير غنوا لها وحدوا فتسرع جدًّا ولا يزال بعض ذلك فيهم كما قد اتصل منهم الى بعض جهات في اوربا^(١) وبقيت هذه العادة ونمت وتحسنت مع الزمن وتداولت على الالسن واختلفت نغمها باختلاف القبائل لان كل قبيلة كانت تظهر اميالها واحساساتها ان كان نغماً او حماسة او حباً في الغزو او اكرام الضيف

لا مرحباً بالليل ان لم يأتي في طيه ضيف عزيز نازل
والصبح لا سهلاً به اذا أتى ان كان عندي فيه ضيف راحل

او اسداه المعروف وغير ذلك من صفات العرب الطيبة . فكان السامع يحكم لاول وهلة ان القبيلة التابع لها هذا المنشد موصوفة ومشهورة بالصفة التي يترنح بها في الانشاد والغالب على الظن ان الاغاني كانت عندهم دليلاً على الفخر والترفع عن الدنيا وهذا مخالف لما نراه الآن . وبعد ان بزغ النور الاسلامي وثقمت دياجير الكفر والجهالة واختلطت الامم الاسلامية بعضها ببعض وتفرقت لفتح الممالك وكسح البلدان ومازجت العناصر الغربية طبقاً لقانون الترقى في الطبيعة . انتقلت الاغاني من دور كان حماها رعيان النوق والابل الى دور كانت حماها فيه من الخلفاء والسلاطين .

(١) مما يذكر عن اختبارات اهل سويسرا ان البقر عندهم يتأثر من الصوت الحسن الى حد ان ادراؤه اللبن يزداد على الغناء . وخصوصاً اذا كانت الغناء التي تحب اللبن نغني في وقت الحلب غناءً شجياً فان اللبن يزيد الى مقدار الخمس

ولاسيا الاندلسيين الذين اشتهرت في ايامهم الاغاني وموشحاتهم لا تزال خير شاهد على سبقهم في هذا المضمار^(١) ومثل هذا يقال عن المصريين والمتأمل في اغاني تلك الايام يقدر ان يحكم في الحالة التي كانت عليها الامم الاسلامية في ذلك الزمن السالف فالحكيم يقول - من ثمارهم تعرفونهم - وهذه الموشحات التي كان يغنيها الاسلام تطوي على احساسات رقيقة تأبى الذل والهوان . عدا انها كانت صادرة عن افكار ثاقبة وقلوب امتلأت بحكمة وكمالاً وتدل دلالة واضحة على ما وصلت اليه الامة من المجد والسؤدد فلما تطرق الفساد الى الامة والى معتري صناعة الغناء لانغماسهم في المسكر الذي لا يقي على العقل والادراك . انتقلت بذلك الاغاني الى دور الانحطاط لاسيا وقد افسد الافرنج بها ذوقنا وسهلوا علينا طرق المفاسد لما آرب يرمون اليها فأخذت الاغاني في التأخر والسقوط الى ان وصلنا الى عصرنا الحاضر الذي اصبح المغني فيه متزوجاً بناثمة ليأخذ كل منهما بقسم من الحزن والفرح حتى اذا كان هناك فرح دعوه وان كان حزن دعوها . ولا ينكر ان المصريين يميلون الى الغناء والطرب وقد كاد الطرب يعم جميع افراد الامة وجميع طبقاتها واصبح المرء يرى الرايح والغادي ذاهباً الى مكان المغني . فالغني عاكف على سماعه بما في وسعه . اما في بيته او في بيوت صحبه والوسط كذلك يسعى ما استطاع لسماعها والفقير والبياع المتنقل الذي يطوف في الشوارع والحواري ينادون بنغم حتى الفعلة وهم تحت الاثقال لا يحلو لهم العمل ولا يخفف اثقالهم شي مثل الغلبين والانشاد

والمغني ليس ينكر ولا مكروه اذ قد ورد عن النبي " صلى الله عليه وسلم " انه سمع نسوة يغنين في وليمة عرس فلم ينكر ذلك عليهن

(١) ترى بعض موشحاتهم في مقدمة ابن حلدون

وجاء أيضاً ان نساء من الانصار استقبلنه عند قدومه من احدى الغزوات
بالدفوف والمزاهر وهن يغنين على الايقاع بقولهن

طلع البدر علينا من ثنات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ولم ينكر ذلك عليهن " صلى الله عليه وسلم " . وفي سير الخلفاء حكايات
كثيرة عن حضورهم مجالسه وقيل ان عمر بن الخطاب " رضي الله عنه " سمع
الغناء فما انكره مع ورعه ونقسه وصلابه في الدين . وحتى انه مر في بعض
الايام على ابي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في بيته فوجده يتعنى فقال له
ما هذا يا ابا عبيدة فقال افعل ما بفعله الرجل في بيته ثم انتد

ولله مني جانب لا اضيعه وللهومني والخلاعة جانب

ويقولون ايضاً في كتب السير ان عبد الله بن جعفر رضي الله عنه كان
يجلس للسمع . وللغناء عمل كبير في تلطيف الوجدان وترقيق الشعور مما لا ينكره
ذو احساس وما من امة مرتقية او منقطعة او هجيئة الا ولها نصيب منه على حسب
استعدادها وارتياحها . والعناء انتعاش للنفس وارتياح للجسم لو كانت في حماسة فيها
دلالة على شبه شيء في نفس السامع فان تأثير ذلك كالغذاء لها من بعد طول شقائها
وبمدها عنه . ولذلك تستعمل الاغاني في الافراح والحروب وتعالج المرضى بها
وتستعمل في المآتم وبيوت العبادات ولا توجد امة اميل اليها من ام المشرق اذ تاريخ
الغناء فيهم اقدم وهم فيه اعرق واكثر ارتياحاً يستمتعون بها البطل في حومة الوغى
ليدافع عن وطنه وامته كما يسكتون بها الطفل عند بكائه وعند صراخه فيسكن لها
ويرتاح الى سماعها وشاهد ذلك ظاهر فيما لو تأمل القارئ في طفل تسكته امه بانشودة
غير ان حاضر الغناء عندنا مذهب بالشهامة مقعد للحماسة مضيم للروءة مفسد

للاخلاق يربي في النفس السكون والاستسلام والضعفة عدا حثها على مخالفة الآداب
وحث المرء على حسو الخوة ومداعبة النساء وهذا الجاري في اغاني عهدنا الحاضر
وكما هو بين الرجال كذلك بين النساء فان اغانيهن في الافراح مما يسوء ذكره لانه
دلالة فيهن على بعدهن عن الكمال وتورطهن في قلة الادب الى حد السفاهة
او دون^(١) هذا والخاصة ان الاغاني عندنا معشر ابناء العرب قد انحطت كثيراً
عن الغرض المقصود بها حتى علتها اغاني " البرابرة " لما فيها من بعض الحماس
والترفع عن الدنيا ويظهر ذلك من قولهم

الدجينات الممصه لا بد شيبين والتجيمات العجلجن لا بد غيبين
والبنات من غير رجال لا بد عين والحيل من غير فرسان لا بد غيبين

ولقد قابلت مرة شاعر الشيبية المصرية حضرة احمد بك شوقي وشكوت له
سوء حال الاغاني العربية ورجوته ان يضع بعض ادوار لتكون سبباً لايجاد روح
الحماسة في الامة فوعدني خيراً فعسى ان يكون ذلك قريباً ليذهب عن الناس تنفس
الصعداء وقت سرورهم وافراحهم والأفله في خلقه شؤون

(١) واليك بعض ما يقولون في الافراح

ان كنت حائف من أبي	أبي علي مشورا
وان كنت حائف من ابويا	ابويا عدا المنصوره
وان كنت حائف من اختي	اخي عايقة ومشهورا
وان كنت حائف من جوزي	جوزي يياكل طاطورا
وان كنت تابه عن بتنا	بتنا قدامه دحضورا

حاجة الشبان

بين الوسط من الامة شبان كثيرون من المتعلمين المهذيين . محتاجون الى مجتمعات لا تحط بقدرهم ولا تمس كرامتهم ولا تطفى جذوة النشاط والهمة من نفوسهم محتاجون الى ترويض الابدان بوسائل الرياضة الصحية من مثل استنشاق الهواء النقي في الاماكن البعيدة عن السكنى ذلك لانهم كما ذكرنا متعلمون مهذبون عارفون ان ذلك سبب ارتقاء ونجاح المدعوب الاوربية ولا سيما الشعب الانكليزي الذي اعتمد على تقوية عضلاته وترويض جسمه واعضائه فجمع هذا النجاح المشاهد . وما وُجد فيهم ذلك إلا لانهم تعودوا لعب "الجنستيك" في المدارس وشبوا وهم عارفون منفعته فيصعب عليهم والحالة هذه ان يتركوا اللعب به حال اتمامهم لدروسهم وزادت فيهم الحاجة الى ما ذكر لانهم يعلمون ان الصحة والقوة لازمتان للنجاس في مكتبته اكثر من العامل في حرفته . محتاجون الى ما تقدم حتى لا يفقدوا الصحة بعدم انتظام المعدة التي شكاهها كثيرون

واكثر شعور الشبان بحاجاتهم وقت فراغهم من العمل فانهم يشعرون بالحاجة الكبيرة الى اماكن تأويهم ومن على ساكناتهم والى ما يشرح الصدر منهم ويمنع عنهم الاندفاع مع تيار الشرور ما دامت كل الحال لا يقبل الشاب المؤدب ان يوجد فيها اسوء سمعتها وما دامت العائلات قد نسبت ذلك الاجتماع الذي كان معروفاً بينها قبلاً . وهو اجتماعهم عند بعضهم مرة في بيت هذا وأخرى في بيت ذاك ليقضوا اوقات فراغهم بين مباحثات واحاديث مفيدة . نعم كان ذلك والآن لا يوجد إلا لجماعة الافرنج وبعض اذكاء جماعة السوربين

ولقد صدق الاديب حافظ افندي عوض في مقالة له في المؤيد الاغر عدد

١٩١٣ حيث قال — واقول ولا اخشى لومة لائم انه اذا لم توجد أندية ومجتمعات عائلية فيها يقضي الناشئون اوقاتهم فالدرية ضائعة والكلام في الترية لا يجدي نفعا وتذهب اقوال المعلمين والمربين هباءً منشوراً ولا ادب يفيد ولا اديب — ونحن نزيد على قوله ان الشبان في حاجة عظيمة الى مداومة الرياضة البدنية واستنشاق السيم النقي وخليق بهم الذهاب والتردد على ما يكسبهم صحة على صحة ونشاطاً على نشاط وخليق بهم ان يتحدوا معاً حقيقة فيؤلفوا نادياً^(١) توضع فيه بعض الجرائد اليومية والمجلات الشهرية والاسبوعية سواء كانت عربية او افرنجية بدلاً من الجلوس في القهاوي التي تقدم الكلام عنها فانه لا شيان اكثر تشبهاً وتفريقاً من الشبان المصريين ولا سيما المسلمين منهم^(٢) وكثيراً ما يحتاج احدهم الى آخر فيفتش عنه في القهاوي كلها حتى يعثر عليه . والشبان مفطورون على تمكين علاقتهم ومحبتهم مع بعضهم فاذا أنشئت لهم الاندية تخلصوا من جلبة الجالسين على المقاعد في القهاوي والهواء المنبعث من دخان " التراجيل " وليس في العاصمة مكان اجدر بهذا المشروع من حديقة الازبكية حيث يخطر بلبيل الهواء فيها ويسبح الاوز على صفحات الماء . وحيث تمايل الاغصان تمايل قدود الحسان حتى اذا اشتد النسيم في خطراته حنت رؤوسها اجلالاً وعانق بعضها بعضاً تحبباً وامثالاً فيسمع لها حفيف يزيل الهموم ويجلي عن القلوب صدا العموم والا ليس بعار ان تصبح اندية

(١) انشأ الشبان المصريون لهم جملة اندية ولكنها لم تدم . وقد جمع بعضهم اكتباباً اخيراً بواسطة البنك العثماني ولكنها لا ندري ماذا تم اذ قد مرّ على هذا الاكتاب اكثر من سنتين ونصف ولم نسمع عنه شيئاً

(٢) بنشأ التفريق بين الشبان وبعضهم من وقت طلبهم العاوم في المدارس . اذ تلامذة الحقوق بهزل تام عن تلامذة الطب وهوؤلاء لا يدرون من امر احوانهم بالهند محانة شيئاً ولهذا السبب بعد عنهم التألف والاتحاد وبعدت عنهم المحبة

مصر للاوربيين من انكليز وفرنسا وبن والمانيين ونمسا وبن وايطاليين^(١)
 وليس للشرقيين شي الا ناد واحد انشاء جماعة من افاضل السوربيين
 سموه "بالنادي الشرقي" وسنوا له قانوناً ورد في المادة الاولى منه
 "ان الغاية من تأسيس هذا النادي اجتماع ادياء الشرقيين لقضاء الوقت في ما يلذ ويفيد"
 "وفي المادة الثالثة"
 "ان المشاحنات السياسية والدينية ممنوعة على الاطلاق"

فجاء ذلك وافياً لم بحاجة نحن احوج منهم اليها . نعم ان الشبان احوج الى
 ذلك كما هم في اشد الحاجة الى انشاء المكاتب للمطالعة اذ المستقصي دور المطالعة
 في القطر يجد عددها لا يتجاوز اصابع اليد وهي "الكتبخانة الحديدية" بمصر
 وكتبخانة المجلس البلدي في الاسكندرية ومكاتب المرسلين الاميريكاني وبسبب
 فقدان ما ذكر من العواصم لم تتم التربية الصحيحة بين الشبان في العواصم
 واصبحت صحيحة في الارياف علياً في البنادر والمدن لكثرة ما يوجد في الاخيرة
 من دواعي الترف والخلاعة

يتبين لك صدق ذلك لو تأملت اولاد الارياف فانك تراهم اوفى كالأمن
 اولاد المدن الذين هم اوفى رذيلة فلذا يشب الاولون وقد مارسوا غرس الاشجار
 وزرع البقول وتربية الحيوانات . والآخرون يشبون على غرس البغضاء في
 النفوس وزرع الشحنة في الصدور وتربية النيمة والمواربة والخداع وسوء
 الاخلاق . هذا ومن اهم حاجة الشبان التي لا تخفى على من درس حالة البلاد ان
 المعلمين منهم قد ابتعدوا عن الزواج لما علموا ان من يقترن بهم يعيدت الافكار

(١) اول من ابتداء بهمل الاندية (الكلوب) الانكليزي في اوائل القرن الخامس عشر
 والكلوب لفظه انكليزية مأخوذة من مادة يراد بها الاجتماع كاجتماع الانجم والاشجار في
 غيضة او روضة مثلاً

عنهم وان كنّ متحدات الاجسام وقلة الزواج في الامم دليل على انحطاطها والتاريخ وحاضر جمهورية فرنسا اصدق شاهد. هذا وحاجات الشبان المتعلمين لا اختيار زواج المتعلمات من البنات تنمو يوماً عن يوم " فهلا أدرك اهل البنات ذلك وبدأوا يشعرون بضرورة تعليمهن وفقاً لما اشار به العقلاء اذ من الصعب جداً ان يرتقي فريق في الامة ونصف اعضائها غير مرتقي او كيف يهنأ عيش احد الفريقين ما لم يكونا على اتحاد تام في الاميال والاخلاق وعلم التربية اعظم شاهد والواقع اقوى برهان على ما تقول

نسأل الله ان يصلح في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا تأخذ باكظامها انه

السميع المجيب

(١) اقترح احدهم مرة في مجلة "السمير الصغير" على الشبان ان لا يتزوجوا الا بكل متعلمة فصادف اقتراحه هذا استحساناً عاماً ممن قرأه من الشبان



القسم الثالث

في الفقراء

من هم الفقراء

الفقراء من الوجه الاجتماعي هم الامة كلها لا حنياج الناس بعضهم الى بعض

كما قال المتنبي

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدماً
ومن الوجه الادبي هم مظهر البلاد . عوائد واصطلاحات وعواطف واحساسات
ومن الوجه المادي هم معاملتها وعمليتها الدارجة . ومن الوجه المعنوي هم سمعها
وبصرها وعصبها الحساس . ومن الوجه المدني هم سورها المحيط بها . فتعال معي
ايها المصري او ايها الانسان المهذب الغيور على امتك وبلادك او الغيور على بني
الانسان في كل بلاد الله والتى نظرة الى كل وجه من هذه الوجوه واشفعها
بنظرة الى حالة الفقير في البلاد المصرية وقل معي . ولكن في اذني لاني واثق
بانك ستري ما رأيتهُ ونقول ما استحي ان اجهر به امام الناس . شعب ولكنهُ
ليس بجي . ومظهر يدل على الجهل . معاملة سيئة . وعملة زائفة . آذان لا
تسمع . واعين لا تبصر . وعصب لا يحس . سور ولكن يا للاسف لا يحفظ ما
احاط به ولا يدفع عنه اذى . اذا وقفت على ذلك فهل من دواء لهذا الداء
المضال المهلك للامة باسمها ؟ . أجل ولكن يلزم معرفة السبب حتى يكون

الدواء نافعاً للداء . سبب ذلك هو الجهل ولا دواء له إلا العلم فاجمل ما فصلت .
وقل في تعريف الفقير المصري هو الجاهل ونادٍ معي بين ذوي الاموال اصحاب
الشهامة والغيرة على الانسانية مستصرخاً مستنصرأ لهذا الجاهل لعل هذا الجزء
الغني الصغير يرحم نفسه بالابقاء على هذا الجزء الفقير الكبير الذي هو مظهره
وسمعه وبصره وعصبه وعملته وسوره ولا تكون مبالغاً اذا قلت حوله وقوته بل حياته
وما أراك بمؤمن لي على افتقار هذا الفقير واحتياجه الكلي لالتفات اهل
الغنى واليسار واعنائهم به وتسهيلهم له ابواب العلم ليعرف ويستفيد فيستفيدون
من وجوده أكثر . فاسمع لأقص عليك احواله الاجتماعية واحدة واحدة كما هي
بدون زيادة من ساعة ولادته الى حين موته من تربية وتعليم وزواج وطلاق
واعراس واحزان وصحة ومرض واوهام وخرافات الى غير ذلك مما ستسمعه ونقول
ما أنبت بمثل هذه الجهالات في الغابرين

زواج الفقراء

قال عليه السلام " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمورٌ مشتهيات لا يعلمن كثيرٌ من الناس " .
المصري الفقير يتزوج وهو صغير السن وكذا المصرية الفقيرة ايضاً . والدافع
لزواجهما في صغر السن اقلية ميل الأب والأم استر عرضهما في حياتهما ليطمئن
خاطرهما . وهذا سبب ما نراه فيهما وهما كهلان من انهما ابنة لعائلات كبيرة
وافراد كثيرين وفي هذا بحث اجتماعي لا يستخف به " لأن من ورائه تكوين
العصبية القومية وحبنا هي لو أدركت بالمعنى الصحيح " .
والتأمل يجد من وراء هذا الزواج ما يدعو للعفة والصون وحبنا ذلك لو
تم للفقير مع الوفق والراحة

أما طريقة الخطبة عند الفقراء فهي كما عند الاغنياء والوسط اي بواسطة تكليف الأم او الأخت او احدى الجيران من الحریم ان كان الزوج لا اهل له^١ بالبحث عن ابنة. حيث لا يمكنه بنفسه ان يخطب لعدم تمكنه من نظر البنات فتوجه المكلفة بذلك الى البيوت التي فيها البنات وتتقدم نقد الصيرفي للدنانير وتشم رائحة فمها وصدرها وتنظر كعب رجلها فان كان مثل المرجله " القبقاب " تكون المخطوبة سعيدة والأ كانت بخلاف ذلك . الى ان تستحسن ابنة فتوجه الى العريس وتبتدي تمدح له^٢ قائلة . (لها وجه مدور " كالصنية " وشرطة عين مثل " الفنجال " وأنف مثل " النبقه " وفم " نكاتم سليمان ") وبناء على هذا الوصف يرغب العريس في الزواج معتقداً في من كلفها بالخطبة الحق وحسن النظر وطهارة النعمة

أما افراح الفقراء فجميلة على الغالب ولو انها على غير نظام لطيف اذ يظهر على اوجه حاضري الفرح مع بساطتهم السرور واي فرح اشرح لصدر حاضره من ان يرى الرجل الفقير على فقره وبساطته^(١) بين اولاده واقاربه وانسابه وصحبه من جيرانه وغيرهم قائماً بخدمة مدعويه . كما تكون امرأته كذلك بين النساء هاشة باشة بين صبية وشابة وامرأة وجدة تعني بهن ويعتني بها والكل يخدم بعضهم بعضاً من حمل ملابسهم الى نقل ما كلفهم الى رفع ما يغسلون به ايديهم . لا تكليف بينهم بل كلفهم في الفرح والسرور منغمسون . وان شاءت المدعوات الرقص ترقص اولاً هن ربة العرس وان شئن الفناء غنت في مقدمتهن اذ لا يعكر صفائهن سوى ارتفاع اصواتهن وجهلن بالقناعة التي كثيراً ما تخرجهن الى

(١) البساطة مصدر بسط . وهي الدالة والسذاجة . فالرجل البسيط حسب التعريف

الغوي المتهمال الوجه الكريم اليدين الطاهر القلب الساذج الاخلاق العديم الدهاء

طريق الاسراف فتخرج بهن البساطة وسلامة النية الى الشره في الطعام والزهوف في الملابس وفي انواع الفرش والانية التي كثيراً ما يجمعون كثيراً منها حتى يضيق نطاق البيت ولو كان رحباً ذاسعة . مع ان اشياء كثيرة يمكن الاستعاضة عنها بشيء آخر نافع للزوجة عند الاحتياج

وامر الزواج لا يتم من غير عقد يتولاه احد مأذون في الشرع الشريف ليقيده في دفتر العقود . ويسمع الاشهاد على الطلاق ان كانت الزوجة ثيباً او غير ذلك ان كانت بنتاً بكرأ . ولا يكون ذلك الا بعد الاتفاق بين الزوج وولي امر الزوجة على الصداق الذي يدفع لثناه ويؤخر الثلث الباقي فاذا تم الاتفاق على الصداق بين بدي المأذون او سمع الاشهاد على الطلاق وحصلت عقدة النكاح حلت الزوجة للزوج شرعاً . واخذت العائلة في اعداد ما يلزم وقدمت الاقارب الهدايا امامهم قبل التوجه اليهم . وهذه الهدايا وان كانت مساعدة للزوج بحمل اثقال بعض المصروف ولكنها دين ووفاء يقوم به عند الفرص المناسبة لذلك ثم يتدى الفرح الذي كثيراً ما تدوم مدته اياماً عديدة قبل ليالي الحناء " والزفاف " فان العادة قبل ذلك ان يجيوا ليالي يدعونها " الضمم " فيها الغناء والطبل والمزمار على فنون شتى الى ان يكون ليلة " الحناء " فيجبي اهل العرس ليلتهم على حسب مقدرتهم . ثم في ثاني يوم يستمدون " للزفاف " الذي يحضر في ليله الزوج واهله لاخذ العروس لداره وفي هذا " الزفاف " تظهر حالتهم وتهذيبهم ومقدار ترفيقهم " وفي الحقيقة مظاهر الجهل والحماقة " وفي مقدمتها المصارعون الذين هم عراة الاجسام . وما يسمونه بـ " رابية " وجماعته المشهورون بالخلاعة واحط اوصافها ثم من بعدهم جماعة الطبول من يسير على الارض ومن هم على جماهم يقرعون الاذان ومن خلفهم " التختروانات " واحياناً كثيرة تجد جماعة ينسئون قهاوي الحشيش

على عربات النقل معرّشاً عليها بسعف النخيل وغير ذلك مما هو دال فيهم على حب الهوى والميل الى التهلكة وما يشتمز منه المرء العاقل ويداري وجهه خجلاً وحياءاً. لان في ذلك مدعاة لآذراء الغير بنا وحكمهم على مجموع الامة غنياً وفقيرها انها في منتهى الاسراف والتبذير في غير وقته ومجمله. هذا ولا نذكر ما يحصل امام هذه "الزفة" من المشاجرات والمشاحنات وغيرها بين الشبان وبعضهم مما يؤدي أحياناً كثيرة لتعكير الصفاء وما لا تحمد عقباه

غير انه اذا سلم الله ووصلت "الزفة" الى دار العريس تستقبل العروسة بالاحفاء والتكريم والتحية والتسليم من جماعة الاهل والمعزومين "وتزف" العروسة ليلاً بنقلها من جهة الى اخرى داخل الدار. وبعد "الزفة" يوضعون لها وسادة في المقاعة التي نقلت اليها اخيراً ويجلسونها ووجهها مغطى بشيء كثير من "التلي" ومن اصناف الزينة والجواهر التي ربما تكون قدر اوقيتين او ثلاث او اكثر. ثم تتقدم "الماشطة" وتفرّد على حجر العروسة "شاورة" مستغولة الاطراف بالمقصب ونقول "يا حبايب العروسة ومشطتها" فنقدم ام العروسة وتلقي في "الشاورة" جزءاً من المال وبعدها يتقدم المعازيم ويجذون حذوها وكل يلقي على قدر طاقتهم فيكون المجموع عبارة عن نقطة "الماشطة" وبعد ذلك تأتي "العالة" وتعمل فعل الماشطة^(١)

ثم تمد الموائد للمدعوين والمدعوات رجالاً ونساءً وفيما هم في وسط الاكل يجيء صبي الطبايح ومعه "زبدية خضراء" او "معرفة" ويوضعها في وسط المائدة فيلتزم الرجال والنساء ان "ينقطوه" كما سبق وتقدم بيانه وتنتهي الحالة بان

(١) اسباب جمع نقطة "الماشطة" هي انها تفعل للبت من يوم ولادتها الى ليلة عرسها مجاناً طمعاً بما ينالها من "النقطة" في هذه الليلة

” يزف “ العريس ايضاً بين صحبه واخوانه بالشموع وغيرها حتى اذا آب العريس من ” زفته “ بسلام يصعد الى داره فاذا عروسه مهياًة تقدومه فيدخل عليها ويقبلها وهي تقبل يده وبعد ان يقدم لها هدية ككشف الوجه وتكون تقوداً على الغالب ويعطي ” الماشطة حلوانها “ بلف ” الشورة “ على اصبعه السبابة وهي خام بوبرها الحشن ويمسكها له ” الماشطة “ والا قارب . فاذا ما نعت او جفلت من مطلبهم يستنجد الزوج بهن فيشددنها الى سريرها ويمسكونها قسراً بايديهن من اليمين والرجلين ليتم هذا الجاهل عادة يحسبها فخراً له وهي في الحقيقة اهانة له وضرر لزوجته وربما كانت سبباً لشقاها الابدني فان كثيراً من النساء يصبين من هذه العادة بامراض عصبية ورحمية تقلق راحة المرأة طول حياتها . واقرب شيء تصاب به العرائس من هذا الفعل الوحشي دا (المستيريا) ” الصرع “ وسببه الجهل المطبق وتملك العادة وان شئت فقل سوء الظن في بكر يعلم الله انها مصونة العرض . واني اذكر ان عروساً ماتت في الصعيد وهي بين يدي عريسها الفظ الغليظ . وقرأت مرة في رسالة الاسكندرية لاحد مراسلي الجرائد من امد ليس يبيد ان العريس دخل على عروسه بهذا الشكل فكان آخر عهده بها اول دقيقة من لقيها ^(١)

وعلماء الطب يقولون ان هذه العادة تكون سبباً للزيف الدموي ولتمزيق الرحم فمن لنا بمن يعرف الفقراء ضرر ذلك بدلاً من تفهيمهم السياسة التي برعوا فيها حتى لا يتسببوا في مجلبة المرض . ولا يخفى عليك عبثة الازواج لو كانوا كذلك من قبل يحملون في اجسامهم الامراض والعاهات الخبيثة ويقدمون على الزواج قبل برثهم منها . لا شك انهم يلدون اولادهم وهم في حزن وغم دائمين فلا

(١) نحن لا ندرى كيف تطرفت هذه العادة الينا معشر الاسلام . ولربما كانت مقتبسة من الدخلاء في الاسلام او من المصريين القدماء حيث لا تعرف الا بين المصريين فقط

يكونون اصحاء او فيهم الاهلية لاعمال تتفهم في مستقبل ايامهم ولا شك ان هؤلاء في عرف العقلاء اعظم الجناة فان جنائهم تعم الهيئة الاجتماعية ودون ذلك القتال والمنحر

اما المعيشة بين الزوجين الفقيرين فانها اما ان تكون دائمة لتماثل الطباع وائتلاف الامزجة واما ان تكون على ضد ذلك . فان كانت الاولى « وهي القليل » فراحة فطرية ومعيشة بسيطة بحسبهم عليها من هم اعلى منهم طبقة حتى الاغنياء . وان كانت الثانية فسكون شهر وقلق دهر - لاسباب كثيرة اهمها عدم معرفة الزوجة القيام بواجبات الزوج مع مراعاة الاحترام لوالدته بنوع اخص واطاعتها في ما تأمرها به . والاستسلام لاوامرها . وان كانت بغلاظة وفضاظة . ثم صغر سن الزوجة ودخول الجيران بينها وبين حماها وغيرها الحماة على ولدها مشهور امرها . فتخلق المفوات لها فتضربها وتشتها وتسبها لاقل سبب وامر ولا تألو كلتها جهداً من اظهار الاسف والندامة ولعن الساعة التي فيها تاسبتا . كل ذلك يحصل يومياً بدون انقطاع فتربو بينهن الضغينة والكراهة وتسوء العشرة في زمن قليل فتشكو الام لولدها زوجة وتظهر له تقايبها ومعابها . وكذلك الزوجة تشتكي الحماة لزوجها فتسوء الحياة بينهم جميعاً وتبغى كلا منهم البعد عن صاحبهِ . ولا يخفى ان لانساء الضعيفات قوة عجيبة في الدهاء والكذب بهما يبلبلن الحاضر ويحفضن ما شأن في اعين من شئن . والرجل الصانع او المحترف الفقير لا تميز عنده ليتلافى هذه الاسباب فيستسلم على الأكثر لارادة والديه لانهما هما اللذان زوجاه بالهما فيرضخ لاشارتهما

فاما ان يأمره بالطلاق فيطيع امرها او بزواج زوجة أخرى لتكيد

الاولى وتكون سبباً لتفويض عيشتها وهنا تكون سيطرة الجهل على الجهل^(١) والفقراء في هذا القطر يملون كثيراً الاكثار من الزواج وخصوصاً اهالي القرى منهم فان العامل الذي لا يكسب قوت يومه الا بشق النفس يجمع بين زوجتين او ثلاثاً او اربعاً واذا طلق واحدة منهن تزوج بغيرها على الاثر فتكثر عائلته وتقل حياته وتفسد معيسته فيعاملهن بسوء المعاملة وخشونة الطباع حتى ان بعضهن يتمنين الموت تخلصاً من شراسة الأزواج^(٢). وامر الطلاق صعب على النساء كما هو صعب على الرجال وعدم مقدرتهم على التصرف فيه بالحسنى يؤدي بهم كثيراً الى الاضرار ببعض ولهم في امور النفقة من الالاعيب الشيطانية شي كثير فتلجأ الزوجات المطلقات الى المحاكم الشرعية وكثيراً ما تصدر الاحكام على الأزواج بنفقات زوجاتهم واولادهم فتبقى حبراً على ورق ولا تنفذ لضيقت ذات اليد. ومداخلات ما ذوني الشرع في ذلك مما يستحي من ذكره وعلى الاخص في تضييع حقوق المطلقات

(١) من الروايات المحزنة حكاية امرأة حكمت عليها محكمة لاسكندرية بالسجن ١٥ سنة وقد كانت هذه المرأة زوجة فلاح من مديرية البحيرة والرجل زوجة أخرى فطلق احدها يوماً ثم حطري بالدر ان يعيدها الى بيتها فخافت ضربتها من الماطرة والمساقة وجمعت ندس الدسائس حتى اذا احست المطلقة بتدابيرها عمدت الى الانتقام منها بوضع شيء من السم في حلوى اعدتها واهدتها لابن الضرة فأكل الولد الحلوى ومات وارادت الثانية ان تنتقم من حبيبها المطلقة فدست السم في نوع من الحلوى ايضاً وقدمته لابن عدوتها فأكله ومات ايضاً فالقت الحكومة القبض على الجائنتين وحكمت المحكمة على المطلقة بما ذكرنا لانهما اقرت بذنبا ولكنهما برأت الثانية لانه لم يثبت عليها شيء. وهذه الحكاية المؤلمة موت الولدين وسجن احدي الزوجتين عمراً طويلاً علته زواج الاتنتين وسيطرة الجهل على الجهل

(٢) حدثت في سنة ١٩٠٠ في جهة الدرب الاحمر بالقاهرة ان امرأة اشترت جانباً من الكبريت واذا بت رؤوسه في الماء ثم تعاطته ولما ادركها الطبيب وسئلت عن قصدها قالت انها تقصد ان تريح نفسها من سوء معاملة زوجها لها

هذا وفي النساء المطلقات الفقراء حدثت بدعة ترك أزواجهن متى شأن ذلك وهن ليطلقن أنفسهن بأنفسهن غير منتظرات طلاق الرجل لهن ولداعي قلة الصداق بينهما تبرأ المرأة منهن رجلها وتحمل عفتها ذاهبة الى حيث شاءت وهذه العادة انتشرت بينهن كثيراً ولا رادع لهن من رجال الشرع . وكثيراً ما تمكث احداهن مع هذا اسبوعاً وتبرئته ومع ذلك اسبوعاً وتتركه عابثات بالشرع عابثات بالدين مجليات للسخط والعار على الامة بفعالهن

ولمعرض يقول كيف يكون ذلك الزواج شرعي وهو لا بد من وقوعه على يد مأذون الشرع . فنقول ان لماذوني الشرع تحليل بذلك وهو ان يتفق مع الزوج والزوجة على كتابة العقد بينهما على يد جماعة من الاسافل ولكن لا يثبت في دفتره الا بعد مضي ايام العدة . كما حدث ذلك في جهة باب الشعربة من مدة سنة ووجهة بولاق من سنة ونصف . ولا يقتصر ضرر ماذوني الشرع على ذلك واليك قصة حدثت في حي من احياء العاصمة . وهو ان ماذوناً شرعياً عقد نكاح امرأة على رجل على صداق دفع عاجله وبقي في ذمته آجله وبعد قليل من الايام قابل المادون رجلاً آخر يهوى المرأة وتراعى على قدميه بعد تقبيل يديه شاكياً باكياً مما في قلبه من الهيام والوجد . وطالبا منه ان يرفق بحاله فاجابه المادون لا بأس عليك ان صليت على النبي (يعني بذلك طالب الحلوان) او وحدت الله (يعني بذلك ان يحافظ على السر حفظه على توحيد الله) فوعده واغلف في اليمين انه لا يزوج بالسرو ولا يمين فساومه المادون حيثئذ على المبالغ المطلوب فاعطاه اياه ثم عقد له عليها فاصبحت المرأة زوجة لرجلين فوقع النزاع واخذ كل منهما يشكو حاله وبلغ الامر المحكمة الشرعية وما فعل المادون فاستدعت الرجلين والمرأة وسمع القاضي حكايتهن

وبعد ما افرغ القاضي ما في جعبته من الوسائط الشرعية اجاز للمرأة ان
تختار احدهما زوجاً لها من الاثنين فاخترت من تهواه ويهاها (١) . وكان جزاء
المأذون اخذ الدفتر منه وتوقيفه عن العمل . حصل ذلك في العاصمة واقبح منه
ما حصل في اواخر شهر نوفمبر في الاسكندرية حيث تزوجت وطنية برجل من
هالي « حارة الراكشي » وبعد الزواج وجد ان الزوج خدعها بتواطىء مع مأذون
الشرع وحقيقته انه مسيحي فرفع الامر الى فضيلة القاضي هناك ليفصل اشكاله .
وارذل من ذلك يتكرر كثيراً في القرى والبنادر بفضل المأذونين

وقد جاء في عدد ٣٤٥٧ من المويذ الاغر الصادر في يوم الاربعاء ٢٧
جماد الاولى سنة ١٣١٩ في رسالة مكاتبه بملوي ما ياتي بالحرف الواحد - بان
بعض مأذوني الشرع المفسدين انه عقد لرجل على امرأة بعد ان طلق ابنها التي كان
تزوج بها ومضى على هذا المنكر السبيء ثلاث سنين ولدت المرأة فيها ولداً ولما سئل
الرجل عن ذلك ادعى انه يبجل حرمة هذا الامر والقضية منظورة بالمحكمة الشرعية
ولقد حقق لنا تواتر السماع ان كثرة الطلاق الفاشية جداً في قطرنا السعيد
دون قيد تقريباً هي التي تحمل كثيرات من المطلقات الفقيرات على اذلال النفس
وارتكاب السوء فيطن للتكفف في الطرق العمومية . او يضطرون الى سلوك
سبل الغواية ودخول بيوت الفجور . وليس من دافع لمن الا الفقر والجوع . وبهذه

(١) ومن المضحك ان احد اهالي « سباط » حضر الى المحكمة الشرعية مستفتياً بان
يعشق امرأة هي زوجة لاحد اصدقائه الذي هو مفتون بزوجته وقد اتفقا على ان يتنازل كلاهما
للاخر عن زوجته على هيئة بدل وعوض الا ان زوجة المتظلم حاملة ويرغب عوض حملها
« حمارة » زيادة على لزوجة المبادل بها فهل يجوز الشرع اجراء هذا البديل ام يمنع المضحك
عليه المسؤول . وهذا يدل دلالة صريحة على تقدير المرأة في نظر عامة المصريين - انظر

الواسطة يهمل اولادهم في الطرق والشوارع فيربون على المبادئ الدنيئة والاخلاق الفاسدة وتقوى فيهم الرذيلة وحب الشرف فيخرج منهم المتشرد واللص والقاتل وغيرهم من محاربي الهيئة الاجتماعية

وقد تبه رجال الضبط والنيابة العمومية الى كثرة المتشردين الذين لا عمل لهم والمهملين من الاحداث في هذا القطر فقاموا يعالجون ذلك بسن اللوائح للمتشردين وانشاء السجون للاحداث (١) وغير ذلك مما فيه مقاومة الضرر وتقليل الشر. ولكن فاتهم ان الشفاء الحقيقي من هذا الداء لا يكون الا باستئصال اسبابه ولا يتم ذلك الا بفتح الفقراء من جمع عدة نساء في عصمة واحدة ما داموا لا يستطيعون الاتفاق عليهن خصوصاً وان ضرر ذلك لا يقتصر على الازواج واولادهم بل يلحق الهيئة الاجتماعية كلها. ولقد احصى بعضهم الاحكام الشرعية التي صدرت على الازواج بنفقات زوجاتهم واولادهم فوجد ان ما نفذ منها لا يزيد عن ثلاثة او اربعة في المئة والباقي بلا تنفيذ لعسر المحكوم عليهم وشدة فقرهم وعوزهم ولا تظنن الطلاق الذي هو اكره الحلال عند الله قليلاً نادراً فقد ذكر القاضي الفاضل قاسم بك امين في كتابه "تحرير المرأة" ان كل اربع زوجات في مدينة القاهرة ليطلق منهن ثلاث. فهذه حال الزواج والطلاق بين الفقراء في هذا القطر وقد ادرك حضرة مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده اضرار ذلك ونه عليه في تقريره عن اصلاح المحاكم الشرعية باقوال يجب ان تسترشد الحكومة والامة بها في رفق هذا الفتق فقال ما نصه "انني ارفع صوتي في الشكوى من

(١) سجن الاحداث ببولاق في ارض مجاورة للنيل عدد من فيهِ ١٣٠ ولداً يتعلمون فيه القراءة والخط واخساب والقرآن الشريف وصناعة الجلود والنجارة والحديد والصنمج وحبذا لو اشئ مثل هذا السجن في الاسكندرية ايضاً وباقي عواصم المدير يات.

كثيرة ما يجمع الفقراء من الزوجات في عصمة واحدة فان الكثير منهم عنده
 اربع من الزوجات او ثلاث او اثنتان وهو لا يستطيع الانفاق عليهن ولا يزال
 معهن في نزاع على النفقات وسائر حقوق الزوجية ولا يزال الفساد يتغلغل فيهن
 وفي اولادهن ولا يمكن له ولا لهن ان يقيموا حدود الله وضرر ذلك بالدين والامة
 غير خاف على احد ثم وصف العلاج الشافي من ذلك فقال حفظه الله " واما
 الضرر الذي ينشأ من كثرة الزواج التي ولع بها الفقراء من سكان القرى وهو
 من الضربات المعطلة لاعمالهم المفسدة لشؤونهم وشؤون اعقابهم فأرى انلابيه
 ان يلزم كل مأذون ان يسأل قبل عقد زواج اي شخص غير معروف بالثروة هل
 له زوجة اخرى . فان كان له فإهي الطريقة في الانفاق على زوجاته واولاده
 وبثبت جميع ذلك في ورقة العقد ثم يحدد حد معين من الثروة لمن يتزوج اكثر
 من واحدة متى كان غير معروف بانه من اهلها على انه لو ذكر في كل عقد من
 عقود الزواج وسائل معيشة الزوج من كونه صاحب ملك او تاجراً او صانعاً او
 عاملاً كان ذلك ادعى الى تضيق دائرة الضرر ولا شيء من اصول الشريعة أبى
 ذلك وهو من قبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا احق به من القادر عليه
 والحاكم هو اقدر الناس عليه

ومن المعلوم في احكام الشريعة انه متى تحقق ان الزوج لا يستطيع الانفاق
 على زوجته وان الزواج يفسد امر معيشته ويلجئه للخروج عن الحدود التي حددها
 الله له حرم عليه الزواج بلا خلاف فاذا وضعت لذلك قواعد وجب ان يراعى فيها
 جميع ما نصت به الشريعة المطهرة وما يقر عليه رأي علماءها " فخذوا لو تعير الحكومة
 هذا النداء اصغائها وتسعى مع علماء الدين في تدبير حميد بقي الامة والملاذ غائلة
 هذه الآفة التي تعاضم شرها وتفاقم ضررها

الفقراء واطفالهم

إذا تماثلت الطباع وأتلفت الامزجة بين الزوجين الفقيرين ولم يحل بينهما الطلاق المتقدم ذكره وتعدد الزوجات المتقدم بيانه عمراً الى ما شاء ربك وانجبا الذرية فيلدون اولادهم ضعافاً مهزلبين فلا يعيشون الا وتظهر عليهم علامات الكساح او يهلكون صغاراً لعدم الاعناء بهم الا اذا وهبوا قوة المقاومة وفازوا على الامراض واسباب ذلك وعدم الحنو عندهم على الولد عدم العناية به لديهم الا بالحرفات فان الوالد لا عناية له بولده حال طفولته والمتصرفه فيه هي امه تخارله الاسماء عند تسميته وتطبيبه ان مرض ونقطة وترضعه اذا عرى او جاع وهذه الام لاجل تسميته تحضر ليلة الاسبوع ثلاث شمعات وتسمي كل شمعة باسم خاص وتيرها ليلاً وفي الصباح تسمي ولدها على اسم الشمعة التي تكون قد بقيت اكثر من غيرها . ثم توضع في (غربال وتحمه شيء كثير من الحصص والسندق) وتعربله ولا تدري ماذا يلحقه من جراء ذلك فنترك ذلك التشخيص لرجال الطب ليدوا ملحوظاتهم فيه

تعلم الام ولدها الكلام

متى ابتداء انتباه الطفل قليلاً لما حوله بتبدي تعلمه أمه الكلام بالفاظ بذيئة قيحة يشب عليها وينمو وتكون سبباً لتأصل الاخلاق والصفات القبيحة فيه ومدعاة ليليه الى الرذيلة

تحريف الامهات لاولادهم

اذا بكى الولد او اراد النزول من السلام ليلعب خارج البيت تخوفه أمه وتحذره من (السهوي) والمغربي لئلا يأخذه عنده ليعلقه من رجليه فوق

دست ماء يغلي على النار ويصفي دمه « وقصدها بذلك عدم ابتعاد الطفل عن البيت لئلا (يتوه) . ومع ذلك فالولادهم (يتوهون) بكثرة ويطلقون وراءهم المنادين او يبلغون عنهم رجال البوليس^(١) » وتحذره من انه لو ذهب الى البحر يتعلمه التمساح (وتريد بذلك عدم تعويد الطفل على الذهاب الى البحر خوفاً عليه من الغرق) ولا يخفى ما ينتج ذلك من الجبن على النفس . والجبن عرفه الفضلاء بانه انخزال في النفس عن مصادمة عارض لا يلائم حالها والفقراء لا يتحدثون امام اولادهم الا في النوادر الخيفة ومدار حديثهم على (العفريت) (والمارد) (والمزيرة) وما اشبه . فما يقولونه على (المارد) انه يظهر ليلاً للانسان ويسد عليه اربع جهات طريقه بجائط . وما يقولونه عن (المزيرة) انها جنية وكل اجسامها ابر ومسامير وتظهر بزي امرأة جميلة مزينة بالحلي ومرتدية إزاراً ابيض كالثلج اذا قرب منها الانسان تضمه اليها وتخفي به . وما يقولونه عن (العفريت) فشيء كثير كنا نتخوف منه حال الصغر ونسمع ان اشكاله متنوعة فتارة يظهر شبه حمار

(١) جاء في تقرير سعادة هرفي باتما عند ما كان حكمداراً للعاصمة ان عدد البلاغات التي قدمت في سنة ١٨٩٩ م ٢٩٥ وجد منهم ٢٤ قبل تحرير ارايك البحث عنهم و ٢٢١ محتوا عنهم فما وجدوا سوى ٤١ والباقي ١٨١ لم يعثر عليهم وفي التقرير المذكور حادثة منها يتبين مقدار الصعوبة التي يعانها البوليس في الاستقصاء عن اقارب هؤلاء الاولاد وهذه الحادثة هي . ان بنتاً عمرها اربع سنوات وجدها البوليس في بولاق فبعد البحث عن اهلها عدة ايام استدلت على والدتها التي كانت ساكنة في فم الخليج فلما جيء بها الى المحافظة انكرت معرفتها بالبنت كلية ولكن لما ادخلت البنت في المكان الذي كانت والدتها به ورأتها اسرعت اليها وتعلقت باذنيها فدفعتها المرأة وادعت انها لم تر البنت المذكورة من قبل واخيراً لما استحضرت تلك المرأة امام سعادة المحافظ وصارته يدها اعترفت بان البنت هي ابنتها . ويظهر ان المرأة المحدث عنها كانت تزوجت حديثاً ولا منناع زوجها الجديد عن قبول البنت فعلت ما ذكر مرضاة لمخاطره

عال ايض فيركبه الانسان حتى يعلو به ثم يقذفه من فوق ظهره فيسقط على الارض مهنماً . وتارة انه شبه قط او كلب او قرية . وبعضهم يقول في وصفه انه اسود كالليل طويل القامة وعيناه بالطول يقدر منهما الشر

بهذه الخرافات التي يخوف بها الوالدين اولادهم يتمو في اذهان الصغار الجبن والخوف والرعب حتى انهم لا يمكنهم الانتقال ليلاً ونهاراً خطوة إلا مع احد خوفاً من حادث يفزعهم ولو كان شخصاً مقبلاً عليهم من بعيد كما حدث ذلك في السنة الماضية في حي من احياء العاصمة (١) ولا يقتصر تخويفهم اولادهم ساعة دون أخرى بل قد يخوفونهم وهم يأكلون معهم . ومن ذلك ان لو خطفت القطعة من امامهم شيئاً من الأكل وقت العشاء واحب الولد ان يضربها يمنونه من ذلك ويفهمونه ان ضرب القطط ليلاً مضر به لزعيمهم ان روح القطط مفصول من روح الملائكة . واغرقى من هذا في الوهم والخرافات انه ان وقع الطفل على الارض سمت عليه امه وسمت على اخيه معه مفهمة اياه ان له اخناً من بنات الجان

ولهم خلاف ذلك خرافات كثيرة في ليالي المواسم فمن ذلك ما يتحدثون به ليلة العشر من شهر محرم . من انه تهبط بغلة من السماء حاملة الجنيات لصاحب النصيب فيأمر الاب ابنه والام بنتها بدعوى الله لتكون من نصيبهم فيعلم هؤلاء احلاماً يقصها بعضهم على بعض في اليوم التالي لسان - الهم في الحقيقة يقول اذا صدق الجذ افترى العم للفتى مكارم لا تخفى وان كذب الخال

(١) حدث في شهر نوفمبر سنة ١٩٠٠ ان خرجت ابنة صغيرة من سكان (حارة الروم) لتشتري شيئاً مع ابنة أخرى فتاهدت اتناء سيرها رحلاً سقاء ذا شعر طويل مدلى بنحافت منه البنت واسرعت بالعدو واحتفت منه في منزل فاتفق انه دخل ذلك المنزل فلما رأته هذه المسكينة اندعرت وارادت الاحتفاء في مكان فسقطت في بئر المنزل ومارقت الحياة وذهبت ضحية خوفها الذي تربت عليه من الصغر بفضل ابائها

وهذه الخرافات تسبب للاولاد احياناً كثيرة الامراض العصبية والتشنج اذ لا يخفى تأثير الوهم والخوف على النفوس الصغيرة . اذا عرفنا ذلك وتذكرنا يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٩ الذي تبأ فيه بعضهم بانتقضاء العالم لا نستغرب خوفهم ودهمهم الذي حدث وثقوئهم الكذب في احياء الوطنيين . فقد روي عن كثيرين من الاقاصيص التي صورها لهم الوهم شي كثير من فطير نطق في القرن وطفل ابن يومه ابتلع فرخة قبل طبخها وآخر اعلم والدته بصحة النسا وآخر (جادل القاضي مع والدته بطلب النفقة من ابيه) الى غير ذلك مما يدل على استيلاء الخوف واوهم على النفوس بسبب التربية المنزلية التي ربوا عليها ووجدوا فيها ممتلئ الرأس بالوساوس والخرافات

هذا ونحتم قولنا على خرافاتهم باعترادهم حال خسوف القمر وتشاؤمهم من ذلك فانهم يأمرون اولادهم بالقرع على غطاء الحلل والصفائح^(١) والشمس ايضاً هي على زعمهم يجرها الملائكة على عجل وهم مسغرون لهذا الامر وانها تغرق في البحر فيبتلعها الحوت «اهمال نظافة ابنائهم»

الفقراء يتركون اولادهم في الحارات والازقة يتضاربون ويهملونهم للدعارة والعبث بكل ما تصل اليه ايديهم . انظر اليهم في الحوارى والطرق تجدهم يترغون في التراب ويعفرون به بعضهم البعض . حتى اذا اصاب احدهم برد صعب الاستئصال تعلق الام على عين الابن خرزة حمراء يسمونها (البذلة) . واكثر

(١) يحكى ان فلكياً اباً احد الامراء عن خسوف القمر في ساعة معينة فلم يعتقد بآء واتهمه بالزبدقة والمروق وتوعده بالموت ان كذب حذره وحزبل العطاء ان صدق بآء فلما حسف القمر كان الامير قائماً فاراد حيلة لا يقاطه ليشهد له بصحة نبأه فقال للناس ان الحوت يتلع القمر فاصروا الطبول وضجوا شديداً للبحرل و يعود عن الكوكب فلما بدأ صياحهم وعلت صجتهم استيقظ الامير ورأى القمر محسوراً فكافأ الفلكي والله اعلم

الامراض في الاطفال مسبب عن قذارتهم حتى ان الطفل يصاب بامراض عدة وهو دون الحول من العمر وقد اثبت الاحصاء ان اكثر من تسعين في المئة من هؤلاء الاطفال يصابون بامراض العيون عن غير سبب سوى اهمال النظافة اهالاً تاماً لجهل الام وخوفها عليه من شر العين فيقع في مرض العين

ومن يتأمل في معدل الوفيات في بلادنا المصرية يجد ان اكثر من نصيبه المايا من الصغار فتذهب بهم قبل ان يدبوا بارجلهم على الارض . ومن قابل بين هذه الوفيات في بلادنا وبين جميع بلدان العالم وجد ان الموت له الى اطفالنا طرق ومسالك قل ان يجدها في بلاد الله الاخرى ومن بحث عن الاسباب ونقب عن العلل الناجية منها موت الاطفال الذين ربما كان في القمط منهم من يحمي الرباط لوجد اسباب ذلك وعلة جهل عامة الامهات باسسط القواعد والقوانين الصحية في مساكنهم التي كثيراً ما يبتدىء المرض منها وينتشر الى البيوت الاخرى حاملاً الموت على منكبهِ . واذ دققنا النظر في عدم نظافة بيوتهم نراها على الاغلب من اهمالهم للنظافة وعدم اعتنائهم بنائهم وهوائهم والافلو كانوا مهتمين لانهمزمت جيوش الامراض والاسقام من بينهم ولاعتدلت صحتهم وآمنوا شر الامراض والحميات التي تطحن اجسامهم واجسام ابنائهم وكفانا تعريفاً عن مساكن الفقراء انها اكواخ حقيرة من الطين قد تراكت حولها الاقدار وتلبدت على ارضها وجدرانها الاوساخ وهامت الهوام عليها كأنها مزبلة من المزابل واولادهم لهذا السبب صفر الالوان كبار الطون اکتسوا من الوسخ وشاحاً^(١) وكلما كثرت الوساحة

(١) ومن الغريب في اغنياء مصر انهم يجاورون هذه المساكن قصورهم المشيدة وينظرون كل ساعة للفقراء وهم بهذه الحالة ولا تأخذهم رحمة بهم كأن هؤلاء ليسوا من لحم سكان القصور ودمهم . او بالحري كأن قد عدت الاسابية مهم مهم لا يتأثرون . ولو علموا الواجب لبناوا للفقراء مساكن صغيرة صحية بدلاً من تشييد صروح نفيسة تسكن شهراً وتهدر دهماً

ساعات الصحة فساءت الاخلاق . واجسام الفقراء قل ان يملها الماء فتتراكم عليها
 الاوساخ ايضاً والادران^(١) حيث يجد من وراء ذلك لهم الثقل في البدن والضعف
 في الادراك والفهم وزد على ذلك وسخ التياب فانها ايضاً مجلبة للامراض والحمول
 والصداع اذ هي اعظم واسطة لانتقال المرض من واحد لآخر مثل الحى القرمزية
 فانها تنتقل الى العائلة بتياب المرضع وكذلك الجدري والتيفوس
 نسأل الله ان يقرب الايام التي يشعر فيها الفقراء بلزوم التغلب على الفقر بالمعرفة
 حتى تسعد اوقاتهم . ويصبحوا ساعين في تهذيب انفسهم وتعليمها ما ينفع وما يضر
 ويعلمون (ان النظافة من الايمان)

تطبيب الامهات الفقيرات

لاطفالهن

الاولاد وهم في سن الطفولية معرضون لجملة امراض تتناهبهم من وقت لآخر .
 غير ان الاعثناء بهم يخفف ويلايتها عنهم اذا لم يكن يمنعها بالكلية . وهذا الاعثناء
 تختلف الطرق المؤدية اليه والوسائل التي تستعمل للوصول الى هذه الغاية باختلاف
 عوائد الامهات ومعارفها الا انه بقدر عناية الام بولدها حسب ما توجهه حالته
 بقدر ما تخف وطأة المرض عليه حتى يزول بتمامه . وعليه نرى ان اهل اليسار لا

(١) يظهر مما كتبه الفرنسيون في خطتهم ان عدد الحمامات التي كانت موجودة
 لوقتهم تزيد على المئة والآن لا يوجد بالقاهرة سوى ٥٠ حماماً وهذا بالنسبة لما بلغت المدينة
 من الانساع وزاد السكان قليل جداً . وقد ذكر المسيحي في تاريخه ان العزيز بالله هو اول
 من بنى الحمامات في مصر وقال الشريف اسعد نقلاً عن القاضي القضاعي انه كان في مصر
 الف ومائة وسبعون حماماً وكان اغلب هذه الحمامات موقوف على الفقراء . وياها لها تحربت
 وتصرف فيها الملاك واستعوضت ببيان اخرى (خطط على مبارك باشا) (جزء اول وجة ٩٥)

يعتري اولادهم المرض بقدر ما يعتري اهل الوسط واهل الوسط لا يكون المرض بين اولادهم منتشراً كما هو بين الفقراء . وعلى الانسان بقدر طاقته ان يتعاشى كل سبب من شأنه احداث المرض وما ذلك بعسير اذ كل انسان مبالٍ بالطبع لدفع ما يوذي ويؤلم . اما اخواننا الفقراء فانهم حقيقة يخافون المرض ولكن لا يعتقدون بطب ولا طبيب بل جل اعتمادهم في مداواة انفسهم مبني على علم معروف عندهم اسمه (علم الركة) وهذا كله مستوصفات منها النافع والضار . وفي كل مداواتهم للامراض يعتمدون على الوهم والظن لا على الحقيقة . مثلاً يوجد بين النساء الفقراء معتقد وهو اذا مرضت اطفالهن وحكوا انوفهم فيزعمن ان في رؤوس اطفالهن ديدان فيستنعن في اخراجها برجل عالم عندهن مير في الحواري صارخاً بقوله (يا فرج) اذا احضرت يرقى الاطفال على زعمه ويمر براحتيه على وجوههم فتساقط الديدان من انوفهم واذانهم . والحقيقة ان ذلك خزعبلات يمويه بها على عقولهن لاخذ اموالهن وقد تكون الديدان بين اصابعه او في كفه وقد ادخرها هناك ليلقيها وهو يمر براحتيه على جبهة الطفل

وكثيراً ما يصاب الاطفال (بالسعال الديكي) والشهقة فيصف النساء لبعضهن ان يأخذنه الى جزار ابن جزار لكي يمويه عليه بجر المدية على عنقه فيشفي اما الحقيقة فيعلمها العقلاء والاطباء^(١) ولا يخفى ان الاطفال معرضون في صغرهم للعصبة والجذري والحى التيفوسية او الترمزية فاذا كان شيء من ذلك واعتمدن في شفاء اولادهن على تجارهن ولم تتجش اشرن على بعضهن البعض بان يزور

(١) ورد في مجلة (طبيب العائلة) جزء ٨ سنة ٥ ان الشهقة ويسمى العامة (الرغطة)

فعل عضلي عصبي خارج عن سلطة الارادة مركزه الحيوط الصوقية للخنجرة وهي تأتي بدون علة ولا سبب وتضايق صاحبها كثيراً بل كلما اظهر تضايقه منها زاد فعلها

الاطفال ثلاثة اسابيع متتالية (الطاقة) التي في مقام اولاد عنان (رضي الله عنهم) وهنالك اي في اولاد عنان (طاقة) صغيرة يدخلن فيها اولادهن كل يوم (سبت) لافرق بين رضيع وفطيم وبعد دفع الرسوم لشيوخ المقام يقرأ عليهم ما يأتي بصوت جهور «يا بركة الطاقة وما فيها تشايه وتعافيه وان كانت تس تدعوها وان كانت كفية تزيجوها وان كانت مشاهرة فكوها يا عنانية تشنعوا له بالسفا والعافية تحفظ بدلك (يا محمد) (مثلاً) قوم هات العافية في كلك واجري كلم امك»

وفي هذا المقام قبلة مهجورة ايضاً يقرأون فيها على الاولاد ما يشبه هذا الكلام وكذلك يوجد بئر^(١) يقولون ان بها وليه تدعى ستي سكرة

يلقون فيها قطعة من السكر ويقرأون مثل ما تقدم ويداوم الطفل على الحضور ثلاثة سبوت وفي الثالث يلقون بلايسه القديمة في الميضة ويلبسونه أخرى غيرها جديدة . ولا يخفى على العاقل فتك الحمى وعدواها والحصبة والجدري فان علماء الطب قرروا ان هذه الامراض مستعدة للعدوى من اقل سبب ولربما ظن القارئ ان الذين يذهبون من النساء باولادهن عددهن قليل . اما نحن فنقول ان اللواتي يذهبن الى ذلك من النساء كل يوم سبت من المسلمات والمسيحيات (الاقباط) لا يقل عددهن عن المائتين او الثلاثة مئة يحضرن راكبات عربات النقل وراجلات على الاقدام من اطراف العاصمة افواجاً . وعندنا ان ذلك سبب مهم في جلب العدوى لاولادهن من حيث لا يشعرون ولا الحكومة تتعرب بذلك . فخبذا لو خصص الاوقاف من اموال الكنيسة جزءاً وبنى مستوصفاً لهؤلاء الاولاد في جانب هذا المقام الشريف حتى تطيب فيه الاطفال مجاناً والا فتكون الحالة المتبعة الآن سبباً يدعو بالاطفال الى الموت عاجلاً والى العدوى وانتشار الامراض فيهم

(١) كان لاخواننا الاقباط الارثوذكس شرمتلها في كنيسة العذوية بالقبيلة

وانتقلها من حي الى حي مما لا يرضي هؤلاء الاسياد . والله يعلم ان اولياء الله كانوا يعملون بالحديث الشريف (الناس عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله) ومن تأمل فيما قلناه يَرَضْرُورة بناء المستوصف بجانب المقام رحمة بعباد الله ورحم الله من سهل للفقراء راحتهم في ضيقهم وشدتهم

تعليم اولاد الفقراء

كم من صبي ولد فقيراً لا ذنب له في قلة تربته وتعليه الا المقر الذي نشأ فيه اذ كان قد وهب النباهة والادراك فقد اهملت فيه هذه المواهب . وان لم يكن وهبها فهو لم يستعض عنها بشيء من العلم . ترى ذلك بلا مشقة في الامة المصرية الفقيرة حال مرورك في الشوارع بين ابناء امك المهملين تربية وتعليماً ولقد انا التاريخ ان كثيراً من الفقراء الذين لم يفهم حظ العلم قد شبوا نافعين لأمتهم ووطنهم وخدموا بلادهم الخدم الجليلة . كما نبينا البحث ان العقل يبدو كزهرة صغيرة فاما وسائط تنمو بها وتكبر ويضوع غيرها . واما اهل تضعف به فتذبل وتسقط الى الخضيض التي نظرك نحو اولاد الاغنياء والفقراء وهم في المدارس فتري الاولين متأخرين غالباً والآخرين متقدمين يسبقونهم على احراز العلم والفهم ذلك لان الفقر الذي هم قائمون فيه يربي فيهم ملكة الاعتماد على النفس في المطالعة والدرس بخلاف اولئك الذين اكثر ما يعتمدون على الوسائط والجاه . والاولاد الفقراء عندنا ذوو استعداد احسن لقبول العلم لانهم لم يتعودوا عيشة الرفاهية والدلال . والدلال كما لا يخفى سلطان على اولاد الاغنياء واي سلطان . مشبط للهمم في نصارة العمر حائل بينها وبين ما يسمى الثقات واكتساب من كل ما يمر بالشخص في المدرسة او البيت او السوق ومع علمنا الاكيد لتلك المزاي اولاد الفقراء . فاننا لا نجد

لهم من المدارس ما يسد احتياجاتهم وغاية ما هناك منها بعض مدارس للجمعيات الخيرية كالجمعية الخيرية الاسلامية^(١) وجمعية العروة الوثقى والمساعي المشكورة وبعض مدارس للاميركان والفرير وبعض الحسينين^(٢) من الذين هزتهم الاريحية لتعليم اولاد الفقراء مجاناً . وما عدا ذلك فلا يوجد ثمة مدارس للفقراء بل يوجد لهم كتاتيب واحدها المكتب او الكتاب وهو عبارة عن قاعة ارضية حقيرة لا تصلح الا لايواء البقر او الحيوانات الاخرى يجمع فيها العريف او الشيخ كل يوم صباحاً صبية اطفالاً من الحواري والمطف لتعليمهم على زعمه وعلى زعم الآباء للخلاص من جلبتهم ولعبيهم في البيت طول نهارهم فيجلس التلامذة ومعلوم في حالة سيئة ركماً فوق بعضهم ولو كانوا يفوقون الستين عدداً . على ارض رطبة قدرة لا منفذ لتجديد الهواء فيها . حتى ان الرائي قد يظن لاول وهلة انهم جماد رص في قاعة حين الحاجة اليه لولا صراخهم الذي يبعد الظن ويقرب الى الدهن انهم مخلوقات فيهم دم الحياة وطيب الروح . واكثر الكتاتيب لجماعة المسلمين منا وما بقي من الطوائف فليس لهم الا النذر القليل منها

واجرة تعليم هؤلاء الاطفال كل يوم رغيف من العيش وجزء من عشرة من القرش يأخذ نصفها او اكثر العريف او الشيخ وما بقي فطعام الطفل فطوراً وغذاء ساعة الظهر . اما الحقيقة عن اجرة تعليمهم فما يتحصل من تشييم الجنازات وفي هذه الكتاتيب يتعلم الطفل جزءاً من السور الصغيرة من القرآن صباحاً

(١) عدد مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية اربعة لا غير تلامذتها كانوا لغاية السنة الماضية ٣٥٣ منهم فقط ٣٠ دفعوا الاجرة والباقي مجاناً لولا فضل الجمعية لما حصلوا على ثمرة من العلم فاذا كان هذا ثمرة الاربعة مدارس فكيف يكون لو عضدها ذوو اليسار باموالهم

(٢) كالمرحوم الخواجه رفته عبيد الذي اوقف على المدرسة العبيدية الفين وخمس مئة فدان وجعل فيها التعليم مجاناً

عن ظهر قلب والاوراد والادعية فيما بقي من النهار . وليس تعليمهم من العريف او الشيخ بل من بعضهم البعض الا من خشي الشيخ سطوة اهله وتعنيفهم . فان ذلك يتلقى تعليمه من العريف مباشرة او من ولد متقدماً عنهم قليلاً وما سوى ذلك فمهمل . والولد الذي يوكل بتعليم جماعة انباهته قليلاً سي في زعم العريف له السلطان المطلق على الاولاد كلها فيقضي طول نهاره يلطم هذا وينهر ذلك ويخز الآخر او يوغر قلب العريف عليه ليضربه في " الفلقة " ولذا من صالح الاولاد مسالته حتى لا يضايقهم بل يلعب معهم طول نهارهم في عمل ما يسمونه الاطفال (فريرة او حبك خوص الخيل بما يسمونه (بيت النمل) او حبك دوبارة الحصر الجالسين عليها بايديهم وارجلهم وكثيراً ما يجلس جماعة منهم في ناحية من المكان ولا يكادون يقومون الا وخطان (الحصيرة) كله معدوم فضلاً عن سرقتهم حاجتهم من بعضهم البعض ثم حصول الاتفاق بينهم على أكل لقمة كبيرة مرة واحدة يسمونها " لقمة الزقوم " كثيراً ما تضر بهم

كل ذلك يجرونه والعريف متغافل عنهم متمني انقضاء اليوم . واذا اراد نهيهم عن اللعب واتباع القراءة فانهم يقرأون السور المحفوظة في اذهانهم عكساً لطرد . او يهزون اكتافهم بغية ايقانه انهم عاكفون على الحفظ الى ان يجيء العصر ويتولى معظم النهار فيجمعهم العريف لقراءة الحزب ويصرفهم غير آسف والخلاصة ان ما يسمونه الكتاتيب مفسدة الاولاد في صغرهم مفسدة لتربيتهم وصحتهم . لان في الكتاتيب لا يتغذون جسماً ولا روحاً . وفي شربهم يشربون من داخل " بلايص " من نخار في وسطها غابات البوص يتصون الماء منها مصاً

(١) كثيراً ما يصاب الاولاد بعائل وناهات يكون سببها ضرب الفقهاء والعرفاء ومن عهد قريب نقاً فقيه عبق ولد يتعلم عدة في مصر القديمة

وهي واسطة عظيمة ايضاً لنقل عدوى الامراض والعايات بسرعة واخص ما هم معرضون له من الامراض مرض القراع والبرص والقوبه والجرب وغير ذلك غير ان لديوان الاوقاف ونظارة المعارف العمومية كتاتيب ارقى من هذه قليلاً جاء عنها في خطبة الشيخ محمد شريف التي خطبها في ديوان نظارة المعارف يوم ٥ ديسمبر سنة ١٩٠١ ما ملخصه : ان لديوان الاوقاف كتاتيب تديرها نظارة المعارف عدد تلامذتها في هذا العام ٤٢٩١ وكان في العام الماضي ٣٩٦٦ وزاد عدد البنات المتعلقات بها فصار ٧٦٣ بعد ان كان في العام الماضي ٦٤٣ واما عدد المعلمين الاكفاء فهو آخذ في الزيادة وقتاً فوقتاً فقد كان في سنة ١٨٩٨ م ١٩ وفي سنة ١٨٩٩ م ٤٥ وفي سنة ١٩٠٠ م ٦٤ ووصل هذا العام ٩٠ منهم عدد ٤ من النساء وكل واحد من العرفاء الذين نجحوا في الامتحان يقبض مرتباً شهرياً قدره ٧٠ قرشاً واما الفقهاء فيقبض كل منهم ١٤٠ قرشاً وهذا غير مرتبات التلامذة المعروفة " بانخيس " فانها كلها تقسم بين الفقهاء والعرفاء . وقد عينت النظارة بكل كتاب فراشاً يقوم بنظافته وما يلزم له وما زالت ميزانية هذه الكتاتيب ترقى حتى صارت في هذا العام ٥٥٧١ جنياً بعد ان كانت في سنة ١٨٩٧ م ٣٥٢ جنياً فقط . اما التعليم والنظافة ودواعي الانتظام في هذه الكتاتيب فقد ارتقت كثيراً عما كانت عليه . ولكن مما يؤسف عليه انه رغماً عن زيارة اطباء المدارس لهذه الكتاتيب فان صحة التلامذة لم تتقدم كثير هذا العام فقد اظهر الاحصاء الذي عمله حضرة حكيمباشي المعارف ان نسبة المصابين بالرمم الحبيبي هذا العام لا تزال ٨٠ في المئة كما كانت في العام الماضي والسبب الاكبر في وقوف التقدم عند هذا الحد هو رداءة اماكن الكتاتيب فان الكثير منها غير صحي بالمرة ولا يصلح لان يكون محلاً للتعليم وهذه هي اكبر عقبة الآن في تقدم الكتاتيب

التي صارت محط الآمال في تربية طبقة كبيرة من الامة . ولذا رأى ولاية الامور من رجال الاوقاف والمعارف انه ينبغي ان يبنوا كتاب جديد على نظام صحي حسن يكون مثالا في البنين والتعليم والنظام لما بنى في المستقبل من الكتاتيب في الديار المصرية . وهذا الكتاب يشيد الآن بجوارقة القدوية وسيتم بعد ايام وتدور فيه الدراسة . هذا ملخص قول حضرة الاستاذ عن حاضر الكتاتيب التابعة للاوقاف التي تديرها نظارة المعارف بالنيابة عنه

اما الكتاتيب الاخرى التي تكفلت بها المعارف وتمدها بالاعانات وتهم بملاحظتها وتفتيشها فقد قال في خطبته عنها حضرة الاستاذ انها تقدمت في هذه السنة تقدماً ظاهراً كما يعلم من الامور الآتية . اولاً عددها قد زاد في هذه السنة زيادة عظيمة حتى انه لم يكف لتفتيشها اقل من عشرة مفتشين اذ بلغ هذا العدد ٩٢٥ بعد ان كانت في سنة ١٩٠٠م ٤٨٤ وسنة ١٨٩٩م ٤٠٣ وسنة ١٨٩٨م ٣٠١ التي هي مبدأ التفتيش وقد زاد ايضاً عدد الكتاتيب التي امكنتها لائحة للتعليم فصار الآن ٢٦٨ وكان سنة ١٩٠٠م ٢٤١ وسنة ١٨٩٩م ٢٢٩ وسنة ١٨٩٨م ٤٨ وكذلك زاد عدد الكتاتيب التي امتعتها كافية فبلغت في هذا العام ٢٢٠ وكانت سنة ١٩٠٠م ٩٩ وسنة ١٨٩٩م ٧٧ وسنة ١٨٩٨م ٢٧ . ثانياً عدد المعلمين الاكفاء الذين يتولون التعليم فيها قد زاد في هذا العام عن الاعوام التي قبله فبلغ الآن ١٣١ معلماً و٤ معلمات . وكانت سنة ١٩٠٠م ٦٢ وسنة ١٨٩٩م ٥٥ وسنة ١٨٩٨م ٤٠ . ثالثاً عدد التلامذة ولاسيما البنات قد زاد عما قبله زيادة وافرة فبلغ ٢٤٦٩١ من البنين و٢١٤٠ من البنات وكان سنة ١٩٠٠م ١١٣١٨ من البنين و٩٩٧ من البنات وسنة ١٨٩٩م ٩٨٣٩ من البنين و٥٦٨ من البنات وفي سنة ١٨٩٨م ٦٩٣٦ من البنين و٥٩٨ من البنات . ومما يحسن ذكره انه

فضلاً عن كثرة وفود البنات على الكتاتيب من سنة الى سنة قد أنشئ لمن كتاتيب خاصة بهن ومن احسن ما أنشئ لهذا الغرض المدرسة الخيرية بدمياط فانها أسست على نظام بديع يمكن ان يعد من احسن مدارس البنات بمصر. رابعاً فضلاً عن تعليم القرآن الكريم في هذه الكتاتيب قد انتشر فيها تعليم مبادئ اللغة العربية والخط والحساب هذا العام بكثرة زيادة عن الاعوام الماضية اذ بلغ عدد الكتاتيب التي تعلم فيها تلك المواد ٣١٢ وكان في سنة ١٩٠ م ٨٢ وسنة ١٨٩٩ م ٥٨ وسنة ١٨٩٨ م ٣٥ . خامساً التعليم الافرادي الذي كان مستعملاً في هذه الكتاتيب وهو تعليم فرد فرد من التلامذة نقص كثيراً جداً عن الاعوام السابقة وقام مقامه التعليم الجمعي وهو تعليم جمع من الاطفال بعضهم مع بعض وقد استعاض هذا التعليم الجمعي في الكتاتيب هذا العام حتى بلغ عدد الكتاتيب التي يستعمل فيها ٣٩٤ وكان سنة ١٩٠٠ م ١٥٤ وسنة ١٨٩٩ م ٧٧ وسنة ١٨٩٨ م ٣٤ . سادساً تحسن النظام في هذه الكتاتيب هذا العام زيادة عن الاعوام السالفة حتى بلغ عدد الكتاتيب التي يمكن اعتبارها منتظمة ١٠٥ وكان سنة ١٩٠٠ م ٣٩ وسنة ١٨٩٩ م ٣٧ وسنة ١٨٩٨ م ١٧ وجميع اوجه التقدم المتقدمة نتيجة التفيش وبالاخص منح المكافآت لاهل الكفاءة من معلمي تلك الكتاتيب فانه بعث كثيراً من رغبة الفقهاء في نيل الاعانة واستنض همهم الى تحسين احوالهم على قدر الاستطاعة واصلاح امكنة كتاتيبهم والقيام بما يلزم لها من الامتعة على قدر الامكان . ومن اجل ذلك زادت الاعانة التي قدرت هذا العام لتلك الكتاتيب فبلغت ٢١٣٨ جنيهاً مصرياً و ٦٠ غرشاً صاغاً وكانت سنة ١٩٠٠ م ١٠٠٠ وسنة ١٨٩٩ م ٧١٩ جنيهاً مصرياً و ٩٠ غرشاً صاغاً وسنة ١٨٩٨ م ٤٩٥ جنيهاً مصرياً و ٢٥ غرشاً صاغاً وهذه المبالغ بلا شك لا تعد شيئاً

بالنسبة للنجاح العظيم الذي حصلت عايه كتابات الاعانة في هذه المدة القصيرة التي لا تتجاوز اربع سنين ومثل هذا النجاح يبشر بان مستقبلها سيكون احسن وانها ستخطو خطوات عظيمة في طريق التقدم والارتقاء . وقد تأكدت به ثقة النظارة من نجاح مشروع الاعانة وانه كفيل بتعميم الاصلاح في جميع الكتابات الاهلية فزادت في مبلغ الاعانة للعام المقبل ونظمت للكتابات جميعها تفتيشاً عاماً متفرعاً الى تفتيشات محاية في القاهرة والوجه البحري والوجه القبلي واعدت له المفتشين ورتبت له ما يلزم من الامكنة والامتعة والعمال وعمال قريب تخرجه الى حيز الفعل واستمر في طريق الاصلاح الى ان تصل الى الغاية المقصودة المؤدية الى سعادة البلاد انتهى . باختصار قليل وفي ذلك بعض الاطمئنان على اولاد الفقراء الذين هم اولاد كل الامة

كتب الفقراء

كما للاغنياء والوسط كتب يغذون بها عقولهم ويعلمون منها ما طرأ على العلم والادب من التقلبات . كذلك للفقراء كتب بذينة يتعلمون منها السفاهة ويعلمون منها ما طرأ على قلة الادب والرذيلة من الطوارئ . وهذه الكتب يؤلفها لهم السفهاء والحشاشون وهي مملوءة بصور هزلية قبيحة يقطر منها القبح وقلة الحياء . وهي المفسدة للاخلاق فيهم على فسادها المتضمنة للهدر والمجون مع كثرته بين الفقراء . ويصدر منها كل يوم شيء جديد كثير حشوه قلة الادب والسفاهة والبعد عن المبادئ القوية . وهذه الكتب يغينا التفكير قليلاً في اسمائها ككتاب "رجوع الشيخ الى صباه" (وكتاب منعظ العنين ومنهي عن المعاجين) والايضاح في علم النكاح وقصة "الفلاح مع الثلاث نساء" (وعفريت الشوام)

”ونوادرجي“^(١) (والتقاضي والحرامي) ”بدع بطه“ (وراس الغول) ”وخضرة الشريفة“ (وبئر ذات العلم) و”علي الزبيق“ (والمرأة اللي حبلت جوزها) ”وقمر الزمان بن الملك شهرمان“ (والعمدة اللي اجوزسته) ”وبدع خرج من الحمام“ (وتسالي رمضان القصيعة) كل هذا يعني عن زيادة الشرح وهو لا يقع تحت حصر مما من شأنه افساد الاخلاق والآداب والدين . واغراء الناسك على التهلك في الفسق وتخدير العقول بمخدرات الجهل فوق ما هي عليه . ومن الغريب رواجها بسرعة عجيبة حتى انها تطبع مراراً كثيرة في شهر واحد^(٢) . ولكن لا غرابة ولا عجب ما دامت نفوس الفقراء مترية على حب التوغل في الرذيلة والتفج من الصغر اذا حق على العاقل المطالبة بابادة هذه الكتب لما تحويه من الغش والخداع خدمة للفضائل والآداب والانسانية . وحق للحكومة ان تعاقب اصحابها وطابعيها ولا يعز عليها ذلك ما دام اصحابها والذين يطبعونها يكتبون اسماءهم عليها . وهي لو اهتمت بالامر لوقفت على خفايا ما هنالك وعلمت انها محشوة بالاكاذيب في الدين والخداع في الآداب والاخلاق مما يودع في رؤوس العوام رذيلة السفه ويولد بينهم مكروب الفساد وليس أقدر من الحكومة على استدصال ذلك كما ليس احد مسؤولاً أكثر منها عما يحفظ ادب الامة ومجدها ونخارها وفي القانون ما يساعدها على العقوبات^(٣) والأفصعب والحكومة اصلاحية ان نتغلى عن الفقراء

(١) غاية ما يعلم عن ججي المغفل المشهور انه عاش في الكوفة في زمن خروج ابي

مسلم الخراساني . ويروى انه كان له نوادر كثيرة اغلبها في السفه

(٢) اذكر ان ”بدع بطه“ طبع في اقل من شهر واحد مئة مرات

(٣) جاء في المواد ١٥٦ و ١٦١ من قانون العقوبات ما يأتي ”كل من انتهك حرمة

الآداب وحسن الاخلاق باشهار رسم او نقش او تصوير او رسم . تمثيل يعاقب بالحبس من

شهر الى سنة ويدفع غرامة من مئة قرش ديواني وقرش الى الف قرش“

وثر كم يقرأون لهذه الكتب حتى يصيبهم من الضرر والشر شي كثير يوتر على ارواحهم فضلاً عن تأثير الاعتقادات " بالمعريت والخيال والقرين "

المحبة والفقراء

المحبة صلة القلوب بين الناس ويجب ان تكون متينة العرى بين الفقراء ليتخلصوا من شراهاوتهم المتفرقة ومذاهبهم المختلفة . وليقربوا الى ما من شأنه تجنب الفساد وصرف الهمم الى الضار المشين . ولتقطع اعصاب الدسائس التي يدسونها لبعضهم البعض من غير موجب — والفقراء اولى الناس بالمحبة لتضم قلوبهم المتفرقة التي حجبتها التفرير والتويه بسبب فقدهم لها . حتى اصبحوا منبت البغض واشتهرت عنهم آفات الكذب والخيانة والخداع . ناهيك عن احتياجهم اليها لتعليمهم بدلاً عما ذكر بالصدق والامانة والمحافظة على جلب الرحمة اليهم والشفقة . وحبذا هي لو عرفت بينهم لتكون سبباً يدعو الاقوياء الى الاعتراف بحقوقهم والنظر في رغائبهم فينالونها بدون بذل ماء الحياة والتذال الذي يذهب بالتترف الآدمي . اما وقد صارت المحبة بين الفقراء سطحية تقع بينهم عفواً عن غير قصد . سعياً وراء منفعة ذاتية حتى اذا نالوها انقضت تلك المحبة من قلوبهم وعادوا الى التنافر والتباغض . فلا لوم علينا لو قلنا انهم في كره متزايد وعدوان مستمر وكل يوم لهم في البغض اثر في حاراتهم واخطاطهم مع اهليهم وبني وطنهم وبني ملتهم ينشأون وينشأ معهم الشقاق والبغضاء منذ الصغر ويعيشون عاملين على البعد عنها في الكبر . الا جماعات منهم قليلون وهؤلاء ممن رزقهم الله حلية العقل والادراك . وما عداهم فالكمل عائشون بالتحاسد والبغضاء . حتى صارت قلة الادب فيهم خافية

موروثة وضاعت من بينهم الشهامة والمروءة والامانة . وعلام البربري ببربرته في
المحبة لاهله وبني جنسه مما لا يخفى على احد . اذ البربري يأتي من بلده ولا
يمالك ما يسد به الرمي ويستتر به العورة . فالمحبة ينزل ضيفاً عند معارفه وبني نوعه
وبالمحبة يفتشون له على خدمة او حرفة يقتات منها لا فرق بين رجل منهم او صبي
بل بالمحبة ينتقون لها ما يصلح شأنها وبها يجمعون لبني جنسهم من بعضهم البعض
ما يشترون له به صندوق " البويه " لمسح الاحذية ويعلمونه على كيفية الحصول
على معاشه وطرق الكسب اذ يرافقه احد ابناء جنسه في البلد ولا يخل عليه
بتعليمه كيفية تغليف الاحذية السوداء والصفراء . حتى اذا ترك حرفته هذه
لكبره واستخدم بسبب مساعدتهم له سفيرجياً او خادماً يأتي باحد اخوانه ويعلمه
ويدربه على حرفته الاولى مع افهامه ان زيدا من الناس يدفع في مسح حذائه
كذا وعمروا كذا وهلم جرا . واذا اتدبه احد ليتته يدفع كذا . ثم يتركه
داعياً له بالتوفيق والنجاح المستمر . وبهذه الوساطة يتعلم منهم فضل الاتحاد حتى
توصل كثير منهم الآن الى احتكار بعض القهاوي . غير تاركين لابن العرب
واسطة او سبيلاً بينهم للتعيش وسببه علمهم بان اولاد العرب زملائهم يقبلون على
مسح الاحذية برخيص الايمان عنهم وفي ذلك تجلبة للخسارة عليهم لا يرضونها
هذا الامر متشاهد بينهم ومصدره المحبة والاتحاد . يضاف الى ذلك العفة
والحشمة والحياء والاعتبار بخلاف امثالهم من ابناء العرب الذين لا يستحون من
الصح والفجور حتى انهم بعدوا عن طرق الخير ومسالكه بقدر ما زاغوا عن طرق
المحبة والاتحاد والسير ضد الحشمة في جميع اطوارهم
اذا عرفنا هذا وتذكرنا حال الفقير في صغره وهو الآخذ عن ابيه وامه
الكثير من القذف والنمش في مجالسهم بين اهله وجيرانه وبين كهراة واهل محارمه

لا يصددهُ وازع الحشمة لما اخذتهُ به عوائد السوء في المظاهر قولاً وعملاً حتى اصبح خلق الشرموروثاً فيه أباً عن جدِّه وولداً عن أب لا نستغرب فقدان المحبة التي تمحو البغضاء من نفوسهم وتشد آواخي الاتحاد المتين بينهم . وانت تراهم حتى في صلاتهم بجانب بعضهم متخاصمين ولو في ختام الصلاة ينظر كلٌ منهم لآخيه قائلاً " السلام عليكم ورحمة الله "

لما على بصرهم وبصيرتهم من غشاوة البغضاء والشحناء بسبب فقدان المحبة من بينهم بل غاية ما يدركون الشتائم والسياب لاقل ماسبة حتى يتوصلون للشاجرة واقتراف الجرائم بالاعتداء بالضرب والجرح . ونكاية بعضهم بعضاً بشهادة الزور وخذس الاعراض بسب الآباء والامهات . ويكفينا اننا نسمع كل يوم ازدياد مشاجرتهم وكثرة جرائمهم من مغالقات وجنح وجنبايات رجالاً ونساءً وانهم يزيدون كل سنة عن غيرها في قتل الاب ابنه والابن اباه والاخ اخاه او اخته والاخت أختها او اخاها ولا جدال في ان سبب ذلك فقدان المحبة من بينهم حتى جلسوا على نفوسهم العطب في ليلهم ونهارهم

نسأل الله ان يزيل المكروه عنهم ويهبهم ادراك معنى قول المرشد الاعظم " صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تناغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخواناً المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى هنا واثار الى صدره ثلاث مرات بحسب امرى من الشران يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

الجبن

” وضعف عزيمته الفقراء “

الجبن الذي نحن في صددِهِ هو قعود النفس عن الاقدام على الامور ولو كانت ممكنة لضعف متسلط عليها وانخدال في النفس عما فيه مصلحتها ومنفعتها وهو في الامة المصرية عام يتناول الرجال والنساء والاطفال . وهو ذو سلطان قوي على العقول والاجسام . اذا تملك وتأصل فيها أفسد نظامها واضعف قوتها وقل من حد عزيمتها . وقد سرى داوؤه في اعصاب الامة وشرايين جسمها سريان السم في العروق الجسمية حتى تكاد لا تجد فرقا بين طائفة وأخرى في سيطرته على رجال العلم والجهل فيها . والجبن في الامة المصرية وراثيا من قرون مضت وعصور خلت وسبب ذلك الضغط والاستبداد الذي أنته الهيئة الحاكمة في تلك الازمان التي توالت عليها وكثرة تعاقب تلك الحكومات وشدة ما هي عليه من التنافر في السياسة والاحكام والقوانين . حتى لقد تنقض دولة كل ما صنعتها السالفة من الاحكام والشرائح تقصد بذلك تطلب الغاية التي تسعى اليها بكل قواها ومجهودها ويكفي لنا دليلا على تغير الاحكام والضرر الناجم عنه ان اربع دول تولت امور القطر في المئة سنة الحالية هدمت كل منها ما وضعت الاولي وابدلت ونسخت كثيرا من الامور وابطلت بعضا من العوائد المرعية . اما الشعب المصري باختلاف عناصره فهو ذو اقدام وحب للتقدم لولم تصل ايادي الاقوياء من الاجانب اليه انظر ماذا صنع ابراهيم باشا الفاتح من مدهشات الامور في فتوحاته وكيف انه هدد كيان دولة لها بمصر روابط دينية وجنسية وهو لولم ثقيد يدها باغلال

القوة من تداخل الدول الاوربية وحيلواتها دون كثير من مقاصد لاتي بما لم تستطعه الابطال الاوائل والاقبال الامائل . وهكذا فقد قويض الله ان يكون هذا القطر مطمح ابصار الطامعين ونهبة الناهيين ومحج آمال المستعمرين لكثرة خيراتِه ودمائة اخلاق شعبه التي لشدتها تكاد تقرب احيانا من الذل والهوان

وليس بين الامم امة فعل بها الاستبداد فعلة الذريع مثل الامة المصرية . كما انه ليس بين الامم امة اقام فيها الذل والهوان مثلها وهو الذي اورثها الخمول فتأصل فيها مرض الجبن والوهن بامتصاص دمائها وهي رافاة في قيود الاستبداد . حتى اشتهرت بالقهر والغلب على امورها وعلم عنها انها الامة الميتة حياة المندثرة وجوداً وليس من يعجب اذا قلنا انها من جراء ذلك قد بليت بشر التقليد الذي يتولد في نفس المغلوب في كل فكر وعمل وعزيز ورخيص واستحكّم فيها داء الجبن الذي يتولد عنه كثير من الخرافات والامور السافلة . لاسيا وقد جهلت الامة باجمعها التربية الحقّة وزاغت عن صحجة الصواب في الازياء والعوائد الوطنية وبعدت عن الاحساس والغيرة بعداً شاسعاً وعن الثبات والاقدام في اقل الامور كما هو المنظور وافراد الامة ضعاف العقول كثير والاهام حتى ليعتقدوا احيانا ان في اليأس رجاء وفي الجبوط املاً وفي الذل مجدداً وعزاً كيف لا وهم لا يدرون الا خزعبلات الكلام وتخرّصات الاوها واصغات الاحلام التي يحتمونها في يقظة حياتهم التي هي اشبه بالسبات العميق لاعنيادهم الرعب من لا شيء والتخوف من لا خوف والرهبّة والانزعاج من لا قوة ولا صوت

فلا تستغرب اذا فساد رأيا وحزمها وعدم ثقتها بنفسها . وبسبب الجبن ترقد ولو نهبت اموالها وتسخر لاقبل الاقوياء باقل اشارة . حتى اذا أكل اولئك

الاقوياء على ظهور افرادها وشربوا ورموا لهم بالفضلات القليلة اکتفوا بها غداء
نعوذ بالله من شر الحين

نعم ان الحين في الامة قد اختلف حاله الان كثيراً بفضل حكومتنا
الحاضرة ونظامها السديد فانحصر ذلك الداء الويل في فئة الاغنياء والفقراء دون
الوسط وما سبب ذلك الا ان هذا الوسط اكثر اقداماً على استطلاع الامور
ومعرفة الحقائق ولما عرکه به الدهر وعلمه اياه الخبر دون الاغنياء والفقراء

اما الاغنياء فحينهم مشاهد منظور في سيرهم وحياتهم كلها كما مر بك .
والفقراء دلائل جبينهم ظاهرة في جهلهم وخوفهم وتحصيل معاشهم وكلامهم واخذهم
وعطائهم وفي مقابلتهم من يكون أعلى منهم مرتبة . اذ يعتقدون ان طالب الحق
فاجر وتارک حقه مطيع والمشتكي المتظلم مفسد والنبیه المدقق ملحد والحامل
المسكين صالح . وما يداننا باجلى بيان على زيادة الحين والوهن فيهم هو ذلك اليوم
الذي صدرت فيه الاوامر بتجنيد رجال العسكرية من ابناء المدن التي كانت
معفاة من تجنيد اولادها قبل صدور الاوامر المذكورة

فان المتأمل في ذلك الحين كان يرى ابناء الاغنياء كلهم يقدمون البديل
العسكري عن سعة وانسراح مما اعطاهم الله من بسطة العيش والغنى اما اولئك
افقراء الذين ليس بيدهم شيء يشترون به حياة اولادهم كما يزعمون فقد كان
اهلهم وذوو قرباهم يكونون وينتخبون في الغرارة والعشي وكنت ترى الاب يفتدي
ابنه بما يملكه من حطام لنديا فيصبح صفر اليدين . والام تبیع قرطها او خلخالها
(ولو كان خلخال زار) بانحس التمن حتى تجمع مقدار فدية ابنها من العسكرية
ومع هذا كله لا يذهب الابن للكمد والعمل ليعوض على ابويه ما فقداه بسببه بل
يعمل على ما به ضعف همته وخمول وجدانه . والحين داء الفقير كما هو سمير الغني

وهو سبب من اهم الاسباب للانحطاط المشاهد في امتنا المصرية عموماً وفي
الاسلامية خصوصاً . بعد ما كانت ذات بطش شديد وساعد قوي . والآن فلو
كانت الامة جميعها بعيدة عن الجبن مشهورة بمضاء العزيمة وشرف الهمة المؤدية
لترقية الشعور وحب الوطن لتمكن من نفسها تربية نفوس اهلها لدرجة مصاف
الرجال والرجولية . بدلاً من ان يصبح الرجل كبيراً في السن ولكنه صغير في
العامل بقوة اقل رجل من الطوائف الاجنبية التي بين ظهرائنا
نسأل الله ان يهدينا طريق النشاط والجد ويطهرنا عما يجلب علينا الموت
الادبي بطريق الجبن تحت كنف حكومتنا الحاضرة التي نبرامها مناراً بالحق
ومبدد ظلام الباطل ان الباطل كان زهوقاً

حرف الفقراء

ان فقد التربية وضعف الاعناء بشأن الفقراء جعل حالتهم التي هم فيها
كأنها لا تتأثر بمرور الزمن ولدا ترى فقير اليوم كفقير الامس هو هو يأكل
خبزه بالكسل ويأس لباسه بالجهول لا يعرف الشهامة والاقدام بل غاية ما يعرفه
لتحصيل قوته وملبسه صغار النفس وقعود الهمة عن السعي لعله ان ما تسوقه اليه
العناية والقدرة هو رزقه لا غير ولا سبيل للاستزادة منه . نعم قد وجد في فقير
اليوم بعض من الشعور وعلم انه مجبور على تحصيل قوته وملبسه بنفسه ولكنه
مع ذلك لم يهتد لمعرفة الواجب ولم يعلم احتياج الامة اليه ليعمل بما فيه نفعها ونفعه
ولم يهتم بان يكون جسمًا عاملاً بدلاً من ان يكون جسمًا خاملاً وان عليه الاهتمام
بصالح الجمهور حتى يدرك ما قدر له حقيقة من الرزق بطريق الكد والكسح

كما امر الله الانسان بقوله " يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه " حتى م لا يستيقظ الفقير ويعتبر ويستفيد من تيقظ من يعاشرهم من نزلاء البلاد . بل هو باقٍ على حالته التي كان عليها من سنين غير ناظر الى العمل نظرة العاشق لمرمى هواه والمريض الى الصحة بدلاً من شكوى سوء ايامه وشق زمانه وتركه جل اموره " للصدفة " مستعياً بممارسة الاعمال لما نشأ عليه من حب الكسل وإيثار الراحة وفتور الهمة على العمل . والفقير لعمرى لو كان على ضد ما ذكر وهدى نفسه الى العمل لكان اقرب لجلب العبطة على نفسه في معيشته . واقرب للفوز على من يعاشره من الاجانب اذ لا يخفى ما هو متيسر للوطني من المساعدات والعنايات والاحوال بخلاف ذلك الاجنبي النازح عن بلده المغترب عن اهله واقاربه والمقيم بين قوم ليسوا بقومه

اما وقد اقام الفقير على كسله المشاهد ودام على توانيه المنظور فلا حق له في الشكوى من سوء حاله الحاضر ما دام هو الكسول في حركاته وسكناته وليس اهلاً الا لان يقصيه ذوو العمل وينبذونه عنهم وهو القليل المروءة نحو نفسه القليل المنفعة لبلده المستعيب وسخ اليدين النافر عن رزق عرق الجبين

واننا نذكر للقارىء حرف الفقراء التي يحترفونها والتي يدعونها يا شغالهم وفي مقدمة ذلك حرف البيع والشراء التي يقدمون عليها على امل الربح منها . واهم ذلك اصناف المأكولات القليلة الثمن والربح يزاحمون فيها بعضهم بعضاً رجالاً ونساءً حتى امسوا بسبب ذلك في اسوأ حالة فوضى فاقدي الصبر . يجرون على انفسهم ملل المعيشة فلذا قل من يداوم عليها . والا فسرعان ما يتركونها الى ما يعيث بالامن . وخلوهم من الادب مع اضمحلال عقيدة الدين الآخذة بينهم بالتلاشي يلجأون الى السرقة في بيعهم وشراهم او في غش ما يزبونونه وما يكيلونه

ويكاد يكون بيع الرجال والنساء واحداً . فالرجال بيعهم في الأمور الآتية .
الكبريت والكتب . والاحذية . والحلوى . وعلائق الثياب . والفتق . والبطارخ
والإثمار . والاقمشة . والجينة والسميد والجرائد . والقول السوداني . والزيت والتمر
الهندي . (وبيع الصفاير والاساور) وكل " حاجة بقرش صاغ " او بيع الفخار
على ما يذكر القارى

والنساء يبعن الأزهار والاقمشة وماء الورد والثمار واللبن والعسل "والمسلي"
يطوف الكل رجالاً ونساءً حاملين ذلك طول نهارهم على أمل الكسب منه
وهنا لا بأس من سؤال القارى عما يرجه ولد اسراييلي حامل بضع اوراق
من ورق النسيب وهي خفيفة الحمل يرج منها بائعها اضعاف ما يرجه ذلك
البائع الوطني الذي يضع على رأسه ما يبلغ احياناً كثيرة زهاء الخمسين رطلاً من
البضاعة الدنيئة التي لا قيمة لها لا شك في ان حامل اوراق النسيب يعرف من
اين يأتي الربح وذلك الوطني جاهل ذلك ولو كان احدها ولداً والثاني رجلاً
فقل لي بحقك ما مقدار ربح الولد وقت بلوغه اشده اذا قسنا ما يرجه وهو في
سن الحلم على ما يستنبطه من اساليب الكسب وطرق الربح اذا استعمل عقله
واعمل قريحته واستفاد مما مر عليه وهو صغير من الأمور والطوارى . وبينما يكون
الفقير وزوجته يكحان وراء مبيع ما معها من البضاعة الزهيدة القيمة يتركان
اولادهم يطوفون الشوارع والطرقات بهيئة رثة كئيبة واينما حرت او اينما حلت
ترى زمراً من اولئك الاولاد منتشرين بحالة يرثى لها وهم بثياب بالية يتركضون
ويتضاربون على كسرة من الخبز او فضلة طعام او عقب سجارة . جالسين على
الارض كأنهم ليس لهم آباء ولا أمهات تراهم يملأون الازقة صراخاً ويركضون
صاخين لا عينين لا يردعهم عن السب والقبائح رادع الادب والتربية لفقدانها

منهم ولذلك تراهم من بنات واولاد كثيري الجرأة والحيلة في مداهمة المارة وسلب ما وصلت اليه ايديهم من امتعتهم يدفعهم الى ارتكاب مثل هذه الدنيا دافع الجوع والعري وحب السلب وليس الذنب في ذلك كله الا على آباءهم واحباتهم لاهالهم تربيتهم فيشبون على حب ارتكاب الحرمات واثان المنكرات من الامور فيكونون عالة على الامة وعبئاً ثقيلاً على كاهل الحكومة وهم لو تعلموا مبادئ التربية الحسنة لكانت لهم اعظم وازع عن هذه الامور . واغلب الاماكن التي يلجأ اليها هؤلاء الاولاد هي القهاوي والمطاعم وابواب المعابد ودور الاغنياء ونحوها واذا من الله على فئة منهم بعمل شيء من حرف المعاش ادا كبروا وهم ليسوا باهل لعمل مفيد يباشرون حرفة مساحي الجزم^(١) اولاً واذا ساعدتهم القرص الى حرف المكارين (الحجارة)^(٢) والحمالين^(٣) الشبالين^(٤) او الخوذبة^(٥) او يأخذون في حرفة التجوال في الحوارى "جعيدية" وقوفاً امام الدور هذا ناقرأ على دفعه ناشداً لقصة "الغزاة والجل" وذلك حاكياً "قصة خضرة الشريفة" او قصة "صبر ايوب" او ناديين الزمن او ذاكرين ألم الفراق للاهل او متوجعين من ألم المرض وكثرة العلل ولو كانت اغلبهم اصحاء الاجسام اقوياء البنية يحتاج اليهم الوطن بعمروه والعمل ليندق عليهم نعمه بدلاً من كسرة يطلبونها ببح الصوت او ملهم يأخذونه بعرق القرية او باستجداد اهل البيت والتشغم برجاء الاولياء والصالحين

(١) بلغ عدد مساحي الجزم بالقاهرة ١٢٦٢ سنة ١٩٠١

(٢) بلغ عدد المكارين (الحجارة) بالقاهرة ١٤٠٠ سنة ١٩٠١

(٣) بلغ عدد الحمالين (الشباله) بالقاهرة ١٠٨٧ سنة ١٩٠١

(٤) بلغ عدد الخوذبة (العربية ركوب) بالقاهرة ٢٥٠٠ سنة ١٩٠١

اما عربية النقل فقد بلغ عددهم في السنة المذكورة ٦٥٠٠ أخذنا ما ذكر من قلم -

الذين لا يبيعون الصدقة على امثال هؤلاء^(١) هذا هو العمل المشتغل فيه الرجال الفقراء والنساء الفقيرات غير ان للنساء الفقيرات حرفاً أخرى كغسل الثياب وضرب الرمل ومعرفة الفعال وقراءة القرآن في الطرق وغير ذلك من مثل بيع البرنقال او الادرة او البلح او الاستخدام في معامل الدخان وكل ذلك اسباب تنطرق بهن الى الرذيلة من شيء الى آخر وتجتزئ الآن بذكر شيء عن بائعات البرنقال وشيء آخر عن استخدامهن في معامل الدخان

اما بائعات البرنقال والبلح والادرة فنقول بتبدي البنت منهن في بيع الاشياء المحكي عنها وتكون في اول عهدا حريصة على ستر وجهها ان يظهر فتضع عليه النقاب خجلاً وحياء ثم لا يمضي عليها قليل زمن حتى تتركه وتثني في الارض مرحاً بغير نقاب ثم تبدي في تعليم النكت والمزار فلا يمر عليها عابر طريق من حوذي او حمار الأ وتناقشه النكتة . حتى رجال البوليس في دوريتهم اذكر اني كنت مرة في منتدى عمومي وكانت بالقرب مني امرأة من هؤلاء جالسة على الارض مفرطة الارجل فجاء اليها البوليس ضاحكاً وابتدأ يخطف في الشارع بين ذهاب واياب وهي ترميه بنكة وهو يرميها بمثلا حتى ان وقت ايابه للخفر فجاء اليها واخذ جزءاً مما تبيعه واوصى خلفه بها . وعلى هذا المسلك تجري بقية البائعات من النساء الى ان يضبطن في مجال الخنا والفجور

اما عن البنات اللواتي يستخدمن في معامل الدخان فهن قسم كبير كلهن يحضرن صباحاً ويذهبن مساءً وهؤلاء هن شر البنات سيرة وارذهن سريرة اذ

(١) من قول النبي رحمة الله - لا احب الفقير الا ان كان له حرفة تكفي سوال الناس - وكان رحمة الله يعمل في حياته في الغيط ويدبر الماء وينطف القنارة من الحشيش

يحكى ان منهن عدداً كبيراً متزوجات بشبان الاروام زواجاً غير شرعي . هذا وكثيرات من البنات الفقيرات يراهن المارون في شوارع العاصمة وغيرها من المدن جالسات يقرأن سور القرآن الشريف على مشهد من الجميع ومسمع وأخص حالهن جهات السيدة زينب والسيدة نفيسة وكبري المتبولي وابو العلاء . ولا يخفى ان يعملن هذا حطة لنا وازدراء بنا لانهن يقرأن القرآن الشريف بين القذارة والطين وبين ايديهن اطفالهن يصرخون ويشتون فتمخلط القراءة بالبكاء وكانهم شاعرون بتحریم ذلك فيكون وبراءون والآفا الداعي الى بكائهم وعهدنا بالطفل يحن للصوت ذي الرنة والنعيم . هؤلاء اللواتي يقرأن القرآن في الطرق لواعنتي بامرهن جماعة من اهل الخير وعملاوا لهن مكتبا صغيرا وحيي اليهن بمعلم يحرص عليهن في حفظ القرآن وتلاوته مضبوطا . ثم يذهبن بين النساء في المآتم يقرأن لتفتح لهن باب رزق حلال ولا تأب الله محضهن بدلا من اولئك الناديات الملعونات هذه هي حرف بعض الفقراء وقد تركنا حرفا أخرى كثيرة يطول شرحها ولو كان ما ذكر مع ما لم يذكر بساطته يفقد النفع المرجو من جماعة هم كل الامة والمجموع يعملون في ايقاف حياتهم على ما يوقف الثروة جبناً منهم لفرارهم من مواقف الكسب بالكد والكمدح والافاين الثروة مع كثرة السكان ما دام اهل البلاد يشتغلون على ما ترى بالتافه القليل وفي العطلة والحزعبلات والشعوذة الشيء الكثير حتى ان المتأمل اصبح يقرع سن الندم ويصفق صفقة الاواه على ما حاق بامته وما خسرتة جماعته بفضل الجهل المرئي المنظور والله عاقبة الامور

الصناع الفقراء

انه مع قلة المعامل والورش الصناعية في قطرنا العزيز بسبب عدم وجود المعادن في بلادنا المصرية وقعود الرجال وذوي الاموال عن تشييط الصناعة فيها فان عدداً ليس بالقليل من الصناع الوطنيين الذين يصنعون للبلاد ما يلزم من بعض الحاجيات ولو كان اغلبها مجلوباً من البلدان الاجنبية موجود بين ظهرانينا لا ينتظرون لظهور فائدتهم للبلاد الأ نهوض الاكفاء من الرجال لتعصيد الصناعة والامة في حاجة الى هؤلاء الصناع حاجة هؤلاء الفقراء الى افرادها من الاغنياء والكبراء . غير انك لو شئت ان تعرف حقيقة حالهم فهم ضعاف الميل والعزيمة في اداء العمل الذي يناط بهم . كثير الكفر بنعم مستخدميهم لاقبل سبب ولو انها نصيحة من ولاة امورهم . اذ يعكسون الغرض من ذلك الى حقد عليهم وعدم رضى باعمالهم فيتولد لذلك في نفوسهم حب الانتقال من حرفة الى اخرى ولو لم يكونوا قد مارسوها من قبل

وعدم الاطمئنان هذا مجلبة لقلّة نجاحهم في اعمالهم فضلاً عن انتفاء الثقة بين الصناع منهم وزميلهم اذ هم كلهم مبغضون بعضهم بعضاً لما ظهر منهم من حب التعريض والتميمة والسعاية التي تكون عقباها وخيمة عليهم اجمع واذا علموا ذلك شعرنا بانهم لا يذوقون لذة العمل ولا يحرصون عليه حتى يبلغوا فيه الاجادة وكل هذه اسباب تجلب الفشل عليهم والتأخر المستمر وتوجد فيهم حب الرضوخ لسلطان الصناع الاجنبي . فلا تستغرب بعد هذا لو قلنا ان الصناع الوطني يكون مستسلماً للصانع الاجنبي مقبلاً على طاعته يتصرف بقوته وقوة زملائه كيفما شاء علماً منه ان له من قوة هذا التضامن فوزاً مبنياً وسبقاً اكيداً في نجاح عمله

ويبلغه الغاية المقصوى من اتقائه وحصوله على الشهرة الطيبة . وهذا الامر غريب من الصناع الوطنيين . وهم مع ذلك كله بعضهم يدرونه ويعلمونه ويشاهدونه متأكدين من ان في اختلافهم هذا انحطاطاً وضعفاً ونذالة يجرونها اليهم عن غير قصد واختيار . ولا ريب في ان ذلك يستمر ويزداد ما دامت في قلوبهم لكرهة والميل الى الشقاق والنفور والقوضى وحق للاجنبي ان يتصر عليهم ويسود . واصدق شاهد على ما تقول الحالة الرديئة التي وصل اليها اصحاب الصنائع الوطنيين من حدادين وبرادين ونقاشين ونجارين تضمهم جامعة الصناعة والاخوة والوطنية . ولنا على ذلك مثال في عنابر بولاق وورشها والورش الاخرى اذ ترى كل هؤلاء الصناع لا يحافظون على الوقت بينهم ولا يعرفون له قيمة وكثيراً ما اقدموا على الشروع في عمل قبل ان يتموا الذي قبله واخطوا بترتيب اعمالهم وهو من اشد الامور لزوماً للصانع عند تكاثر الاعمال

زر احدى المعامل المذكورة او ورشة من ورش الوطنيين واقترب منهم تراهم يتركون ما بأيديهم ويقبلون على التكلم معك بكلام طويل غير شاعرين بقيمة الوقت الثمينة . نعم لا ننكر ان همهم عالية وعزائمهم ماضية يتحملون مشاق الاعمال ويكابدون اشد الاهوال ولكن ذلك لا يكون منهم الا دفعاً باليد خوفاً من سيطرة مسيطر عليهم

تأمل فيهم تر ان اخص صفات الصناع منهم الجرأة على الكذب والنفس والاحتيال . او فوض اليهم عملاً تراهم كثيرى الاخلال بالمواعيد كأن العامل منهم لا يحسن عمله الا بالخداع والمواربة . تفرس فيهم جيداً تراهم ينظرون الى العرض في اعمالهم تاركين الجوهر . ظناً منهم ان الغاية الحقيقية هي في البهرجة

والطلاوة لا في احكام الصناعة ودقة الاحتراف وقد يم فيهم هذا الحكم على كل اعالم
 هذا وطريق الاقتصاد في مؤونة الاعمال الصنائية غير معروفة بينهم بل
 المعروف فيهم أخذ "المؤونة" ازيد من مطلوبهم وهم مشهورون بالخفة والطيش
 في العمل وعدم اتخاذ التروي ديدناً لهم واعمال الفكرة دليلاً في ما يعملون وما ذلك
 الألفقدانهم فائدة الصبر والاعتماد على النفس ولذلك كان هذا الاهمال والقصور
 في احكام الصناعة ضاراً بهم مادياً وادبياً مضعفاً اجسامهم كما يتبين ذلك لمن
 عالمهم

دين الفقراء وتعصمهم

ان كل المصائب التي لحقت بالاسلام واهله منذ ابتداء تقهقرو الى الآن
 لمصيبة صغرى تلقاء منشأ تلك المصائب وكبرها وهي جهل فقراء المسلمين بحكم
 اوامر ونواهي دينهم الحقيقية . وعتدي ان سبب ذلك هو عدم وجود رابطة عامة
 في مركز الخلافة الكبرى لا كبرائة الاسلام تجمع كلمتهم على حقيقة المراد من
 تلك الاوامر والنواهي بالبحث والاجتهاد والتفسير بكل اخلاص . ونرسل فتشر
 نور تلك الحقيقة في العالم الاسلامي ليهتدي به وتوحد افكاره فتكون وجهته
 واحدة في كل احواله الدنيوية والاخروية . اما وهذه الرابطة " التي هي امر
 جوهرى " غير موجودة . ففي كل قطر من اقطار الاسلام بل في كل بلد بل في
 كل حارة من دعاة الضلال المدعين التفقه في العلم المشتغلين بالدين حرفة
 للتعيش الناصيين اشراك البدع والفتنة للاغواء على الرذيلة والانطواء لاحكام
 السفاهة المفسرين آيات الكتاب الكريم على ما تدعو اليه اغراضهم العالمية السافلة

الملقين عن الرسول " صلى الله عليه وسلم " من الاحاديث ما تروج به مصالحهم
وتقضى حاجاتهم ما تنوء تحت حملة الانسانية وترزح لثقله الارضون . وتمتز له
السموات جزعاً وينشق به قواد الفضيلة فرقاً " هذا ما اضل عقول المسلمين
وازاغ ابصارهم وخرق اهواءهم وغلبهم على ارادتهم وانزع من قلوبهم الرحمة وقطع
منها علائق الاتحاد والائتلاف حتى اصبحوا شديتاً لا يرحى جمعهم اذا استعصمحتهم
لا يجيبونك واذا هضمت حقوقهم واهنتهم استسلموا اليك صاغرين يرون لجهالتهم
ظلمات بعضها فوق بعض فيقولون نور على نور حتى اصبح المنصف العادل من
المسلمين لا يرى وجهاً واحداً للحكم بان هؤلاء من المسلمين الا اذا كفت
شهادتهم باللسان . هؤلاء هم المسوغون لاختواننا المسيحيين ان نعتونا بالتعصب وحبنا
هذه الكلمة لو كانت فينا بمعناها الحقيقي . لان التعصب لا يخرج عن حد غيرة
المرء على دينه ومحبتة له والدفاع عنه اذا اقتضى الحال . وأتمنى في هذا المقام من
الكلام لو كان الذين نعتوتنا بالتعصب من المسيحيين يفهمون ما يقولون لاننا
ما سمعنا ان احداً من عقلائهم قال بذلك وما سمعنا الا ممن يتضرر العقلاء
المتنورون من وجودهم مثلما تتضرر الفئة المتعلمة منا من جهلائنا الذين ذكرناهم

اما وقد يظن للعارف جهل المسيحيين والمسلمين لحقائق دينهم ودخول البدع
فيه وتقسيمهم بها ووضعهم اياها موضع الدين الصحيح فلا تعصب عندنا معاشر
المصريين بل هو جهل عم الكل يرمون به بعضهم مزبناً بحلى الدين والدين بريء
منه لانه من دعائم التوحش ومن دواعي الجفاء بين اهل الوطن الواحد لا توجد

() ويسدد هذه الضربات كساد اسواق العلم والعرفان بين عامة المسلمين بل في
الشرق على العموم بحيث لا يمكن ان يدرك افراد العامة شيئاً من الحقيقة بنظرهم او بجهنهم

المحبة حيث يوجد وتعالى الانسانية عن ان تحتل ارضاً يمثلها الجهل وتنف المصالح ان تحط رحالها في ابواب اصحابها

والأفلعالم الناس عموماً والمسلمون خصوصاً قواعد شريعتهم السمحاء واركانها الحققة لما جهلوا ولا جرؤ المصائب عليهم وعلى قومهم . كما لو عرف المسيحي الفرق بين لفظه تعصب ومغالات في الدين ما نعت اخوته في الوطنية بهذا التعت ولا تجاوز المقصود ورعى باوهام باطلة وافكار عاطلة . والاسلام ديانة تهذيب وآداب واخلاق مرضية . وهو الدين الذي يأمر اهله بالمعروف وينهاهم عن المنكر واساسه مكارم الاخلاق^(١) وهو سلامة وسلام لا مشاعة ولا خصام . اذا عرفنا هذا وعرفنا جهل عامة المصريين فقد بطلت اقوال القائل بالتعصب ومحقت مقترباته البعيدة عن الذمة والشرف . مادام ديننا يعلمنا ان من كان على نصرانته او على يهوديته فانه لا يرد عنها وان المسلمين دينهم والآخرين دينهم

والمطالع على التاريخ يعلم ان المسلمين والنصارى صلوا معاً في جامع الامويين بدمشق وجعل كل بينه وبين الآخر حاجزاً^(٢) مدة سبعين عاماً ولطالما أوثمن المسلم أخاه المسيحي على ماله واهله . وما وجدت الفتن ووقعت بواعث الجفاء بينهما الا في الازمنة الاخيرة لجهل الجميع بعرفة الدين ومقصده اذ طالما عاش الفرقان بسلام ومحبة وإلفة ووداد . ونحن ناشد كل مسيحي يرمي المسلمين بالتعصب بدمته وبقية ان يقول الحق ويعترف به . هل توجد بلدان تكثر فيها جمعيات التبشير مثل بلادنا المصرية فيها حرية التبشير والجماع الدينية ولا يعترض

(١) قال الفيلسوف أرسطو رينان " ان الاسلام هو اول نازح للحضارة في ربيع اوربا وان الفعل في هذه المدنية الحاصرة لهذا الدين الذي من اصوله حرية الفكر والارادة"

(٢) راجع تاريخ دمشق للقساطلي

عليها معترض مثل ما يفعل اهالي البلدان الاخرى حتى نفس المسيحية التي من
 مذهب مخالف لمذهب آخر هل يلحق بدعاة الدين المسيحي بالديار المصرية اذى
 او اضطهاد وحيث مثل باقي بلدان العالم التي كل يوم نسمع عنهم اضطرار حكوماتهم
 ان تدافع عنهم بالقوة والسياسة . أليس المرسلون يفعلون في مصر وفي جميع الممالك
 الاسلامية ما يشير النفوس ويحلب الظنون بنشراتهم وتعاليمهم . فهل بعد ذلك
 التسامح والتغافل يرمى المسلم بالتعصب ونفس الطوائف المسيحية هي التي تولد التعصب
 بعضها بين بعض ولا اختلاف المذاهب تلعن الطائفة اختها وتحرمها وتحكم بضلالها
 وكفرها " يرمون المسلمون بالتعصب لسبب اسلام شخص واظهار معتقده
 بالاسلام لاغراض ساقلة فتقوم الطوائف بسبب اسلامه ترمي الدين بما هو ربي
 منه ويتجادون في سب المسلمين والمسلمات بما هم براء منه ولو كان الذي اسلم حلاق
 دني او صبي صائم لا شرف عنده ولا علم . لا المسيحية تبكي عليه ولا الاسلام
 في حاجة اليه . الا يكفي حجة على خطأ امثال هؤلاء قولهم انهم اطلعوا على ما في
 الديانتين فرأوا انفسهم في خطأ فاتبعوا الصواب باسلامهم ولو سلمنا جدلاً
 وقلنا بصحة مدعاهم وانهم اطلعوا على الدينين واتبعوا ما اتبعوا فهل ذلك صحيح ؟
 والمسلم نفسه حاضره كما تقدم لا شك ان امثال هؤلاء هم من السفلة
 الفاقدي الرشد لانهم تركوا الدين الذي ولدوا فيه وليس من دافع لهم الاغرض
 في النفس . ويقولون اسلمنا احناً بالمسلمين . والدين لا يتبع حياً بالاشخاص بل
 حياً بحقيقة مبادئه وشرعه . فاین لامثال هؤلاء معرفة المبادئ والشرائع وهم
 المتبعون شرع اهوائهم بسوء التربية وسقم الادراك . والعاقل مسلماً كان او
 مسيحياً لا يهمة شيء من ذلك ما دام يعلم ان للاديان جميعاً رباً يحميها ان كان

حقيقة يرضاها والأقلام فلا دين محمد يعتز بنفري او نفرين ولا تخور همه دين السيد المسيح من ذلك. فاذا كان هذا من امثال هؤلاء الجاهلين يوغر دائماً الصدور بين الطوائف المتألفة منها الامة المصرية. ف نحن ننشر داءنا منهم ومما يجرونه وينسبونهُ للدين لعل الطوائف الاخرى تحذو حذونا وتشهد داءها وتطلب شفاءه من عقلائها والمآل كله لله فيثيب برحمته من يشاء ويعذب من يشاء وهو رب العالمين

حاضر اهل الطرق

والاذكار

قال الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي رحمه الله " ان الصوفي من يضع الاشياء في مواضعها ويدبر الاوقات والاحوال كلها بالعلم . يقيم الخلق مقامهم . ويقوم امر الحق مقامه . ويسير ما ينبغي ان يستر . ويظهر ما ينبغي ان يظهر . ويأتي بالامور من مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص اه . وقال المرحوم علي مبارك باشا رحمه الله في خطبه بعد ان ذكر ذلك " اقول فمن كانت هذه صفاته يستحق ان يقتدى به بقوله وفعله ونحن جميعاً نود ان تكون هذه الصفات لصوفية عصرنا المنغمسين في نعم خير بلادنا " اه . اما نحن فنقول حبذا لوردوا الى اصل دينهم بقوة القائمين على حفظ الشريعة ليرجعوا الى نقاوة في دين وطهارة في معتقد . والأفاحمة الرايات في هذا الزمن الأقوم ملئت نفوسهم بالتلاعب في اصول دينهم لينظروهم الغير وهم في "سياراتهم" التي تدور في الطرقات وامامهم "الزي منير" وخلفها جماعة اهل الاذكار واهل الطرق وهم مشغولون بالصياح والتصفيق فيعدون عملهم من

مباني الدين الاسلامي . والله يعلم انها اذليل عامية ما انزل الله بها من سلطان وترى الاجانب يعدون موكب الرؤية والحمل في مصر من اكبر الاحتفالات الدينية عندنا ويكتبون عنه في كتبهم وجرائدهم ما نخجل لو قرأناه

ويا ليتهم على ما تقدم متفقون بل اصبحوا وهم طوائف يضعون القوانين والمغالط ليعملوها مصابدا لاهل العقول المستضعفة ليعتر بهم خلل الخروج عن حالتهم التي نشأوا عليها واليك بعض اعمالهم في حاضرهم تقصه عليك لتعلم نفاقهم وكذبهم على الله والناس جماعة المتصوفة واهل الاذكار قوم خبيثا ولو كانوا بهاليل يغشون اطراف البلاد للتجرب بالافتراء على الدين الكذب وكسب حطام الدنيا بذكر الله ممزوجا بدق الدف وقرع الكاسات . يلي بهم الاسلام فاحدثوا فيه بدعة الجدل في العقائد وخالفوا الله ورسوله في النهي عن الخوض في القدر . يخدعون عامة المسلمين بهرج القول وزور الكلام حتى كان من فضلهم تفرقهم شيعا واحزابا فمن كانت طريقته رفاعية لا يميل ولا يصبو الى من عهده ييوميا ومن كان عهده احمديا يخالف من كان برهاميا وكل له اقوال يؤيد بها طريقته ويوهن بها طريق الآخر ولو كانت اوهاما لا نسبة لها بين اصول الدين الصحيح والحق الواضح . كلها يا للأسف اعمال مجلبة للغزي والعار تصيب سهامها الدين والمعتقد لو رآها الغير ومن الغريب انهم يرضون بتمثيلها عند الغير لمبلغ من المال . فيمثلون اركان الدين على زعمهم في اشنع صورة واقبح مثال ^(١) لتلك الجهل منهم وفشوه بينهم وكثرة جماعة البهاليل والكل مدع معرفة اسرار آلهية وهم في الحقيقة معتوهون ساقطو

(١) لا ينسى القارئ الذكر الذي كتب عنه المؤيد الاخر في منزل البارون او بنهايم فنصل المايا بالاستعميلية وكان حاضرا جماعة السياح نساء ورجالا واهل الطرق يرقصون ويقولون لترجمانهم ان عملهم هذا من اس الدين وقواعده

التكاليف الشرعية ودليل ذلك فيهم الرضى بالذهاب الى المعارض الاوربية^(١) بغية عرض خزيهم ووقاحتهم التي جروها على دينهم وأمتهم بفعالهم مثل رقصهم ودورانهم وانكسار الوسط منهم . واشكال ملابسهم التي يلبسونها مما لو رآها اي انسان لضحك واستغرق في الضحك من مراءهم اذ منهم من له زنار وحزام ومن له شعور كشعور النساء وييدهم العصي المضربة بالنحاس او الحديد مما يشبه كل الشبه لجماعة اخوة تبع السيد المسيح عليه السلام^(٢) وهذه الاذكار اصيحت مفسدة للاخلاق

(١) ذكرت جريدة عثمانلي التركية ان بعض الادياء من اهالي سوريا ومصر اتوا الى مرض باريس ودخلوا جنينة الحيوانات بهيئة دراويش يمثلون عوائد المسلمين وصلواتهم بطرق شنيعة مضحكة وكان الباريسيون يتقاطرون لمشاهدة تلك المساخر الجارة السخرية والهزء بدين الاسلام . فيا لله

(٢) كتب المسيو فيكتور شار يونيل مقالة في مجلة المجلات الانكليزية سنة ١٨٩٩ زعم فيها ان قانون اليسوعيين ونظام رهبنتهم منقولان عن بعض الطرق الاسلامية . ثم قابل بين نظامهم ونظام تلك الطرق وادعى ان انياس لوابولا مؤسس الرهينة اليسوعية (ولادة هذا الراهب في عام ١٤٩١ ووفاته عام ١٥٥٦ م) اخذ عن تلك الطرق ونسج على منوالها وانه سجن ابانما في سجن التفتيش لعدة الاسلام اه

فاذا صح ذلك ولا تخالفة الا صحیحاً ظهر معنا ان محاسننا التي كانت فينا ولم تكن في امة اخرى قبلنا قد ضيعناها ونسيناها بفضل رجال الطرق عندنا وفقهائنا . نعم ذلك صحيح فان الملتفت الى طنمة جماعة اليسوعيين يرى بعض الشبه لما لا يحالف سير وسلوك اهل الطرق منا والا فهذا البناء العظيم وذاك الاساس المتين الذي اتى بفضل سيرهم وسلوكهم على طريق نفيطهم فيه لا يبعد ان يكون بني على شبه ما بني عليه اهل الطرق بنايتهم قبل وكتاب مجاني الادب المجموع من شتات الكتب الاسلامية دليل فان كان هؤلاء اخذوا ما كان لنا وجروا عليه ونجحوا هذا النجاح الوافر فلم لا نرجع الى ما كنا عليه . ولم لا نبعد تلك الاضاليل والاكاذيب النافذة التي في مخيلة اهل الطرق والاذكار . ونبعد تلك الاقاصيص التي نقصها عن اوليائنا واهلينا وتبع سير من سلف حتى نتيج بعض النجاح الذي يهجه من هم ناقلون عنا واخذون منا

مجلبة للغزي والعار على أمة تأتي الضيم وتتفر من الأذى . والآنكى مما تقدم بيانه
ان الذين ينشدون عليهم الانشاد ينشدونهم من الادوار والمواويل الغرامية مثل
"عزيز حبك" (وكان عقلك فين) وهم كل امرد جميل افرغ على نفسه الحلل
المزركشة والثياب المعطرة

واغلب اذكارهم تكون في الموالد التي سيأتي الكلام عليها والتي فيها يستعمل
الحيل والبطالة والدعابة والمزاح وتفقد العفة والزهد والطهارة حتى ينعكس قول
ابو نصر السراج لصدده

ليس التصوف حيلةً وبطالةً	وجهالةً ودعابةً بمزاح
بل عفةً وفتوةً ومروءةً	وزهادةً وطهارةً بصلاح
وتيقنً وتصبيرً وتوكلً	وتذلً وتكرمً وسماح
فالى الصلاح غدوه ورواحه	والى الرشاد مساؤه بصباح

ولاهل الطرق والاذكار اوهام كثيرة وخرافات عدة منها ما ينسونه الى
الاولياء من الكذب والنقص كقول بعضهم ان السيد احمد البدوي "رحمة الله"
استنكف اخذ العهد من الشيخ الرفاعي وصعد الى السماء مؤملاً اخذ العهد من
الرسول "صلى الله عليه وسلم" فسبقه الرفاعي ومد يده اليه فتناولها البدوي واخذ
العهد منها ثم قابله الرفاعي عند نزوله وسأله من أخذ العهد فقال له من الرسول
"صلى الله عليه وسلم" فقال له اتعرف اليد التي قبضت عليها قال نعم فد يده
اليه قائلاً . أمثل هذه اليد فلما تأملها البدوي كظم غيظه

ومنها ان في الركن الحراب مقاماً للسيد احمد الرفاعي "وانه موكل بالحيات

(١) الحقيقة ان مقام السيد احمد الرفاعي في ام عبيدة بالعراق في لواء عمار . رجم اخيراً

على نفقة جلالة مولانا السلطان عبد الحميد يبلغ ٣٨٣٧١٢ قرش

والثعابين وسائر الهوام الى غير ذلك من الكذب والافتراء الذي يسوءنا ذكره. هذا
وما يحسن نقله عن جريدة "مصباح الشرق" الأغر على ذكر الثعابين ان المرحوم
الشيخ البكري الكبير كان جالسا مع الشيخ الغلبان امين الفتوى والشيخ علي الدرويش
شاعر ذلك العصر واسماعيل افندي الخربتاوي من الادباء فخرج عليهم ثعبان ففرعوا
منه فقال لهم الشيخ كيف تفرعون من ثعبان وانتم في حضرتي وكان الخدم قد
عاجلوا على الثعبان فقتلوه فقال له الشيخ الدرويش "ان الثعبان لم يخش جدك في
الغار وبقي أثر ذلك فيه وفي ذريته" فتمنح الشيخ البكري وضحك الحاضرون.
ومن اوهام مشايخهم انهم "التموا" بعض البلاد وصار كل صاحب طريقة منهم
لا يقول بقبول ذكر الله في البلد الذي هو فيه الا اذا كان على طريقته. اذ كر مرة
انه لما كنت في بوستة قلوب اقيمت حلقة ذكر وذكرت جماعة بطريقة البيومية
فجاء شيخ كان جالسا عن بعد وبه القوم لكي لا يذكروا الا طريقة الرفاعية فوقع
الخلاف بينهم حتى كاد يصل الى ما لا تحمد عقباه لولا توسط نجل سعادة الشواربي
باشا في المسئلة فانتهت بسلام. ويذكرون ويأتون في المساجد كل ما هو منهى عنه
حتى باتت المساجد مثل حانات او ملاهي لعب ترتفع فيها الجلبة والصياح عدا اتيان
التقائص التي لم تكن تعرف قبلا وهم بما يأكلون من لب البطيخ والقرع
وما يلقونه من قشور الترمس وجذور الكراث وفتات الخبز يصير بعضها كأنه
مستودع للزبالة ونحن ذاكرون في عجالتنا هذه قول علماء المذاهب الاربعة نقلًا
عن جريدة "الحياة" الغراء عدد ٢ سنة ٢ قالت

استفتى بعضهم في سنة ٦٦١ للهجرة علماء المذاهب الاربعة الاستفتاء الآتي
"ما قول السادة الفقهاء ائمة الدين وفقهاء المسلمين وفقهم الله لطاعته واعانهم
على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا المسجد وشرعوا يصفقون

ويشطحون فهل يجوز فعل ذلك شرعاً افتونا مأجورين يرحمكم الله

فقال الشافعي

السمع هو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله اعلم

وقال المالكية

يجب على الحاكم زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله اعلم

وقال الحنابلة

فأعل ذلك لا يصلي خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه ان كان حاكماً وان عقد
للنكاح عقداً فهو فاسد والله اعلم

وقال الحنفيّة

لا يصلي على الحصر التي يرقص عليها حتى تغسل والله اعلم

ذلك حكم الشريعة الفراء في اهل الذكر وارباب الطرق منذ ست مئة سنة
فما قولك الآن بعد مضي نصف وسبع مئة سنة أخرى لاشك ان الحالة اسوأ من
ذي قبل . ونذكر الابيات الآتية من قصيدة لابي بكر المقري التي قالها قديماً ولكنها
تنطبق على من ذكرناهم ايضاً حديثاً وهي

اضحيت مساجدنا للهو واللعب
بضرب دقّ ولا زمر ولا قصب
صوتاً لها ولنا من هذه اللعب

برغم سنة خير العجم والعرب
ما كانت صلى عليه الله يأمرنا
بن سد عن مزمر الراعي مسامحة

ومنها

وهي المصونة كالحانات للعب
فعلتم فيه فعل النار في الحطب
لكل ذي ملة من قوم كل نبي
ولا يملكه نقد الخشب
ولا الى عملو تزري بذي حسب

فضحمتونا وصيرتم مساجدنا
توسّتم الدين غيرتم محاسنه
صيرتم دينه هزوا ومصحكة
هيئات والله ما في دينه عوج
ولا دعانا الى شيء بباب به

ومنها

سألتكم بالذي لا تكفرون به والطائفين بيت الله ذي الحجب
 هل استدار حوالي احمد خلق فيما مضى من ذوي الاسلام والصحب
 وقام فيهم مغنيهم كمثلكم للضرب بالدف والتزمير بالقصب
 تالله انهم لو رجعوا الى الحقيقة من دينهم لكان عملهم هذا السخري يتحول
 الى عزة وجنونهم المشاهد وهزلهم المرئي الى حكمة وعلم

الفقراء والموالد

قال المرحوم علي مبارك باشا في خطبه ان الموالد التي تعمل في السنة في
 مدينة القاهرة وضواحيها ما يقرب من الثمانين مولداً موزعة على اشهر السنة هكذا

٧ في شهر شوال

٥ في شهر القعدة

١٠ " " ربيع اول

١ " " ربيع ثاني

١١ " " جماد اول

٧ " " جماد ثاني

١٠ " " رجب

٢٨ " " شعبان

منها موالد سلطانية كبيرة ومنها بسيطة قاصرة على احياء ليال بسيطة
 ولقد بين رحمه الله اسماء اصحابها فمن اراد احاطة العلم بها فراجع الجزء الاول
 وجه ٩٠ من الخطط المشار اليها

وبعض هذه الموالد يلزم زمته وشهره العربي الذي يعمل فيه ولا يتحول
 شتاءً وصيفاً فتارة يكون في الشتاء واخرى في الصيف هذا بخلاف ما يعمل منها

في بلاد الارياف مما لا يعلم عدده إلا الله. وفي الموالد تكثر الحركة ويكثر الاخذ والعطاء والسلام والكلام لما يأتيها من الخلق الكثير من كافة البلدان كمولد النبي "صلى الله عليه وسلم" ومولد سيدنا الامام الحسين "رضي الله عنه" والسيدات والامامين والعقبي والشيخ يونس بمصر وكبار الاولياء كالرفاعي والبيومي وغيرها وفي الارياف كمولد السيد احمد البدوي^(١) وسيدي ابراهيم الدسوقي^(٢) فلذا يكثر فيها فعل الموبقات من سرقة وخطف وشرب المسكرات وتعاطي المخدرات اذ تجار المسكرات "السيروتو" يجتهدون في عرض مسكراتهم ويجيبون اليهم تعاطيها باية واسطة كانت حتى انهم يعلنون عنها في الجرائد السيارة^(٣) وبسبب الموالد يخترق العوام حدود الدين ويهددون حصونه بترهاتهم الكاذبة. يذكرون الله بألسنتهم ويبارقون النساء المارة النظرة بعد الاخرى وافواهم ثقبيل صغار الاحداث بينهم والمنشدون يجرئونهم على امرهم ويزيدونهم حماسة في ميلهم بنشيدهم (اذا امتنع بوس الحدود) (وكان عقلك فين). وبديهي ان اكثر من تمانين في المئة من زوار الموالد مسوقون اليها بقوة الاعتقاد في اصحابها ولذا من عاقه عائق يمنعه عن الزيارة يتشاءم جداً من قطع عادته ويتوقع شرًا. وهذا الاعتقاد القوي لو وجد له من يستطيع ان يستخدمه في طرق الخير كل سنة لكانت الموالد كلها بركات على اهل القطر كافة

(١) ولد سيدي احمد البدوي في مدينة "فاس" بالمغرب سنة ٥٩٦ هجرية وقدم مصر من الحجاز سنة ٣٧ - وادركته الوفاة سنة ٦٢٥ بالغاً من العمر ٧٩ سنة ولقد بلغ عدد زوار مولده سنة ١٩٠١ زهاء التمامة الف زائر

(٢) وبلغ زوار مولد سيدي ابراهيم الدسوقي في السنة المذكورة مائتين وخمسين الف زائرًا

(٣) واليك صورة اعلان منهم

ولكن من الاسف ان هذا الاعتقاد في نفوس العامة كله خيالات باطلة
واوهام ساقطة تجعلهم يرقبون الاولياء ويخشونهم اكثر مما يرقبون ويخشون الله
ومثل هذه الوهام التي ترسخ في الازهار الى هذا الحد تضر غالباً
بالاخلاق وتبعدها عن أس المعتقد الصحيح . ونموذج الفضيلة والكمال الادبي .
وهذه الموالد السلطانية التي هي مجتمع لاصناف الناس على ازياء شتى ومقاصد
متنوعة اكثرها مضرٌ بالاخلاق والآداب بما لا يتصوره عقل عاقل . من خلط
اوهام بحسن اعتقاد وفساد نية مع سذاجة اخلاق وطباع
نسأل الله ان يبعث من يجدد للعامة دينهم ويشقف عقولهم ويحول بساطتهم
ووساوسهم الى عقائد حسنة يصلح بها اخلاقهم وآدابهم ففي ذلك فوز عظيم لهم
ونجاح باهر اذا تحقق امره . والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء . وهو على
كل شيء قدير

الاعياد والفقراء

البعج الايام واجملها ايام الاعياد . اذ تكثر فيها اسباب الهناء والالفة .
وتروج فيها سوق الهبة والعشرة . بعد اداء فرض اكرام الرب . وسنة توثيق عرى
المودة بين ابناء الجنس . يخلد فيها المرء الى الراحة بعد التعب وتروح فيها النفوس
بعد عناء الاشغال ولا غرو فالاعياد يلبس فيها الجديد وتزين فيها النفوس بشوب الزينة

(صورة الاعلان المشار اليه في الوجه السابق)

سيحتفل محل سبتية بار امام المحطة باحياء ليلة باهرة احتفالاً بمولد سيدي الاستاذ
المدبولي وقد زين المحل بانواع الزينة ومنقام الالعب النارية من الساعة السابعة مساء الى
الساعة الثانية عشرة وذلك مساء يوم الجمعة اي ليلة السبت . وقد احضرت مشروبات من
احسن نوع وعلى كل ستكون هذه الليلة من الطيف الليالي والبهجها . فسطدي نعوم

والاعیاد عندنا معشر المصريين كثيرة جداً ولا يكاد يمر شهر من دون عيد عند طائفة من الطوائف المتكونة منها الامة المصرية . ولكن لتعدد المذاهب المسيحية لا يعلم ابن طائفة بعيد ابن طائفة أخرى وكثيراً ما يعيد احدها الآخر فيسمع منه قوله ان العيد ليس بعيد . وكأنه يلزمه عند مصاحبه لصاحب ان يعلم مذهبه ايضاً حتى لا يقصر في معايدته ابان عيده ولهذا فالاعیاد المسيحية تمر ولا يدري بها أغلب المسلمين حتى واغلب ابناء الطوائف المسيحية ولذا لا بهرجة للاعیاد ولا تأثير لها مع كثرتها ولا تزاور ولا تواصل فيها وان علم شيء من واجبات الاعیاد فاعیاد المسلمين في مقدمتها . يذكر الصديق صديقه الغائب عنه والاخ اخاه النازح عن بلاده والمرء اهله وذوي قريبه . فتبادل رسائل الود والهناك حاملة ارق العواطف واحر الاشواق واخلص الادعية واذكى التحية . ولكن الزيارات الشخصية متعذرة عليهم جميعاً كأن كل فرد منهم في بلدة او في مكان بعيد وليسوا عائشين في بلد واحد لاستبدالهم عوائدهم القديمة بعوائد وسنن الغربين من ارسال رقاع الزيارة اشارة الى المعايدة تقليداً للافرنج في اعيادهم ولو كانت المعايدة على هذا النسق اقل شعوراً بالواجب في ايام ما اصنى مسراتها وابهج حفلاتها هذا قولنا بالاجمال عن الاعیاد بين الامة المصرية واغلب ما ذكر معمول به بين الطبقتين العليا والوسطى . اما الفقراء المقصودون بالذات والذين هم تقريباً كل الامة . فلا يعرفون شيئاً عن الاعیاد ولذا لا يعاؤون بها ولو كانت تمر عليهم تباعاً فاغلبهم ينتهزون فرصتها للانغماس في المذات والشهوات واعطاء النفس مشتهاها من انواع المجون والانكباب على المسكرات والمخدرات ومحلات الفحش والبغي والعقلاء منهم يسكنون مدة ايام الاعیاد في " القرافات " بين الاموات وقليل منهم من يعرف الواجب منها فيتبادل مع اهله واقاربه وصحبه عبارات

المودة والاخاء مما يدعو الى توفير اسباب الالفة . غير ان الدلائل دلت في هذه السنوات الاخيرة على ان الامة بدأت تدخل في دور اليقظة وتعلم فضل الاعياد المليئة كما بدأت تعرف فضل الاعياد الوطنية فتحياها وتسربها وتشارك العناصر المؤلفة منها الامة المصرية باحتفال عيد سمو مولانا الخديوي المعظم . مما يدل على ان الاعياد في مستقبل الايام ستظهر بمظهر الابهة والجلال وتأخذ معناها الصحيح المقصودة به . وما احلاها اذا كانت الالفة موطدة والامن معززا والرغد ناشرا لواءه والسلام ضاربا اطنابه والجميع عائشين في ظل الرحمة والعدالة مرتبطين بعري المحبة . كما يعيش الآن المصريون في ظل خديويهم المحبوب اطال الله عمره واعلى في الخافقين بنوده وعزز كلمته

سهر الفقراء

كان الفقراء لا يعرفون السهر قبلاً الا في بعض ليالي الافراح او المآتم وكان جل سهرهم قبلاً في بيوتهم او في بيوت جيرانهم بين نساءهم واولادهم يقضون ساعات السهر بسماع قراءة القرآن الشريف او بالافتكار في حل الحوازير او سماع الحكايات . والبحث في الحوازير هذه ملة مفيد لانها مدعاة لاحثك الفكر فيهم ومجلبة لتولد النباهة بينهم والحوازير كالانغاز والاحاجي تكون في الأكل او اللبس وغير ذلك ولا ضرر منها عليهم اذا انتهت من غير كدر بل نفعها عظيم في صرف وقت السهرة في ضحك وسرور^(١) . اما الآن فقد تعود الفقراء السهر

(١) منها سؤال - ان كنت حديق ولبق وتعرف الذوق تفسر الجلد من جواً واللحم

من فوق - جواب - (قنصة الفرخة)

ومنها سؤال - شيء مسكنه من ايديه بخلق لي عينيه - جواب - (برقع)

ومنها سؤال - شيء قد التمنمة يجيب الخليل ملجمة - جواب - "الكتابة"

في القهاوي البلدية وتركوا عاداتهم هذه لسماع القصص من القصاصين او لسماع الرباب من الشعراء الكذابين الذين يقصون عليهم قصص زناة^(١) وسيرة بني هلال وقصة سيف بن ذي اليزن او السلطان حسن^(٢) او "دون جوان"^(٣) او لسماع الاغاني التي يسمونها "الصهباء" في قهاوي الحشيش ومحال المسكرات او الفرجة على الرقص في مجالس الخناء والفجور على افطع انواعه من الحركات المردولة على جملة معان. وهذه تزرع في نفوسهم التأثيرات السيئة وتوجد في اميالهم واخلاقهم شيئاً كثيراً من المضار والمعائب وبالاجمال ان سهر الفقراء مضر بهم جالب

(١) غاية ما يعرف من مطالعة التاريخ عن جماعة (زناة) انهم كانوا قبيلة من اعظم قبائل افريقية لبويع كتيبتها سعمائة وخمسين فارساً . التجأ اليهم الامير عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الأموي من ذبح السفاح فقابلوه بالترحاب ودخل مدينة استبيلية وبقرطبة الرئيسان من طرف العباسية يتنازعان قيادة العسكر والسلطنة . فلا يبعد ان تكون قصة زناة هذه وضعها القصاصون لان في زمن هذين الرئيسين وقعت حرب ظفر احدها على الآخر وبايعه اهل اسبانيا سنة ٧٥٦ للميلاد وتبع من ذلك الوقت انفصال الخلافة المغربية عن الخلافة المشرقية ببغداد . كما يعلم ذلك المطلع على تاريخ الاسلام

(٢) لا يبعد ان يكون السلطان حسن هذا هو الذي تولى سلطنة غرناطة سنة ١٤٦٥ ميلادية وقد كانت معروفة بالتجارة وحب الوطن ولورماه اهل غرناطة في زمانه بالكبر والقسوة وتغلب حب جارية نصرانية على عقله واخياره ولدها لان يكون خليفة دون ولده ابي عبد الله ابن السلطان زوريا . ومن المأثور عن السلطان المذكور ان ملك مملكة نواره والوارث لمملكة اراغون اللذين كان لهما التصرف في الممالك الملات طلب من السلطان حسن الجزية الذي كان والده يؤديها . فأبى قائلاً للسفراء اذهبوا فقولوا لاسيادكم ان غرناطة ليس لديها ذهب بل حديد لاعداها تم دم مدينة زهرة واخذها سنة ١٤٨٠م وبعدها التهب نيران الحرب الداخلية الى ما جاء في كتب التاريخ والسير والله اعلم

(٣) غاية ما يعرف عن "دون جوان" انه كان رجلاً قائداً نساوياً حضر الى حمن جوليطة بعد واقعة لينته فاخذ تونس بلا ممانع ونأى عنها سنة ١٥٧٢ ميلادية ولعله هو المذكور في القصص التي نقرأها العامة

الشقاء عليهم في معاشهم ومعادهم اذ لا يخفى ما وراء السهر من فقدان القوة خصوصاً
للفقراء الذين هم في حاجة اليها في صنائعهم وحرفهم . والذين لا يمكنهم النوم نهاراً
بل ملزومين بالكور على العمل وليس مثلهم كمثل الاغنياء الذين ينطبق عليهم
قول القائل

ينامُ الفتى حتى اذا يومه استوى تبه مثلوج الفؤاد مورما

الفقراء والمسكرات والمغيبات

لا يمنع الفقر والاعسار الفقير من تعاطي المسكرات بل الفقراء اكثر من
الاغنياء في تعاطي الخمر ما دامت معامل الخمر كثيرة . والشيطان قد اضل الفقراء
بالمسكرات فقد استولى فيها عليهم الشر والمرض وهي معهم لا تدر شيئاً من الامل
يرجوه لهم مشفق عليهم . فلا تعجب يا من هداه الله واجتنبت الخمر من اشقائك
في الانسانية وقد اوقعهم الشيطان في معاطب المسكرات والمغيبات يتعاطونها طوراً
بجلاوة وطوراً بمرارة واوجد فيهم تخيل انبساط في الاولى ولذة في الثانية فاصبحوا
لا يبالون بما ينشأ عنهما من الاضرار ما داموا فيها كليها صريعي نشوات الغي
يعطلون صفايا اعمارهم لامر الشيطان وهو وليهم يحثهم ويشوقهم منه الى ذلك
يا أمرهم بترك الجد واتباع الهزل فيصدعون بالامر ويسيرون باقدامهم في طريق
احزانهم اعوان الشيطان يرمون بصرهم نحو حانات الخمر ومعاملها الكثيرة فيروا
من الوسائل التي تسهل عليهم تعاطي الخمر بل تجرع السم شيئاً كثيراً في مخازن
اعدت لهذا الغرض يسمونها " المعامل " داخلها (خبايا) براميل الالكول
(الاسبرتو) والوسائل فيها اما احمر " وهو الكونياك " واما اسود وهو (الروم) واما

بين ذلك وهو (الويسكي) يحلون مرارته بشيء قليل من السكر ويعطرون رائحته بشيء من الارواح الطيبة يملأون الزجاجات الكبيرة منه بالثمن القليل فيشربها السكير الفقير بقليل من الدراهم متوهماً انه يشرب خمر طيبة مثل التي يشربها الاغنياء . فيحرق كبده ويذبل انضارة شبابه ويفسد دمه ودم سلالته ويسلب حياته بتقصير عمره واقلاق راحته بالسقم والاصاب وجهل الفقير بفائدة الحياة ولذة الصحة مهدي مع الشيطان تلك المعامل مرشد اليها

ومن مروجات باعة الخمر انتهاز الفرص لشهرة خمرتهم ومعاملهم . فاتمَّ حرب الدولة واليونان الاخير . الا وتم عمل كونيالك (ادم باشا) . كما انه ما تم حرب السودان الا وتم عمل ويسكي (كتشنر باشا) . ووضعوه في القناني عليها صورة من ذكرنا . وهي نياحة وسياسة عقلية لجر المنعم الكثير من الفقير العسير . حتى لا يكون محور كلام الشاربين الا على الحرب ومهارة القائد الذي يشربون خمره . ولا يخفى اتساع باب السياسة سياسة حفظ الوقت عند الاوربيين وسياسة ضياع الوقت عند المصريين فمع الاخذ والعطاء في القول لا يقوم احد هم الا وينطبق عليه قول القائل

وكل شيء رآه ظنه قدحاً وان رأى ظل شخص ظنه الساق

في مثل هذا الطريق يتعاطى الفقراء المسكرات ولهم خلاف مشروب الخمر مشروب (البوظة) وهي كائنة ايضاً في محال حقيرة رطبة وكثيرة العدد تلغ في مصر وحدها اثني عشرة بوظة اهمها ما كان في بولاق يشرب فيها الفقراء الى ما يوصلهم الى درجة السكر . اما المغيات فمن اهمها الحشيش الذي له قهاوي عديدة والحشيش هو عصارة نباتية من نبات يسمى بالقنب الهندي وهو نوع من التيل تاريخه في المشرق قديم وقد ذكر المؤرخ الشهير المقريزي ان الذي اكتشف هذا

الذبات شيخ من الفقراء اسمه (حيدر) اكتشفه اتفاقاً وأكل من اوراقه فحصل له نشاط وسرور فاخبر اصحابه به فاخذوا من اوراقه وأكلوا فحصل لهم من السرور والطرب ما حملهم على كتمان امره وصيانة سره عن باقي الفقراء . وقال لهم ان الله خصكم به ليذهب همومكم الكثيفة ويحلوا افكاركم وامرهم بزراعة حول ضربيه بعد وفاته سنة ٦١٨ للهجرة . وكان قد اوصى اصحابه ان يوقفوا ظرفاء اهل خراسان وكبرائهم على هذا النبات فاعلموهم بسرهم فاستعملوه وشاع امر الحشيش في بلاد خراسان وفارس ثم حمل الى العراق والشام ومصر . هذا غاية ما يعلم من امر تاريخ الحشيش . والحشيش محرم شرعاً بلا نزاع . ولقد افتى الامام المزي تلميذ الامام الشافعي رحمه الله بحرمانه على مذهب الامام الشافعي (رضي الله عنه)

ومما يذكر من نوادر الحشيش ما جاء في كتاب خلاصة تاريخ العرب من ان رجلاً يسمى حسن الصباح سافر كثيراً وتبحر في العلوم وعرف فرق الدين الحمدي اخذ في القرن الحادي عشر من الميلاد يعظ الناس ويحثهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن انه قريب من مذهب (الكرمانية) فتبعه خلق وجموع ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن (حصن الموت) المشيد على هضبة قرب قزوين فلقب بشيخ الجبل واعلان العداوة للمسلمين والتصارى ورأى نفسه بمنزلة الاله الثاني الذي شغله الاقتصاص من الظالمين للمظلومين ونفذت اوامره فبين معه . فكان اذا امر بقتل احد منهم يادر بالقائه نفسه من شاهر الجبل على أسنة الرماح او طعن بطنه بخنجر او امر بقتل احد من غيرهم يادروا بقتله ولو وزيراً او سلطاناً او خليفة عباسياً . اخبر قومه ان شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس - فكانوا كالبهائم بسبب السكر بالحشيش مستعدين لارتكاب اكبر الجرائم - ولذا ساهم المؤرخون بالحشاشين لا بالحساسين اي

القتالين كما زعم الاقربنج - وأذن لهم في النهب فنهبوا وجالوا باساحتهم في الشام حتى بانوا جبل لبنان وبنوا في الشام اماكن حصنة ونهبوا جميع القوافل التي تمر بارضهم وقطعوا الطرق وملكوا في غرة القرن الثالث عشر من الميلاذ كثيرا من المنازل في العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة والى ميلادية بالعراق الفارسي فذل الملك شاه عزائمهم في اعدامهم فلم يبالوا بذلك . بل يقال ان نظام الملك الذي كان الوزير الاعظم لهذا السلطان قتله اعدم لشدة تعصبه وغيرته على مذهبه الديني . وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة مخلصاتهم وادمان مشاجرتهم مع اهل السنة (١) ونحن نذكر ذلك وهو غاية ما وصل اليه علمنا ومن شاء زيادة معرفة اصل الحشيش وتاريخه فليراجع ما كتبه المؤرخون الثقات بحمد المجال فيها متسعا والحشيش تأثيره يقرب من الافيون بالنسبة لفعله السام ويزيد عليه انه يحدث التسمم بالتدخين او الاستنشاق فاذا دخنه شخص في السجاير او في النرجيلة او وجد في محال تدخينه فاستنشقه حصلت له اعراض التسمم بدرجات متفاوتة يعلمها الاطباء . كما يعلمها من شاهد الفقراء الحشاشين في مصر اذ هو المتصف بانه المجلب للخفاة بالتدرج واصفرار الوجه والجسم وارتخاء الاجفان واحتمقان العينين حتى لا تعمل الضوء . كما انه يكثر السعال وتنتهي حال شربه بالبله وضياح الاحساس والعمر . فلذا قل جدا المعرون من المدمنين على تدخينه . والحشيش بين الفقراء علة متأصلة فيهم تذهب بنضارة شبيبتهم وبشاطهم ونفع البلاد المرجو منهم . فلذا هو آفتهم وعلتهم الكبرى التي دونها علة الخمر . واقدام الفقراء

(١) راجع وجه ١٣٨ من كتاب خلاصة تاريخ العرب للاستاذ (ستيد) المترجم

على تعاطيه ناتج عما يجدونه فيه من الفرح والانشراح عند حلول الكدر والكآبة
فتراهم يدلون بعضهم البعض بالاقدام على استعماله في التراجيل حتى يزول ما بهم
من الاسف والاسى وجهلهم بجرمانه سبب ثانٍ لاقدامهم على تعاطيه اذ في
امثالهم - ان الحشيش لا يمنع ولاية - ولو كان مخالفاً لما بيناهُ فيما تقدم الا ان
الاقنداء والجهل العام بينهم المنتشر فيهم جعلهم عمياً عن معرفة حقيقة ما يضر وما
ينفع . وتكاد تكون النفس ميالة فيهم الى تعاطيه بكمية تزيد كل يوم حتى يشتهروا
على زعمهم بإمكان حل المشكلات وايجاد سرعة الخاطر بالتكلم بالالفاظ
وبالنكت المضحكة التي تضيع الزمن بحيث لا يشعرون . واقد جرب مفعول
الحشيش كثيرون من العلماء وكتبوا عنه وحكموا بضرره وانه سبب مهم لافساد
نظام الصحة وتعيب الجسم والعقل والامراض العاصية "زيادة عن الامراض التي
تبتلي بها الفقراء والحكومة المصرية تمنع دخوله وتفرض العقاب الشديد على من
يجر به او يسهل على الناس تعاطيه في القهوي ولكن جماعة الحشاشين لم

(١) تناول بعضهم مقداراً كبيراً من الحشيش بقصد التجربة العلمية ولما انقضى فعل
الحشيش به وثاب اليه عقله وصف ما شعر به في اثناء فعله فقال
تمكنت الهواجس من نفسي ثم جهلت تحل قيودها وتنهال على عقلي انهبال السيل وتشكل
في اشكال هندسية بالغة حد الاعجاز في احكامها والوانها وكانت هذه الاشكال تمر سراعاً
امام بصيرتي حتى يتمذر عليّ وصفها وصار رأسي اتوناً تبعث النيران منه وتنفزع نجوماً لم أر
في حياتي ما يشابهها في بهاء الوانها وشدة اشراقها وضع مني حكم الزمان فلم ادر افي دقيقة
حدثت تلك الحوادث ام في مئة عام . واستولت عليّ الكآبة كأن قديمي غارتنا في الارض
وغرقت فيها الى الخناق لثقل ما علق فيّ برجلي من الانتقال ثم وجدني صرت خفيفاً
كالاسفنج فامسكت شجرة كانت بجانبى اكنى لا اطير في الهواء ثم اخذ جسمي يرتعد كأن
مجري كهربائياً جرى فيه وشمرت كان طوقاً من الحديد طوق رأسي وضغطه حتى كاد
يسحقه فاعغمي عليّ من شدة الالم . وحتى الساعة ترتعد فرائصي حينما أفكر بما كنت فيه من

منتهى البراعة في جلبه من الخارج ومنتهى التفنن في تعاطيه من غير ان يشعر بهم احداً^(١) وهم يتعاطونه ضمن المعاجين والملبس وغيرها او قد يذهبون لتدخينه في الجهات الغير مأهولة بالسكان مثل جهات مدافن الاموات البعيدة عن نظر رجال الضبط . وترى شاري الحشيش مع هبوط قوتهم وارتخاء مفاصلهم يهرعون الى محال شرب الحشيش . وامت لو كلفت احدهم بامر من وراءه نفع له لا يقوى على عمله ويعتذر بضعفه . واكثر اقدام الفقراء لتعاطي هذه الاشياء المسممة لاجسامهم يكون في الايام الاول من ايام الزواج . فانهم يوصون بعضهم بعضاً بأخذ المقويات للجماع من مثل المعجون المسمى بدواء المسك والمعجون الهندي والرومي

العذاب . ولا يقاس رعي حينئذ الا برعب من رعي من حالق أو ربط بالسلاسل ووضع تحتة الحطب واضربت فيه النار وحسبت ان الحالة التي كنت فيها لا تنقضي مدى الدهر فاستولى علي القنوط ووددت ان اترك نفسي وفرغ منها لانجو من هذا العذاب . ثم شعرت كأنني أخذت أطول بسرعة حتى علوت فوق الاق و نطح رأسي قبة السماء وانقطع فعل الحشيش فتاب الرجل الى نفسه وعاد الى بيته . وبعد قليل خرج منه فعاوده فعل الحشيش وقال في ذلك . شعرت كأن جدران الكون انبسطت حولي وصدرت اصوات مطر بة ازالنا في نفسي من الغم والخوف وفتح امامي فردوس النعيم ونخست في بحر من البهجة والخبور جسداً وعقلاً ونفساً وطفح الحب والسرور على نفسي وبعد ساعات قليلة اخذت هذه المناظر نقل وضوحاً وشعرت بجموح شديد فدخلت فندقاً اكلت فيه كل ما قدم لي من الطعام وانا احسبه ألد ما ذقت في حياتي . ثم عدت الى مخدعي وانطرحت الى سريري فتمت الليل كله ونهضت في الصباح ولم يبق من تأثير الحشيش سوى اصفرار وجهي وتعب جسدي ، الاسف على ما فات اه (مقتطف جزء ٩ سنة ١٨)

(١) جاء في تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٠ م بلغ كل الحشيش الذي ضبطته مصلحة خفر السواحل في القطر المصري ١٣٥٥٥ كيلو غراماً والذي ضبطه البوليس ١٥١٦ كيلو غراماً والذي ضبط في الجمارك ٥٠٤ كيلو غراماً والمجموع ١٥٦٢٥ كيلو غراماً فهو يزيد عما ضبط سنة ١٨٩٩ م ٦٤٧٧م كيلو غراماً ويزيد ٥ اطنان عما ضبط في اي سنة من السنين السابقة

والجراوش والمنازيل الاخرى التي منها الباهنج المستعمل في الهند والجانجاء التي تستعمل على هيئة سجائر في بلاد كالكتنه والشيرة التي هي مادة راتجية مختلطة مع اوراق الحشيش وغير ذلك من الاصناف العديدة

هذا وكهول الفقراء يتعاطون الافيون المحتوي على المورفين الذي قد يحدث الهلاك لمناسبة انه من المواد السمية . وعلى ذكر الافيون يدعون من يتعاطونه منهم انه غير مضر بسبب انهم يتعاطونه من زمن مديد ولم يسهم بسوء . اللهم الا ما يوجب الكيف وهم يجلونه ويحرمون الخمر ولعمر الحق ان الشيطان يزين لهم اعمالهم ويزيدهم طغياناً حتى يسوقهم الى اسبتالية المجاذيب ومن اوضح الادلة على ما يصيب الفقراء من كثرة الضرر لتعاطيهم المسكرات والمغيبات وما يجاب على نفوسهم من التعاسة والويل وضروب الحسف وجهد البلاء ما نذكره من المخازي للعشاق الاحصائيين عن قوم يتعللون من فرائس الجهل الذي هم قائمون فيه رجالاً ونساءً على اسوأ ما يتصوره الخيال من سوء الحال مما يستدعي بكاء الحجر الاصم نذكره نقلاً عن تقرير اسبتالية المجاذيب الذي عمله جناب المستر ورنوك مدير الاسبتالية المذكورة في سنة ١٩٠٠ م قال

قد بلغ عدد الذين دخلوا الاسبتالية المذكورة من الذكور سنة ١٩٠٠ م ٤٥٤ وقد تبين ان ١٢٥ منهم جنوا من تعاطي الحشيش وان ٢٧٤ م ايضاً خرجوا في السنة المحكي عنها مع انهم لم يزالوا مرضى لايجاد محلات لمن هم في اصابات عظمى عنهم . وفي التقرير المذكور بين جناب المدير عدد الموجودين في الاسبتالية من المجانين الغاية آخر سنة ٩٩ م وبين اجناسهم واديانهم فقال بعد ان شكى كثيراً من ضيق المحلات

عدد هم بالنسبة للحرف		عدد المجانين واجناسهم واديانهم	
عدد	وظائف	عدد	الجنس
٩	علماء	٤١٣	مسلمون مصريون
٠٣١	كتبة	١٤	انراك
٢٥	معلمون وتلامذة	١٧	برابرة
٢	تجار	٣٥	سودانيين
١٥	عساكر بوليس وتراجمة وخفراء	٣	احباش
٨٩	فجاريون وحدادون وقاشون	٠١	هنود
٢٢	بناؤون وسقاؤون وغامون	٠٣	مراكشيون
٢٩	خدم وساقه ومكارون	٢٥	اقباط
٥٩	مفتون وشحاذون وباعة	٢٥	احباش قبط
١١٩	حرف مختلفة	١٩	سوريون
		٠٢	فرانسويون
		٠٧	طليانيون
		٠١	مالطيون
		٨	يونانيون
		٠٢	انكليز
		١	نمساويون
		٠١	سويسريون
		٤	ارمن
		٢	اسبانيول
		١٩	يهود

عددهم بالنسبة لاسباب الجنون

	المجموع	ذكور	اناث
حشيش	٢٠٥	١٨٧	١٨
الكحول	١٦	١٢	٠٤
داء الزهري	٣٧	١٩	٠٨
" السل	٠٢	٠٠	٠٢
" الصرع	٣٩	٢٩	١٠
قلة غذاء	١٣	٠٦	٠٧
حمى تيفوئيدية	٠٣	٠٢	٠١
اغشاء	٢٤	١٥	٠٩
نزيف دموي	٧	٠٧	٠٠
بالوراة	٢٩	٢٤	٥
جنون دماغي	١٠	٠٧	٠٣
تقدم في السن	١٠	٠٣	٧
افراط في الجماع	٠٣	٠٣	٠٠
حزن وفقر وشقاء	٢٤	٣١	٠٣
اسباب غير معلومة	١٨٨	١١٩	٥٩

ثم بين في جدول نمرة ١ ونمرة ٦ من التقرير المحكي عنه الجهات الوارد منها
المجانين من محافظات ومديريات فن المحافظات مصر وهي الاحم ثم تليها الاسكندرية
ومن المديريات مديرية الغربية ثم تليها المنوفية فالدقهلية فالشرقية فجرجا
وبالجملة ان ضرر المسكرات والحشيش والمغيبات على الفقراء اشد تكالفاً من
المقرب بل هم بالحقيقة مرضى في عقولهم داء هم شهواتهم علتهم ضعف ارادتهم تتصرف
قوتهم فيما يضر سفهاً وجهلاً فهل للانسانية من نصير ينظر لهذا الامر الخطير بعين

الرأفة ويقوم بعمل نتيجة انشغال هؤلاء الفقراء من وهدة البلاء والفقير وما تلك
الوهدة الا الجهل

اوهام الفقراء وخرافاتهم

قال حكيم اتركوا الجهالات فخبوا وسبروا في طريق الفهم

الاهام هي صورة المرئيات او المحسوسات او السموعات يكبر حجمها او
يصغر بقدر اشتغال الفكر لقبول الخرافات او رفضها . فهي اذا صورة مأخوذة عن
حقيقة بواسطة منظار عدسته تكبر الاجسام او تصغرها بعامل الميل الشخصي الى
تعظيم الامور او تحقيرها فعليه لا تعتري الاهام الا ذوي العقول الضعيفة وقلما
تعتري غيرهم الا اذا كان عندهم ضعف في الدماغ او انحراف في الجهاز العصبي .
فستنتج مما تقدم ان الاهام مرض عام منتشر مكروبه في كل مكان الا ان العاقل
المتعلم يقوى عليه فيضعفه . والجاهل غير المتعلم لا يقوى عليه فيصبح مرتعاً له فيسرح
فيه ويمرح . واعظم شاهد على ذلك ما هو مرئي بين العامة لشدة استعدادهم لقبول
تأثير الاهام والخرافات عليهم . وما ذلك الا لشدة انغماسهم في الجهالات .
واكثر اوهام العامة في المسائل الدينية وخرافاتهم في المسائل العمومية

اما الاهام الدينية فنقتصر على ذكر شي منها غير السابق ذكره في الفصول
السالفة اذ عندهم الاهام معتقد آخر لا يمكن امانتهم وزحزحتهم عنه . فمن ذلك
الاعتقادات الوهمية فيهم في الحجب والاحراز الكثيرة التي يعتقدون فيها البركة
والشفاء من الامراض (والارياح) والآلام والاسقام . ويعتقدون فيها النفع حال
الدخول على الوزراء وارباب الاقلام . ويعتقدون فيها انها مجلبة المحبة والقبول .
وانها تمنع عنهم كيد الاشرار في سرى الليل وسفر النهار . وتنفع من لدغة العقرب

والثعبان . وهي كثيرة منها "حرز العاسلة" "وحرز الاسقام" "وحرز الانذرون" "ودعاء عكاشه" "والخلفات" "وحرز الجوشن" "والسبع عهد السليمانية" وغير ذلك

هذا عدا عن ادعية كثيرة تلى او تكتب في أوعية اما بياض الورد او الزعفران ثم يتربونها على امل الشفاء من اسقامهم واوراجهم . ومن قبيل ادعيتهم هذه دعاء اوله "لغيثا وشمخيتا" الخ وهي وأبم الحق دعوات مجهولة لا تعرف لها حقيقة ولا اصل ولا معنى في اللغة العربية الا عندهم فيزعمون انها من الاسماء العظام والادعية المستجابة . وهي لا تزيدم الا بعدا من الله وقربا من الشيطان وربما كان في اعتقادهم فيها ما يخرجهم عن دائرة الايمان الصحيح . ومن ادعيتهم التي يتلونها سبع مرات بعد صلاة الصبح الدعاء الذي اوله (يا كشهشطيوش كشهشطيوش) أقمي وأقم صورتني وذاتي ووجهي عندك وعند خلقك آمين يا ارحم الراحمين

وبخلاف الادعية لهم عزائم تقرأ كثيرا بعضها يعزمون بها لوجع الضرس او لتسكين الصداع وآلام الرأس . وللصداع دواء آخر وهو ان الزعفران اذا حلك بجمل ولطخ به الصدغان يسكن الألم ولتباقي الام الجسم عزائم . ولهم جملة كتابات لطود النمل وباقي الحشرات منها انه لو كتب على جريدة خضراء او خوصة خضراء "اطلع الرب فنظر والعيوب فستر وللذنوب فنفر ارحل ايها النمل كما رحلت الرحمة عن شيوخ القرى الذين باعوا الجفن بالقم عنسج منسج نمرا" يهرب النمل ولا يوجد له اثر . وجملة كتابات لمنع الحبل وما يكثر النسل منعنا عن الاتيان على وصفة منها قلة الأدب فيها . وللعامة خرافات واعتقادات جملة في نسبة الولاية لكل مشعوذ او مشعوذة او مهبول او مهبولة . فلذا كثر المجاذيب في هذه الايام من المدعين

الولاية وكثير ما نسمعه كل يوم عن اتيان البدع والمنكر التي تمس الدين وتشين
الشرع الشريف لان ظهور هؤلاء بهذه المظاهر امر يدعو الى فساد العقيدة وافساد
عقول الناشئة والعامه . هذا بخلاف ما في نفوس العامة من الاعتقادات حتى
في الجنائز فانهم ان اسرع حاملوها في المسير ظنوا في الميت الولاية فيفرحون
ويؤمنون بكرامته ويقبلون له النعال ليبطى في سيره

وكثيراً ما يتجاوز اوهامهم الخرافية سنن العقل حتى انهم قد ينسبون الولاية
الى الحيوانات والنباتات فالجل لو رأوه يرغبي ويزيد ينسونه للولاية ويلتمسون
منه البركة . وشاهدنا على ذلك حمل الحمل وأهم النباتات التي يمتقدون فيها الاشجار
الضخمة والاجذاع النخرة فان هذه لو رأوها يقرأون لها الفاتحة ويقبلونها . مثال ذلك
الشجرة التي (تدعى الشيخه خضره) في جامع الحنفي رحمه الله فان الزائر يجدهم
يتبركون بها ويقبلونها فضلاً عن ترك اترهم عليها معلقاً بسمار . كما ان كل شجرة
غليظة الساق تكون من مدة سبقت يطلقون عليها لقب "سيدي الاربعين" واغلب
هذه الاشجار من شجر الجميز^(١) وكثيراً ما يقومون بعمل الموالد لهذه الاشجار^(٢)
وكما يعتقدون بالاشجار يعتقدون بالابواب الاثرية القديمة ويتبركون بها ويقرأون
لها الفاتحة لو مروا عليها ولدينا شاهد "بوابة المثولي" فان عليها رجلاً درويشاً
ياخذ النذور وهو معلق راية بجانبه وفنوساً في النهار حتى اذا مر عليه السياح

(١) في خرافات المصريين القدماء انهم كان في الصحراء شجرة جميز يسكنها ثلوت من
معبوداتهم وتأتي اليه ارواح الناس بعد الموت . ولعل هذه الخرافة باقية بين العامة من
خرافات المصريين القدماء حافظوا عليها وبقوا ينظرون الى شجرة الجميز نظراً بما زجه الوقار الديني
احمد بك كمال مقتطف جزء ١٢ سنة ٢٤

(٢) في دائرة المرحوم جلال باشا شجرة جميز يعمل لها مولد في غرة مارس من كل سنة
واحياناً يحضر مولدها انجال المرحوم جلال باشا

الاجانب يشاهدونه ويأخذون منه شاهداً على تأثير الاوهام الفاسدة في عقولنا والجهل المتسلط على افكار المسلمين في دينهم .

وفي جامع الامام الحسين^(١) رضي الله عنه "عمود من الرخام يشكو الى الله من فساد اعتقاد المتتبعين له المتبركين به وهذا العمود يدعي العامة وبعض من الخاصة بان السيد البدوي يحضر اليه في كل ليلة « حضرة »

والعامة وهم واعتقاد في بئر « غير البئر التي في جامع اولاد عنان » في صحن جامع السلطان الحنفي وانها موصلة الى بئر زمزم ويروون رواية كذبها ظاهر من أول مرة وهو ان رجلاً كان مرة في مكة المشرفة يشرب من بئر زمزم فسقطت فيها الطاسة التي كان يتناول الماء بها فلما حضر الى مصر وجدها في هذه البئر .

هذا بعض من اوهام العامة الدينية الذين هم كل الامة تقريباً ذكرناها ولا نرجو الا الاجتهاد في صرف افكارهم عنها فقد كفاهم باقي حاضرم الشاهد المعيب وقد ضجت الارض الى بارئها مما ينتهكون به حرمة الله وبه يمجحون « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون »

اما خرافاتهم على العموم فشيء لا يعد ولا يحصى . ومن أهمها اعتقادهم في العرافين بان في امكانهم قتل الانسان او قلب صورته الأدمية الى اية صورة ارادوها بكتابتهم السحرية وبتكليفهم ارهاط " الجن " عمل ما يريدون عمله لانهم في عرفهم مسخرون لقضاء اغراضهم وهم في استطاعتهم " ربط " الرجل عن امرأته حتى ازالة اعضاء تناسله . وتعويق المرأة عن الحمل وفك المشاهدة منها او اغاظة زوجها ان لم يكن طوع ارادتها او كان في عزمه التزوج عليها . وكل ذلك بما يسمى " الشبشة " وحلب النجوم^(١) " ومن خرافاتهم عدم غسل الملابس في يوم الاربعاء آخر الشهر

(١) . انظر الكتاب الثاني من طب الركة وجة ٦

او تفصيل الملابس يوم الجمعة. ولم في الاحلام تفاسير كثيرة يتخوفون منها او يفرحون . والكابوس تأثير عفيف جداً على اذهانهم صغيرهم وكبيرهم وهم يعتقدون بانه روح شيطاني يفاجئ النائم ويسومه اشد العذاب فيتقونه بالاحراز التي تقدم الكلام عليها . او بعمل الاحمية من اولئك المتخذين الشعوذة والتدجيل حرفة لهم للتحصيل والاكتساب^(١) . وعندهم خرافة ان في كل بيت ثعباناً يسمونه " عامر البيت " ولدا هم لا يؤذونه لو نظروه حتى لا يؤذيهم بل يحضرون له احد " الحواة " لاجراجه^(٢) . ولم اعتقادات جمة في الطير من حمام وجراب وغير ذلك من باقي الاشياء التي ضربنا صفحاً عنها خوف الاطالة المملة. هذا بعض من اوهام العامة وخرافاتهم على العموم التي يأخذونها من صور المرثيات او المحسوسات او المسموعات التي تكبر فيهم بقدر ميلهم الشخصي وعلى قدر عقولهم الضعيفة ذكرناها للقارئ مثلاً ليستعيد من شرها ويسأل الله البعد عنها انه اكرم مسأول

الزوار والفقراء

لم يكتب الزمنُ بما حاق بالمصريين من المصائب والايثار التي تنازعهم وينازعونها بل اخذ يجرهم كل يوم الى هوة التأخر والاضمحلال مستعيناً بالنساء على قضاء ليلته بابتداعه كل يوم بدعة جديدة تسقط بها الامة المصرية في اعين الامم الحية الشاعرة بواجباتها

«١» ان شئت ان تعلم حقيقة وعوارضه وقول العلماء المحققين عنه راجع وجه ٢٢٨ من السنة الثامنة عشر من المقتطف الاخر

(٢) الحواة قوم يحملون الاجرة على اكتفائهم وينادون في الشوارع والازقة بقولهم بارفاعي مدد غرضهم بذلك التعيش بمسك الثعابين ولهم مهارة وحيل في القبض عليها

فمن أهم هذه البدع بدعة الزّار الذي هو عبارة عن جمعية نسائية تشترك الجارية والسيدة فيها ثم بأخذنَ بدق الطبول دقات مزعجة ويتبادلنَ فيه الرقص والتمايل والبكاء الهائل . والركوع والسجود وضرب الخدود وحل الشعور وقرع الصدور في وسط تتلى فيه الأكاذيب على الله ورجاله الصالحين . فكم من وليٍّ بعد حياته وصلاحه أتهم بالكفر والشيطنة ونسبت إليه كرامات لا يرضاها ومعجزات بأبائها من قوم يدعون بان الشياطين يركسهم متخذين هيئة ملك او سلطان او جوارى وغلمان . مجرد حيل وترهات دونها حيل اليس لقضاء شهوات رديئة لا يمكنهم نوالها إلا بهذا الكذب والافتراء حتى ان الزار اودى بالعائلات الى حضيض المسكنة والهوان . والزار مع انه عام بين المصريين كافة إلا انه يكاد يكون خاصاً بالمسلمين واسبابه الحقيقية عدم التربية وتهذيب الاخلاق بفهم الدين كما مرّ والأضعف التربية وعدم تهذيب الاخلاق يزري بالمرء الي اكثر من ذلك وقلة فهم المعيشة الزوجية من أهم مسببات الزار . والمتأمل يعلم ان اسباب الزار هو سيطرة الرجل على المرأة ومعاملة لها بالقسوة والحدة والغضب فتعتمد الزوجة الى الانتقام من زوجها بواسطة تعلمها بالزار وبأن عليها " ريجاً " من الجن لا تستريح منه إلا بزيارة الاولياء

ومكر النساء وحيالهم أكبر من ان يدركه الرجال وجهل الاهل بالتوفيق بين الزوجين يساعد الزوجة على توفير مبتغاها في هذا الطريق السافل ولذا تاخذ من ادعت بالزار بالاستعانة باهلها في امرها حتى اذا اكتسبت مساعدتهم ضد زوجها فاما ان تجري مشتهاها من الزار في بيتها او في الاماكن المعدة له . وكم من عائلة اتاها الزار وهي مطمئة نغرب بناؤها وجعلها في اسفل الدرجات والزار له نساء مخصوصات تدعي واحدهن " بالكدية " وله اعوان من الناديات .

وله مطالب من عال ودون فتذهب فيه الاموال جزافاً واسرافاً. ولو كان في شيء تافه من مثل دجاجة بيضاء ونعجة سوداء تاخذ دماؤها في اناء وتذلك به المفاصل وله رقي يرقى به صاحب الزار حتى يجاوب "العفريت" على حقيقة حالته ومقصده وهو لاء "العفاريت" لهم اسماء كثيرة بعضها اسماء تشبه الاسماء التركية او العربية وبعضها غير مفهوم لها معنى مطلقاً. واهم محلات الزار في مصر واغلب جهاته المساجد ومقامات الاولياء الذين لا يرضون بهذا العمل وينغضبون منه

وقد شاهدنا الزار في مساجد كثيرة ومقامات عديدة في اغلب ايام الجمع ساعة صلاة الجمعة وهو في "جامع البيدق" جهة العشماوي "والشيخ يونس" "وابو السعود" "والشيخ نجم الدين" "وسيدي عوف"

ولا يقتصر الحال فقط على ذلك فان له تقطاً كثيرة ايضاً كجهات السبتية وسوق العصر ومقابر باب النصر كل هذه الجهات هي مأوى الزار وعشه الذي يبيض ويفرخ فيه يجتمع فيها الرجال والنساء مختلطين بدعوى الزار فيضربون على الدفوف ويدقون على كؤوس النحاس وينفخون في عيدان الغاب حتى انه من كثرة هذا الاختلاط لا يصعب على الرجل لو شاء ان يهوى الى اذن المرأة فيوحي اليها ما يوحي بلا حياء من امام او شيخ مقام فان هذا لا يهمة شيئاً سوى اخذ الرسم وهو قرش

هذا والزار محظور عمله شرعاً بفتوى صدرت من مشيخة الجامع الازهر. ومحظور عمله قانوناً بامر من الحكومة فانها فرضت العقاب على من يقدم عليه. ولكنه يعمل في الاماكن المتقدمة ذكرها الى الآن ولس هناك من يواخذ عنه من رجال الاوقاف ولا من يخبر عنه الحكومة من مشايخ الحواري لان الاولين لهم منه مغنم والاخرين يهود منه عليهم بريح وناهيك بحقيقة مشايخ الحواري فانهم من

الرجال المفقودي الذمة المتغافلين عن عملهم بالاستقامة وحققهم ذلك ما داموا مسخرين لقضاء اغراض لا ينالون عليها اجرة فيلتزمون اخذ الرشوة والتغافل عما قضته الشريعة وقرره القانون

الفقراء المرضى

”يقول الله ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي“ فالسعي بدره ما يعترى اخواتنا من المرض مأمور به في ديننا عدا ما في سجية المرء العاقل من الحنان والشفقة على الفقراء المرضى دون ان يذكره مذكر يشعر بالالم فيدراه بالوسائط الممكنة . وما الانسانية الأشعور بحجة تسكن القلب واللب وتدحج في فطرة الانسان نحو اخوانه وبني جلدته . وما دامت هذه العاطفة عاطفة حنان شريفة وحمية سامية تأخذ بالمرء لمشاطرته بني طينته الآمهم ومصائبهم وتحذو به الى السعي في مؤاساتهم . وما دام الواجب على العاقل ان يسدي من هم اقل منه ثروة وجاهاً صحة وعقلاً وينحهم ما يتأتى على يده من الخير ويوفق بين نسبة سعادة حاله وسعادة احواله لعلمه ان المرء كثير باخيه قليل بغيره . فليذكر الانسان حينما يرى فقيراً مريضاً انه احد اخوته وان السعي في مؤاساته ومداواته واجب عليه وانه متى اسدى اليه خيراً فقد اصف بصفة العقلاء الذين يجرون على قول قائل مشهور

”كل رجل في الدنيا نسيب لغيره غير غريب عنه لعلمه انه رجل وهولاء فقراء المصريين كافة والمسلمين خاصة محتاجون الى ما يدرا عنهم المرض بواسطة انشاء المستشفيات والملاجيء ويقوم ما هم معرضون له بفضل جماعة

المتطيين الجهلاء الذين ان ارادوا ان يفيدوا اضروا " والمرضى اجمل من المتطبب
طبعاً " بواسطة الحبوب التي يعطونها وكثيراً ما يكون فيها الزئبق فتزيد المرض
وتؤدي الى الموت

علم الله ان اهم حاجة لهم المستشفيات اولاً والتعليم ثانياً . وما التعلیم ازاء
المستشفيات بشيء يذكر لما في المستشفيات من شفاء الجسم وتقوية الابدان .
والجسم يعد شفائه من امراضه يقبل العلم ويتلقى الصنائع ويستعد للحرف
لانه يكون سالماً وفيه طاقة الادراك وقوة العزم وقد قيل ان العقل السليم في
الجسم السليم وما اصح هذا القول

لا يرضى العقلاء بمرض الفقراء لانهم كل الامة وكيانها افلا بأسفون اذ
يرونهم مرضى الاجسام متحملين كل انواع المرض بين رص ومجنومين وعرج
ومشلولين ومقعدين وخرس وصم ومسولولين

أيظن المصريون ان مستشفيات الحكومة تكفي لمرضى الامة وتفي بحاجاتهم
واقبل طائفة من نزلاء البلاد قد تعاونت وشادت لطائفها المستشفيات والملاجئ
او لا بأسفون اذ يرون فقراء هم يلقونهم في طريقهم او في نزهتهم ويجومون عليهم
طالبين الدرهم وحقهم ان يطلبوا الدواء لو عقلوا لان الناظر اليهم يقرأ على وجوههم
علامات المرض في قلوبهم والرمد في عيونهم ام يظن عقلاء المصريين ان
الاطباء منهم يقبلون تطيب الفقراء مجاًناً بناءً على ما هو مكتوب على باب كل منهم
" للفقراء مجاناً " تالله لا طيب منهم يطيب فقيراً بغير اجرة ولا رأياً في حياتنا
من واحد منهم فعل ذلك غير المرحوم الدكتور دري باشا الذي كان مستوصفه
شبه مستشفى مجاني للفقراء المنهوكين بالامراض والعاهات وكان يجتمع فيه من

كل الطوائف ذكورا واناثا فلما توفاه الله انقطع عن الفقراء كل هذا
الخير العميم

واصبحت مستشفيات الاجانب فيها ملاذ المرضى وعياد ذوي الادواء ولولاها
لعدم الفقراء حياتهم وساء مصيرهم وكفانا تحديدا بيراتهم انهم ياشقون اولاد
الفقراء وقد نبذهم اهلهم نذ النواة فيربونهم ويعلمونهم حتى يبلغوا اشداهم ويقبوا
على تحصيل معاشهم . لقد كثرت اللوم وتعدد المنددون وكل يوم نسمع الاجانب
يعيروننا بكثرة مرضانا وقلة اهتمامنا باشاء مستشفى لهم حتى اصبحت احوالنا تحزن
العقلاء وتبكي المؤمنين

ولكي يكون القارئ على علم بحالة امتنا المصرية تأتي على ذكر بعض مآثر
الاجانب ليتبين له حالتهم الخيرية لقاء حالتنا التعيسة المحزنة فنقول
قامت النزلة الفرنسية في العاصمة بعمل مستشفى خاص لها في العباسية صرفت
عليه ما ينيف على المئة والستين الف فرنك وساعدت الحكومة الفرنسية
القائمين بامره بمبلغ ٣٠ الف فرنك فهل لنا شي من ذلك نحن المصريين وعددنا
زهاء التسعة ملايين والفرنساويون عندنا لا يبلغون الخمسة عشر الفا اقلنا نجمل
ونتعب على سوء حالتنا وطول تقاعدنا وتقصيرنا

وفي عزم الايطاليين التشبه بالفرنسيين في بناء مستشفى لهم ايضا وقدروا المبلغ
اللازم لذلك بمئتي الف فرنك وقد تبرع لهذا العمل الخيري جلالة ملكهم بمبلغ ٥٠
الف فرنك والخواجات روفائيل وفيلكس سوارس بمبلغ ١٨٠٠ فرنك وحمل
كوجيني بمبلغ ١٥٠٠ فرنك وتبرع باقي اغنياء الظليان بالمعدات والادوات
اللازمة لذلك . هذا بخلاف ما تنفقه جمعيتهم في هذه العاصمة فانها تنفق كل

سنة على فقراءها زهاء ٨٠ ألف فرنك وتشاركها في ذلك حكومتها بخمسة عشر ألف فرنك سنوياً . وكفاهم نفراً انهم المؤسسون لمستشفى داء الكلب^(١) فأين عملنا نحن التسعة ملايين من عمالهم وهم اقل من الخمسة وعشرين الفاً وفي عزم النمساويين بناء ملجأ لليتامى بالاسكندرية بدل الدار المستأجرة الآن لهذه الغاية فأين ايتامنا من أيتامهم

وفي الاسكندرية ملجأ رودلف العظيم تحت رئاسة المستر كرفر يطعم فيه الفقير المسكين وقد ظهر من تقريره عام ١٩٠٠ ان ادارة هذا الملجأ آوت في العام المذكور ٥٣٨٣ نفساً او يزيدون . وفي قلوب ملجأ لليتامى ايضاً وهو تابع للارمالية الهولندية فيه على ما بلغنا نحو العشرة من اليتامى . واليونان . . . تشفى بالاسكندرية وآخر من تبرع له من اليونان المسيو جورج يوانيدس فانه تبرع بمبلغ خمس مئة جنيه عن روح قرينته ولما توفي المسيو اكيلوبولو التاجر اليوناني الشهير بمصر وقرئت وصيته في دار القنصلية اليونانية بالاسكندرية وجد انه اوصى بمبلغ ٩٠٠٠ جنيه لانشاء مستشفى لبني جنسه في القاهرة

هذا ومن الملاحة العظيمة في مصر ملجأ العجزة بشبرا والنجالة تقام له سوق

(١) بلغ عدد الذين جاؤوا لمستشفى الكلب في هذه العاصمة سنة ٩٠٠ م ١٦٠ فصرف منهم ٢٠ اذ تبين بمد مجيئهم ان الكلاب التي عقرتهم غير كلبة وعولج الباقون فبلغوا ١٠٩ من الوطنيين (تامل) و ١٢ من اليونان و ٧ من الايطاليين و ٥ من الفرنسيين و ٣ من الانكليز و ٢ من الترك و ١ من الالمان و ١ من البلجيكيين وقد جاء اكثرهم من مديرتي الشرقية والقلوبية وجاء كثيرون من بلاد أخرى وخصوصاً من سورية "بيروت" والبلدان القريبة . هذا وقد تيسر للمستشفى ان يحسن اتانته وثقن عدده وآلاته في سنته الثانية بالمال الذي تكرمت به عليه الحكومة المصرية وقدره ٢٥٠ جنيهاً والجمعية الخيرية الايطالية بمهمة جناب مديره الدكتور تونين المشهور في معالجة داء الكلب

كل سنة تدعى بسوق الشفقة وتباع فيه الادوات والهدايا النفيسة^(١) وفي اصوان ملجأ لمبعوثي اخواتنا المسيحيين من الكاثوليك بذلوا جهدهم في الشائه للايغام وفيه الآن ما يقرب من المئة وخمسة وعشرين طالباً و٦ طالبة. وللشركة الانكليزية التي نالت عمل الخزان ملجأ للمرضى تعالج فيه عيالها وفيه ما يقرب من العدد الاول من ابناء العبيد. وقد قررت اللجنة التي تألفت لاقامة اثر للمرحومة اللادي كرومر ان يفتح ملجأ للقطاء في جهة القصر العيني وسيسع هذا الملجأ نحو ستين لقيطاً والخلاصة انه لا ينقضي شهر الا ونسمع لهم ما اثر حسنة تجعلنا نعبطهم ونتمنى لنا بعض ما لهم من الملاحي والخيرية

قال عمرو بن العاص "رضي الله عنه" "ان اهل مصر اعقل الناس صغاراً وارجهم كباراً" فلم لا نجعل لهذه الشهادة بيننا اثر اولسمع انين المرضى الفقراء ونخفف عنهم الالمهم في ضيقهم وشدتهم وخصوصاً التي ينالها منها ضرر بالعدوى ولنا نجوها واستئصال شأفتها حاجة ماسة

لقد سئمت النفوس من تكرار طلب الاعانات على الدوام ومن عهد قريب فتحت اكتنابات كثيرة حتى ان البعض كان يتبرع بثلث كتب ألفها وما يجمع من ثمنها يقدمه اعانة. فلم لا ندع قول عمرو يتحقق فينا نحن المصريين فنشمر عن ساعد الجد ونقوم كل طائفة منا بعمل مستشفى لفقراءها خاص بها كما قال جناب اللورد كرومر في فندق "سافوي" حينما اجتمع بعض الانكليز والاميركان لل مداولة في بناء مستشفى لنزلاء الامتين "ان المستشفى الاوربي في العباسية سوف

(١) بلغ ما جمع في هذه السوق سنة ١٩٠١ م ١٨٠٠٠ فرنك بخلاف ما جمع من احياء

ليلة خيرية في الاورا الحديوية

يبتل لان كل امة صار لها موضع خاص لنزلائها في مصر " وحتى لا يقال انه لو ترك الافرنج اهل مصر لا يبقى لهم صحة ولا تجد فيهم عافية ولو كانوا كثيرين

مآتم الفقراء

قال علي "كرم الله وجهه" ان الموت طالبٌ حيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب

ان ما يجري في مآتم الاغنياء يجري عند الفقراء مثله او يزيد مما لا يرضى به عاقل ولا يجوز شرع ولا تأمر به عدالة فان الفقراء يفوقون الاغنياء في احزانهم لكثرة ابامها وتعدد اوقاتها . ويكاد "يوم الخميس" عند الفقراء ينعت بيوم الاحزان . اذ تجول فيه النساء من حي الى حي نهاراً وبجاريهن الرجال في ذلك ليلاً لحضور المآتم بعضهم عند بعض قترى النساء مبكرات بكور الزاجر للتعزية قاطعات المسافات المترامية مشياً على الاقدام اوركوباً على عربات النقل متزاحات متسابقات لادراك هذه الغاية ومنطلقات من الجمالية الى بولاق او الى النصرية من الاحياء الوطنية ولا يرجعن الى منازلهن حيث تركن اطفالهن الا عند العصر او بعده . وليس لهذه العادة اثر عند نساء بقية الطوائف

اما حديثهن وهن ذاهبات الى المآتم فقصور على مدح التاديات وتشويق بعضهن بعضاً الى ما سوف يسمعه من نديهن الذي يثير الشجون ويجدر صيب الدمع من سماء العيون . ويتأدين في تفضيل احدى النوادب على الاخرى حتى يفضي بهن الامر الى الخصام والمشاحنة وقد يأخذ من بعضهن ذهول ينسين عندهن انهن ماشيات على قارعة الطريق فتزاح عنهن الستور ويظهر ما في اعناقهن من المناديل المطرزة بالسواد علاوة على ما سبغ في ايديهن من المناديل التي يعطين بها

وجوههن عند ذرف الدموع وقتما تلقي على مسامعهن النوادب الادوار الشجية الباعثة على النوح والانتحاب والداعية الى الحزن والاكتئاب ومن غريب امر المعددات انهن يعرفن فقيد كل حاضرة في المآتم فيعددن اوصافه على حدة ويشغلن بذلك وقتاً طويلاً. ولا عجب فان هذا العلم الذي تحذقه النادبات فيه من متنوع اساليب التأين والرثاء. ما تعجز عنه خواطر الادباء وقرائح الشعراء. فلذا لا يصعب عليهن ان يقلن ما يؤثر في نفوس السامعات ما دمن قدرات ان يكن الحاضرات على الشيخ الهرم كما على الفتى اليافع ولكن من العجيب انهن يكن من حولهن وهن خاليات من الشجو فلا تسمع لهن زفرة ولا ترمي في عيونهن دمعة. والنساء الفقيرات يفقن الغنيات في الحزن اذ ليس لهن رادع من اهل ولا من جيرة يعلمون ضرر ذلك بهن صحياً فيسرفن في لطم خدودهن والضرب بارجلهن امام رجالهن على المقابر ولو فوق الموقى الذين يكنهم تحت التراب. والفقراء يتكدون مع شدة فاقتهم نفقات طائلة في مآتمهم قياماً بما يجيئون من الليالي وما يعدون من المآكل مدة الاربعين يوماً ولهم في التعزية أمور مغايرة للسنة فيعزون الاب الذي فجع بابتها يقرب من التهئة بوفاتها كقولهم "ستر العورات من الحسنات ودفن البنات من المكرمات" ومن يتأمل ير ان هذه التهئة في صورة التعزية كانت معروفة في الجاهلية الاولى عندما كانوا يدون البنات اي يدفنونهن حيات. والغريب ان المشايخ وبعض العلماء يعزون اصحابهم ومعارفهم بمثل القول المتقدم ذكره قولاً وكتابة ولعل هذا سبب كره الآباء للبنات. اما زيارة القبور المقصود منها التذكر بمن سلف والترحم عليهم والتصدق على المساكين استراحاماً لهم. فهو عند الفقراء جار على وجه نخجل من ذكره اذ انهم يقيمون ليلاً ونهاراً على المقابر طابخين وآكلين وشاريين وقد احضروا معهم الاولاد

والنساء والقرش والاعطية على عربات النقل او على ظهور الحيوانات وفي ذلك دليل على ان لا احترام عندهم ولا اكرام لمدافن الموتى وكفاها امتها انهم جعلوها اشبه بفنادق السياح يجلسون فيها فتمتل لهم انواع العاب " الحواة " وتعرض على ادهانهم اقوال " الادبئية "

والمقابر في القطر المصري كثيرة لا تكاد تخلو منها قرية حقيرة وفي القاهرة وحدها ست " قرافات " لدفن الموتى وكها خارج المدينة وهي قرافة " السيدة . والامام . وباب الوزير والمجاورين . وقايتباي . وباب النصر " وجميعها أعدت منذ ايام الفتح لدفن اموات المسلمين ووقفت على ذلك بحيث لا يصح فيها تصرف بيع ولا شراء فيذهب اليها الاهالي في ايام معينة من السنة مثل ايام العيدين ويوم اول جمعة من رجب ويوم نصف شعبان وايام الجمع على مدار السنة لمن توفي له اهل او اقارب ولم يحمل عليهم الحول . يتعهدوا المرة فيراها مأوى لجواهر كثيرة من انحاء العاصمة وغيرها من المدن من جميع طبقات الشعب الاسلامي على اختلاف الهيات والازياء من عني وفقير وغرض الجميع زيارة قبور موتاهم وحبذا هذه الزيارة لو كانت وفق الشرع الشريف او لو كانت مجردة عما نهى الشرع عنه وعمل الكل بما يعود على الاموات بالبر والاحسان ذاكرين ما قاله ذلك الفيلسوف الحكيم العربي

خفف الوط ما اظن اديم	الارض الا من هذه الاجساد
وفيج بنا وان قدم العهد	هوان الاباء والاجداد
سران اسطعت في الهواء رويدا	لا اخيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدًا مرارًا	ضاحكًا من تواحم الاضداد

نعم حبذا ذلك لو خلا من معائب المهور واللعب والقذف باقبح الشتائم

وارذل الاشارات . حتى ان " القرافات " تكاد تكون مجتمعا يغشاه لنيف الشحاذين اصحاب الامراض والمعاهات . ومزلا لعصابات المتشردين والاصوص كل^١ يحنال على اخيه لاجناء الصدقة منه وهو لا يستحقها . ولا مندوحة لنا عن ذكر شي^٢ من اعمال الخفارين " الترية " وهم الذين يحفرون اجداث الموتى ويوارونهم التراب وقد ورثوا هذه الحرفة عن آباءهم واجدادهم ولهذا الطائفة اعمال مردولة وامور تجاب السخط عليهم من جميع طبقات الامة اذ هم الناهبون السالبون الذين يتلقفون ماتصل اليه ايديهم ويوزعونها سهاماً بعضهم على بعض بعد ان يرشوا في قلوب منكسري القلوب من ذوي الميت سهاماً لا تشفى جراحها الى يوم العرض . فان الجنائز لا تصل اليهم محمولة على اعناق الرجال مشبعة بدماء العيون ووراءها النساء يكين وينحن بما لتفطر له الاكباد ويذوب منه قلب الجواد لا يبدأهؤلاء الترية بطلب اجرتهم بالمنازعة والخصام بما يخمد جذوة الحزن على الميت " ولا يخمد جذوة الحزن على الميت الا شي^٣ اصعب منه " ويحل محلها الغضب اولاً ثم الاسف ثانياً ثم الحزن مع الغيظ على ما ينال الاعراض من الشتام والقذف والكلام البذي لانهم اذ لا يرضون بالقليل ولا بالجزيل من الاجرة يضجون ويجلون ويصيحون ويصخبون ويوغلون في عرض ما عندهم من بضاعة سفالة الاخلاق وحنة الشأن فيقع ولي امر الميت بين مصيبتين مصيبة اولئك الطماعين وهي شديدة على النفس الالية ومصيبة الخجل من اخوانه واصدقائه المشيعين معه وهي اشد وقعاً في مثل هذا الحال . وهو لا يرضيه الا اذا فرغ جيوبه امامهم . فاذا تيقنوا ان لا سبيل الى الزيادة رضوا بما أخذوه ولم عليه الفضل . وليس لهؤلاء اجرة معروفة ولا جعل معين فكما رأوا الخجل يزداد ظهوراً على وجه صاحب الشأن زادوا حقة وجراءة وعلى قدر ما يزيد لهم الاجرة ليرضاهم

ينفرون منه كأنه لم يدفع لهم شيئاً . وقد تدفعهم المرأة والفتحة في أكثر الاحيان الى ان يمسا كرامة الميت بالشتية والقذف . تلك حال " الترية " عند وقوفهم على قور الاموات وهو الموقف الذي يجب ان يكون منزهاً عن كل خصام على حطام الدنيا . وهي حال قد شاهدناها وعرضت لنا في هذه السنة ثلاث مرات وكثيرون غيرنا يشاهدون مثلها كل يوم بل كل ساعة ما دام " الموت طالبٌ حيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب "

وفي الظن انه لو كان المقام مقام شكوى واذنت الحالة للناس في رفع دعاوى واخصام الى البوليس والنيابات والمحاكم لاقتضى لنا عشرة امثال ما عندنا من رجال البوليس والمحاكم لفصل تلك القضايا والحكم فيها . ولكن المقام مقام احترام وفي الوجوه بقية حياة ونخيل تحول دون شكوى ولي ميت رجلاً دفن له ميتة . ولما كان الامر على ما ذكر وكل يوم تشعر الامة باجمعها بهذا الالم ولا سيما الفقراء الذين يتجرعون اكثر من غيرهم غصص التقرير والتنغيص ويهانون على مسمع من نساءهم واولادهم واصدقائهم ان للامة باجمعها ان تطالب رجال الحكومة بالضرب على ايدي اولئك الطعام الاوباش ضربة تعلمهم قليلاً من الادب وجزءاً صغيراً من مراعاة الانسانية ولها الحق بهذا الطلب ما دامت الحكومة هي المسؤولة عن راحة الشعب . وهي القادرة على كبح جماح كل معتدٍ يعيث بأقدس شيء لدى الناس ويهين الكبير والصغير بلا موجب سوى قلة الادب والاستطالة على عباد الله . وليس من وسيلة تصلح بيننا وبين من لا مفر لنا من وقوعنا في ايديهم يوماً ما الا ان نجتمع الحكومة رجال هذه الطائفة الباغية فننتخب منهم اهل استقامة وادب وتسن لهم لائحة موافقة وتعين لهم رواتب شهرية يتقاضونها من خزينتها وتفرض هي رسماً يسد تلك الرواتب او يزيد عليها وتأخذ من الاهالي

عند اعطاء ورقة التصريح بالدفن من مكتب مفتش الصحة ومهما يكن ذلك الرسم فالاهلون يقبلونه بكل ارتياح اذ يتخلصون به من تلك المعاملة الوحشية والاطماع الاشعية ويقوم التربية بوظائفهم ولا جناح على من شاء ان يدفع لهم شيئاً على سبيل الهبة من الاهالي . وبهذا تلجم السنتم فلا يعود في وسعها الانطلاق على الناس بالقدح والسباب . والبذاءة التي يندي لساعها جبين الآداب ولا تظن الحكومة تغفل مثل هذا الاقتراح ولنا في اهتمام عطوفة نذر الداخلية الاكرم وسعادة المحافظ ما يحقق لنا الرجاء وينينا الاصلاح المطلوب . اذ لا يصح ان يكون لأحقر حرفة مثل " مساحي الاحذية " و"الحجارة" و"العريجة" لأئمة يجرون عليها ولا يكون لهؤلاء "الترية" قانون ولا لأئمة يعلم الناس حقيقة من سيلخدم ويلتقطهم فرادى ومثني الى ملاقاته رب كريم مستقبلين من الكرام البررة " يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي "

الوقف الاسلامي وحاضرها

قد رأينا بعد اتمام فصول كتابنا هذا وترتيبها ان لا بد للقارئ عند وصوله الى كلامنا عن الفقراء ان يسأل عن حالة الاوقاف الاسلامية المحبوسة على ما فيه تيسير بعض الضنك الموجودين فيه ولذلك نختم كتابنا بذكر حقيقة حاضر الاوقاف حتى يتبين للقارئ مقدار نفع الفقراء من ايراد اوقاف أقل ما يقال عنه انه يزيد عن ايراد كثير من الممالك الصغيرة في العالم^(١) وما سنذكره يعلم

(١) نذكر لك واحدة وهي مملكة سان مارينو في جبال ايطاليا في الجهة الشمالية الشرقية منها عدد سكانها ١٥٠٠٠ نفس ودخلها بقارب مدخول ديوان الاوقاف المصرية وغيرها كثير تراجع في قوائم البلدان المطولة

علاقة الاوقاف بسكان القطر ونفعها من عدمه . فيقلات مما عندها الحبيب الغابط والعدو الحاسد ويترك محبوبوا الاصلاح الآن النظر في زيادة الايراد وتقصانه ما دام باب الانتفاع به مسدوداً
الغرض من الاوقاف

الغرض من الاوقاف امداد ذوي الضعف الذين عجزوا عن الكسب ووقف بهم الزمن عن العمل لعاهة او آفة . ونشر العلم والادب والدين وحبنا القصد والغرض

واول من نظر الى الاوقاف المصرية نظرة حكيم عاقل وأصدر امره بتشكيل ديوان لها خاص هو ساكن الجنان "عباس باشا الاول" لما شاهده وقشده من سوء التصرف . وقرر رحمه الله حق مرجع النظاريك أمورها اليه ولمن يتولى الخديوية من بعده وقد مضى من عهده ثلاث ما يزيد عن الاربعين سنة والاقواف يغل سنوياً مبلغاً كبيراً كاله مرصود لعمل الخير حسب شروط الواقفين التي حصرت الحق في ديوان الاوقاف هذا . وجعلت له حق الاشراف على كل ما هو موقوف من املاك وعقارات في المحافظات والمدريات وحق اتخاذ الطرق الشرعية المؤدية الى تحسين الاطيان والعقارات ونمو ريعها . وهو متولى ذلك برضى الامة الاسلامية . فلذا كان الواجب على من ولي الامران لا يألوا جهداً في اتخاذ الذرائع لانجاح ما أتمته الامة عليه طارفاً كلف او تليداً . ولبعض الناس حق على الاوقاف مثل الاشراف وغيرهم وهذا الحق يختلف باختلاف درجاتهم . فمنهم المتصل نسبهم بالرسول "صلى الله عليه وسلم" والعلماء والفقهاء الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ومنهم الصوفية والفقراء والعميان والمرضى والمجانين وما اشبه ذلك حسب شروط الواقفين التي قصدوا بها التقرب والزلفى

الى الله تعالى . ولعمارة الاوقاف حق وللساجد حق تجديدها . حتى ان للمصايح
حق معلوم اذا كسرت ومثل ذلك يقال عن المكاتب والمدارس

هذا هو الغرض من الاوقاف وهذا هو الحق الذي له والواجب الذي عليه
اذا عرفنا ما ذكر عن الاوقاف لزمننا البحث عن حالته الحاضرة لترى هل
ديوان الاوقاف قائم بالغرض الذي جعل لاجله وافاد او لم يقد فنقول

بلغ ايراد ديوان الاوقاف في سنة ١٨٩٩ ٢٣٠٦٦٢ جنيه والمصرف
١٨٢٧٧٧ جنيه ونسبة المنصرف منه على الابواب الآتية هكذا ٤١٢٩٣ جنيه
على مستخدمي ديوان العموم وفروته اي ١٨ في المئة من الايراد العمومي
١٠٢٧ على مستخدمي لجنة الآثار اي $\frac{1}{2}$ في المئة من الايراد العمومي

٤٦٢٤٤ جنيه على المصاريف العقارية والزراعية بما يشمل مستخدميها
الداخلين الهيئة والخارجين وغير ذلك من عوائد املاك وحفظها وترميمها ومال
وعشور اي $\frac{20}{100}$ في المئة من الايراد العمومي
٢٨٧٨٥ جنيه على المساجد والاضرحة اي $\frac{12}{100}$ في المئة من
الايراد العمومي

٢٧٥٢٥ جنيه على التعليم منها ٦٥٩٢ جنيه مقررة لنفارة المعارف نظير
ادارتها لمكاتب الاوقاف ومنها ٥٠٠ جنيه لمكاتب يديرها الديوان نفسه و١٤٤
جنيه اعانة لمدرسة دمياط الاهلية وهذا المبلغ معه الربح الناتج من نفثيش الوادي
مع فرضنا اياه انه عشرين الف جنيه اي ١٢ في المئة من الايراد العمومي

٦٨٠٠ جنيه على التكايا سواها كان يديرها الديوان بعرفته او بعرفة
مشايخها اي $\frac{3}{100}$ في المئة من الايراد العمومي

١٥٦١٠ جنيه على عمل الخبز مثل مرتبات واعانات للكتبخانة ومعاشات

ومصروفات متنوعة اي ٦ في المئة من الايراد العمومي
 ١٠٦٨٠ جنيه على اقامة شعائر اي ٤ ١/٢ في المئة من الايراد العمومي
 هذا هو ايراد ديوان الاوقاف ومقدار صرفه على الابواب المتقدمة .
 ولعمري انه يظهر من اول وهلة ان الديوان يصرف على جماعة المستخدمين
 الذين يأكلون خبزهم كما تعودوا جالسين على الارائك في ظلال السجوف خوفاً
 من حرارة الشمس والسعي في معترك الحياة أعظم مما يصرف في السبل التي
 أوقفت عليها هذه المنافع من عمل الخير ولبيان ذلك تأتي على حالة كل باب
 من الابواب المتقدمة فنقول

”مستخدمو ديوان العموم وفروعه“

هم أظهر عضو في جسم الاوقاف اهل الحل والعقد فيه . وهم أكثر المستخدمين
 علاقة بمن يتصل امره بالاقواق ويسوءنا ان نذكر هنا كثرة الشكوى منهم
 ومن اعمالهم وقلة الرضى عنهم ويسوءنا ايضاً ان نقول بانحطاط معارفهم وان
 اغلبهم استخدم في الديوان وكان الفضل باستخدامه للحسوية والقرابة عند من
 ساف وتولى نظارة هذا الديوان . ومع ذلك هم ارقى خدمة هذه النظارة
 واحسن عملاً من امثالهم في المحافظات والمديريات . ولا بد ان سمع القارىء
 ببعض اعمال تسيء الظن فيهم . اما عددهم فعلى ما يقول الخبيرون زيادة عن
 حاجة الديوان ولذا يقول العارف بامرهم انه يلزم لهم نظرة من اولي الامر . واخرى
 يمتنع بها عنهم ما يرمون به من التهاون بالاعمال ومن تعطيل الامور وتضييقها
 ولو كانت منجزة سهلة

”مستخدمو الفروع الاخرى“

هؤلاء مستخدمو المحافظات والمديريات واعلم اشغالهم بعد العقارات

المزروعات وهم يعدون في الطبقة الثانية بعد مستخدمي ديوان العموم . الا انهم اكثر منهم فائدة ولو كانوا اقل منهم مرتباً . غير ان في سير بعضهم ايضاً ضرباً من الفوضى وضعف الادارة والكسل وكثيراً ما تؤدي بهم اطاعهم الى ما فيه دمار كثير من الاوقاف المزروعة والعقارات المؤجرة وسوايق ذلك كثيرة يعلمها الديوان نفسه

” المساجد والاصرحة والزوايا ومستخدموها “

قال المرحوم علي مبارك باشا في خطبه الجديدة اما عدد الجوامع الآن في مصر فهي مائتان واربعة وستون جامعاً اه .

والله اعلم بعدد الجوامع في باقي داخلية القطر وبعدد الزوايا المبتوتة في انحاءه التي تقام فيها الصلاة . وبعض هذه الجوامع تابع مباشرة الى ديوان الاوقاف وبعضها تابع للاوقاف الاهلية . يصرف عليها وعلى مستخدميها مما خصص لها من الربيع الموقوف عليها وبعضها يمتد تاريخه من عهد دخول الاسلام في مصر كجامع ” عمرو “ وبعضها تاريخه من سنتنا الماضية او الحاضرة ولكي يكون القارىء على علم من حقيقة حالتها وحالة مستخدميها نقول

حالة الجوامع كحالة الافراد تسعد حيناً وتشتق احياناً حتى تندثر معالمها وعفو لادم اعتناء الخلف بما تركه منها السلف وكرور السنين ونقلب الايام اوجد كثيرين ممن كانوا ياخذون من عمارة هذا الجامع وانقض ذلك المسجد ومخلفات تلك الزاوية ليبنوا بها عمارة أخرى لهم يسمونها باسمائهم فينقرض عمل الاصل ويظهر عمل الفرع وانت لو سألت الاعمدة في المساجد لانبأتك عن كثرة تنقلها من مواضعها في سنين عدة . والميل لحب الافتخار في من حكم الديار المصرية معي أثر الكثير من الجوامع فعدمت بالمرّة او بقيت ذكراً ناطقاً بسوء عمل

الخلق لما تركه السلف . غير أن لا تنكر ان بعض هذه المساجد حفظت
ورمت أخيراً وبالأخص الاثرية منها اذ لولا زخرفها ونخامتها لمحت بالمرّة كما
عجى كثير منها وكما سميت آثار دور التعليم وملاجئ الخير والمستشفيات التي
كانت بجوانب الجوامع المذكورة في كتب السير واسفار التواريخ ولا يزال بعض
تلك الجوامع مهملًا امره متروكًا يعمل فيه ضد الغرض المنشأ له كجامع
الظاهر^(١) وجامع قلاوون وغيرها

الاول منها خالف القصد الذي بني لاجله وضحى مخزنًا ومذبحًا ومخبرًا
توقد فيه النيران بدلًا من اقامة الصلاة . وثانيها تلعب فيه الاولاد وتمرح
وقاعته موحجة مخزن آواني النحاس وبضائع التجار وليس فيه مكان لاقامة
الصلوات سوى غرفتين مع ان سعته عظيمة ولا يبعد ان يصير مصير الاول بعد
زمن . وأنى يرضى المسلمون عن الاول وهو بين مبان نخبة باذخة جميلة ولا يمر

(١) "جامع الظاهر" قال المقرئ رحمه الله . هذا الجامع خارج القاهرة بالحسنية
انشأه الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلاءي وكان موضعه ميدانًا يعرف بميدان قراقوش
وكان منتزه الملك ومحل لعبه بالكرة . فلما اهتم بعمارتها اختاره فرسم الجامع في قطعة منه ورسم
بان يكون بقية الميدان وقفًا على الجامع بمحكر (نأمل ما حوله الآن) ورسم بين يديه هيئة
الجامع وأشار ان يكون بابه مثل باب المدرسة الطاهرية وان يكون محرابه قبة على قدر
قبة الامام الشافعي "رضي الله عنه" وكتب في وقته الكتب الى البلاد باحضار عمد الرخام
وكتب باحضار الآلات من الحديد والاختشاب النفيسة برسم الابواب والسقوف وغيرها
وولى عدة مشددين على عمارة الجامع وشرع في العمارة سنة ٦٦٥ هجرية ثم سبى سنة ٦٦٦
سافر السلطان الى بلاد الشام فنزل على مدينة بافا وتسلمها من الافرنج وهدم قلعتها وقسم
ابراجها على الامراء واخذ من خشبها جملة ومن الالواح الرخام التي وجدت فيها ووسق منها
مركبًا سبىها الى القاهرة ورسم بان يعمل من ذلك الخشب مقصورة في الجامع والرخام يعمل في
المحراب فاستعمل كذلك وكرمت بناية الجامع سنة ٦٦٧ هـ . فتأمل حاضره الآن

عابرسبيل بقربه إلا ويأسف على ما حاق به . ولودرى بانيه رحمة الله عليه بانه
سيأتي يوم يصبح فيه الجامع مخزناً لما وضع فيه حجراً
”خدام الجوامع“

خدام الجوامع جماعة من جمعهم جماعة الفشل في تعلم علم الدين ولم ينجحوا
فيه واكسبهم وخمولهم وحبهم للعيادة خالية من التعب وأكل الخبز بلا تعب ولا
عمل التزموا مساجد الله باسم خدمة . فاحتكروها او التزموها قل ما شئت عنهم
يورثونها ابنائهم من بعدهم واحقادهم من بعد ابنائهم . وهؤلاء خدمة المساجد تدفع
لهم مرتبات قليلة من قبل ديوان الاوقاف لقاء خدمتهم فيها ومباشرة نظافتها
ومع كل فترى كثيراً من الجوامع المذكورة مهملتها فيها شروط النظافة بالمرة .
ونحن نقص عليك شيئاً من حالة الجوامع الكبيرة وتترك لك القياس عليها في
المساجد الصغيرة . نذكر لك جامع ابنة البتول و بنت ابنة الرسول و بنت ابن
”عمه رضوان الله عليهما جميعاً“ ففي كل يوم احد من كل اسبوع تُفرش ارضه
بقشور ”القول“ وفتات الخبز وجذور ”الكراث“ وهناك يمر المار حافياً
فيزلق بالاوساخ ويجد بفضل خدمة هذا المقام الشريف عكس الآية الشريفة
”فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين“ فيه يسحب البق بعضه
بعضاً على جدرانها من فضل الجالسين مطمئنين وهم بشياب رثة ولباس قدر نتن
وليس من يزجرهم او يجبرهم على النظافة او من يعمل بالحديث الشريف ”ابنوا
المساجد وأخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة“ يتعلقون
بأذيال الزائر عند الزيارة ويتجادبونه من كل جانب رجاء ان يعطيهم شيئاً لله
وغرضهم ان ينشلوا منديله من جيبيه وما شاكل ذلك وما من رادع يردعهم ولا
عجب ان يكون ذلك كذلك ما دام خدمة الجوامع بدركون معنى ”وثيابك طهر

والرجز فاهجر* ولا يعملون . او كيف يرجى من جمعهم جامعة الفشل رجاء وهم اذا ارادوا الكنس كنسوا بسعف النخيل مع علمهم ان ذلك لا يزيل وسخاً بل يزيد الطين بلة وهم لاهوت عن مباشرة النظافة باستقبال الوفود من اصحاب النذور وملاقات اصحاب الاحباب بالطبع تلهي المحب

وجامع السيدة نفيسة رضي الله عنها يأتي اليه الناس من جهات متعددة بحجة الزيارة والتبرك غير ان بعضهم يتفقون مع خدمة الجامع للنامة فيه ولا حاجة اللطالة وغير ذلك في مصر من امثال هذه الجوامع الشهيرة يجري فيها الامور لمخالفة السنة والدين والادب والنظافة على خطٍ مستقيم فهل لا يعلم بذلك ديوان الوقاف او يمكنه ان ينكره . او لا يعلم ان في جامع الامام الحسين "رضي الله عنه" بيع ويشترى ما يباع ويشترى في الاسواق من قصص وحكايات ومساوك وسج وسعوط وكحل وعاب داخلها الافيون . ذلك كله يراه خدام الجوامع الكبيرة امثال من ذكرنا ويتعاملون عنه ما دام الود بينهم متواصلاً . فيتركون البائع على هواه مع علمهم بقوله تعالى "أفأريت من اتخذ إلهه هواه" هذا وفي علما اكثر مما ذكرنا فنحول الانظار اليه . واما الجوامع الصغيرة فليس لها اعتناء بالنظافة على الاطلاق . واذا سألك سائل ما الذي لا يغيره الدهر ويخالف المثل "الدهر بالناس قلب" قل له حصر هذه المساجد التي من اليوم الذي تفرش فيه لا تقام منه ابداً اللهم الا ما يعلق منها في ارجل المصلين وسببه ان من يستخدم في هذه المساجد هم من الفقراء المتقدمين في السن وبعضهم من العميان وياخذون المرتبات القليلة جداً . حتى ان المكاف منهم بالاذان وان يك يصعد خمس مرات في اوقات مختلفة متعددة من النهار والليل حتى يبلغ عنان السماء يعطى ثلاثين غرشاً شهرياً . والمكاف بلى الميضة والخلايا مستقيماً من البئر يعطى كذلك

وعليه ان يباشر نظافتها وشؤون خدمتها فكيف يعني امثال من دكرنا بالنظافة ويعملون بالآية الشريفة للمصلين الذين لا تصح صلاتهم الا طيب ما جاء فيها "يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين الآية" وبعضهم لو تركوا خدمة الجوامع وعملوا مع الفعلة لتناولوا اجرة لا نقل عن المئة والخمسين غرشاً في الشهر او كيف يأتمن امثال هؤلاء على ما يصرف لهم من الزيت ونحوه لانارة هذه المساجد وهم لا غنى لهم عن بيعه ليعيشوا بثمنه وفي باب الشعرية بمصر زيات بيعة خدمة الجوامع زيوت الجوامع ليقتاتوا بثمنها. وباليتهم يعرفون ثمنه فيقبضونه ولكنهم يبيعه بأقل من نصف الثمن ومثل تفريطهم في الزيت تفريطهم في انقاض الجوامع ومخلفاتها من من شبايك وحجارة فسيفساء. وبعض هذه الجوامع الصغيرة ايضاً قد تحولت لضد الغرض المنشئة لاجله وعددها من الاسف كثير في كل بلد وحي نذكر لك منها الجامع الذي في اول باب البحر في رأس حارة "درب الجامع" فان هذا الجامع وان كان ايراده على ما يقال يبلغ العشرة جنيهات شهرياً فانه من مدة قرية أجر ابعدهم وعمل "بوطة" يجتمع فيها الاوباش من رعاك القوم ولما تشكى الجيران "واغلبهم من النصارى" ابطلت منه البوطة وجعل مغلقاً للخشب. ويوجد ايضاً في الجهة المذكورة زاوية وقف العنانية أجر بعضها مخزناً لاحد الاروام فجعل ميضتها مخزن تصافي الخمر وقد قدمت شكوى في اواخر سنة ١٩٠٠ للديوان من بعض سكان تلك الجهة المسلمين فلم يلتفت اليها. وفي جهة الصليبية وجهات بولاق جوامع عدة بعضها فيه ورش للحدادة والتجارة وبعضها لعمل الحصر ولخزن اصناف التجارة من سمن وعسل. كما ان بجانب البوستان في الازبكية جامعاً فيه اسطبل لسواري بوليس العاصمة. هذا ولا يذهب عن فطنة القارىء ما تقدم

بيانه من عمل الزار في بعضها . ذلك حال الجوامع وحال خدمتها وهو القول الحق الذي لا مرأه فيه نذكره مع الاسف الشديد . ولو كان ذكره يوم عواطف البعض من رجال الاوقاف

” الاضرحة وحالتها “

قال المرحوم علي مبارك باشا . الموجود الآن بالقاهرة من الاضرحة مائتان واربعة وتسعون ضريحاً بعضها داخل مزارات وله خدمة والبعض داخل بيوت وفي زوايا الحارات^(١) ونحن نترك الكلام عن الاضرحة الموجودة في البيوت والحارات اذ الله اعلم بجالها ونقتصر على المزارات التي لها خدمة مخصوصة من طرف ديوان الاوقاف فنقول . انه لسبب تعيين الاوقاف مستخدمي هذه المزارات من جماعة المشايخ الجهلة غير حسني السلوك قد اصحبت محال هذه المزارات كبيوت الاصنام ولسبب جهل مستخدميها شروط الزيارة الشرعية يتركون الزائر يتبرك بالاضرحة ويتوسل بمن فيها الذين سعدت ارواحهم لبارئها وبقيت عظامهم البالية (وفي حكم العقل ان تلك العظام لا تغني شيئاً) وكذلك كانت عبدة الاصنام يفعلون تماماً^(٢) ولو كان الله امر المؤمنين بقوله ” واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي “ الآية يحصل ذلك ويراه خدمة الاضرحة من الزائرين

(١) خطط جزء اول وجه ٨٩

(٢) ومما يزيد الانسان اسفاً تهاون الكثير من علماء الدين بالانكار على ما يفعله هؤلاء مع علمهم ان هذا ان لم يكن شركاً فقرب منه وهم يشاهدون هذا باعينهم ويسمعون بأذانهم ولا يتحركون فذا صح السكرت هذا فعلى اي شيء يفكرون اصلحهم الله هل غاب عن علمهم ان الاسلام ما جاء الأ لمحاربة هذه الاعمال الوثنية وتطهير الناس منها فكيف يرضى رجال الدين بان تفعل هذه الاعمال المنكرة وهم المطالبون بازالتها وتفهم الناس انها من الشرك الذي لا يجتمع مع الدين وهذا الواجب ملقى على عاتقهم لا يمكنهم التوصل منه مطلقاً

وبالاخص من النساء وهن في داخل الاضرحة حيث يتوسلن اليها كآلهة تفعل ما تشاء ينظرونهن وهن يهززن الاضرحة ويصحن بالفاظ الكفر ولا يمنونهن بل يصرحون لهن بعمل ما يريدون عمله. ولقاء مبلغ تافه يتركونهن يكنسن بمناديلهن ارض المقام ويقلبن حصيره على من يردنه صارخات بالاستغاثة بالصریح وصاحبه دون الله الامر رسوله والمؤمنين بقوله "قل لا املك لنفسي ضراً ولا نفعاً" الآية وكيف يلتفت الخدم الى واجباتهم وهم في شغل شاغل مع بعضهم إما في مشاجرة او سباب ومخاصمة

"تكايا الاوقاف"

العرض من التكايا ايواء ذوي العاهات والاسقام والامراض من فقراء المسلمين - وغاية ما يمكن القول عن تكايا الاوقاف ان اكثر من فيها الآن هم من جماعة الترك الاصحاء الابدان الاقوياء العضل يراهم الرائي في تكيتي طره بمصر والقباري بالاسكندرية فيعجب لصحتهم كما يعجب السياح الذين يتفرجون عليهم. وبالاخص لو علم ان امثال هؤلاء لهم الحق بالاعتناء بهم وتوفير شروط المعيشة لهم كالعجزة والضعفاء والمنقطعين الذين هم في الحقيقة المقصودون بهذا الخير من اصحاب هذه المبرات وقعد بهم الدهر فاصبحوا في الفقر والخصاصة وما يلاحظ على تكايا الاوقاف غير ما تقدم انها تحتاج للنظر ومضاعفة العناية من اولي الامر لتغل أيدي الخدمة عن الطمع في ارزاقهم - نعم وان كانت نظارة الاوقاف اظهرت اخيراً بعض اعناء بشؤون التكايا ولكن لا تزال الشكوى كثيرة وخصوصاً من الصعوبات التي تقام امام الفقراء الذين يرغبون الانضمام الى التكايا اذ هؤلاء لا يقبلون الا بعد كثرة التردد بين المحافظة والاقواق على انه ينبغي ان يلاحظ في التكايا انها ملجأ العجزة والفقراء الذين لا يقدررون على الكسب فلذا يلزم ان يكون لها

نظام لا يتعدى حدوده ومع ان التكايا التي من هذا القبيل قليلة عندنا فلا يزال نظام الملاحي التي انشأها ابناء الطوائف الاخرى في هذا القطر وسواء أرقى من نظام تكايا الاوقاف واكثر سعياً في سبيل الاجر والتواب . ولو كنا احوج الكل الى الاكثر منها بالنسبة الى كثرة عدد العجزة والضعفاء منا .
 " ما يصرفه الاوقاف على التعليم "

لدى ديوان الاوقاف اموال كثيرة مخصصة للشروعات العلمية والادبية .
 أوقفها موقوفها " رحمهم الله " على اخوانهم في الانسانية إعلاءً لمنازل العلم والادب .
 تبارى السالفون فيها ولم يقصروا بل رغبوا في وقفها احياء لبث التعليم ومكافأة رجال العلم وعلماء منهم ان الامة لا تبلغ للمقام الذي ترومه من العزة والمنعة الا اذا استدارت عقول افرادها بانوار العلم والادب وكثر عدد العلماء والمتعلمين ودليل ذلك الاوقاف الكثيرة التي حبسوها على هذا الخير والتي يبلغ ريعها من ٣٠ الف جنيه الى ما يقرب من الاربعين الفا كماها موقوف على بث العلم بين الفقراء الذين هم في حاجة كبرى الى التعليم والارشاد . وكفانا ان نذكر منها تفتيش الواديه وزوائد المساحة في المديرية التي اوقفها المرحوم الخديوي السابق " اسماعيل " والحصص التي آلت الى بيت المال وغيرها مما يسأل عنه ديوان الاوقاف . ومن الغريب انه قد عمت الشكوى حتى اتصلت بسمو مولانا الخديوي المعظم حفظه الله وشهد بقصور ديوان الاوقاف وعدم قيامه بغرض موقفيه . فلما لم يسهه حفظه الله الآن شاور وزراءه والكثيرين من نملاء الامة ثم امر فضمت تلك الكتابيب التي كان يديرها ديوان الاوقاف الى نظارة المعارف وتقرر ان ما يؤول امره منها في المستقبل بناط بنظارة المعارف حتى يكون امر التعليم كله تحت ادارة واحدة وقد تحسنت امر الكتابيب هذه نوعاً ما كما تقدم لنا بيانه . وان كان ديوان

الوقف قد عارض في ذلك معارضة شديدة شأن كل مصلحة تحافظ على سمعتها وترغب في عدم تقليل اختصاصاتها. ولكننا نرجع فنقول ان ديوان الاوقف يسط يده على التعليم ليكون ينبوعاً مساعداً على انتشار العلم وتعليم النشأة الحديثة الفقيرة التي هي في حاجة الى التعليم. ولعمر الحق ان مبلغ ٢٧٥٢٥ جنيه من ايراد قدره ٢٣٠٦٦٢ جنيه مبلغ قليل جداً على امة مثل امتنا تريد ان تباري الامم الحية المتقدمة عليها

” ما يصرف على عمل الخير “

اما ما يصرفه الاوقف على عمل الخير فلا ندري ما هو اللهم غاية ما يمكننا ان نقوله انه ربما يقصد بذلك ما يعطيه لجماعته من المستخدمين الذين يستولون على ما يقرب من ربع الايراد او ما يصرفه وهو مبلغ ١٥٦١٠ جنيه فان من هذا المبلغ يُصرف اعانة للكتبخانة ومعاشات لامرأاد قليلين نعم اننا نجعل حقيقة ما في ذمة ديوان الاوقف تماماً لعمل الخير. ولكن العقل يرشدنا ان في ذمة ديوان الاوقف لعمل الخير شيء كثير ودليلنا عليه النظر لتبرع السلف الصالح وما هو مكتوب في سير الخلفاء والامراء الذين كانوا يوقفون من سعتهم ما يضمن للفقراء والعجزة راحتهم في حال ضيقهم وشدتهم فكم من خليفة وسلطان وامير بنى بجانب الجامع المستشفى رحمة منه وحناناً على امته من بعده. ومن ذلك وقف اقامه اخيراً الخديوي الاسبق ” اسماعيل “ لانشاء دار للعجزة يراها المطلع ذات شرط في وقفية المذكور وخصص لها اربعة آلاف جنيه وللآل لم يسمع احداً ما هو غرض الاوقف من هذا الشرط. ولو فتشنا الاوقف نرى مثل هذه الشروط اشياء كثيرة كلها في ذمة الديوان المذكور بخلاف المبالغ التي لبعض المستحقين وقد طال عليها الأمد ولم يطالب احد الديوان بها والمرجح عقلاً ان اكثرهم ماتوا ولا وارث لهم وعلى ذلك يمكننا القول

ان في استطاعة الديوان ان يعمل بهذه المبالغ عملاً يخفف به بلاء العجزه والمساكين
 ممن لا سند لهم ولا معين ولو لاولاد وبنات خدمة الجوامع او لجماعة الازهر بين
 الذين هم لكثرتهم في حاجة الى مستشفى وكيف لا ولنا في حادثة الكوليرا واحتياج
 المجاورين أقرب شاهد . فانهم اذا أصيب احدهم بمرض تعدى الى غيره بسهولة .
 ولا اعتراض في ذلك لو اخرج الاوقاف ما ذكر من حيز القول الى حيز العمل .
 فان ذلك اولى بمجدنا ومعبد الذين اوقفوا عمرهم على تعليم قرآنا وديننا وليس بشيء
 اصعب على الحرم ان يرى ذلك المتمم بالعمامة والمرتدي بالطيلسان والمتمزي
 بزي امة تنفر من المن والاذى يختر بين يد انكلبزي او الماني ليفتح له خراجاً في
 قلبه وما في قلبه الا محبة خالصة وسريرة سالحة بعيدة عن البغضاء بعد الارض
 عن الجوزاء وفي الحديث الشريف "داووا مرضاكم بالصدقة"
 "فصاها الاوقاف"

بما ان للاوقاف حقوقاً وعليه واجبات ولسبب تنوع اختصاصاته في املاكه
 وعقاراته ولغرض استثمار موارد ايراده ترى ديوان الاوقاف كثير المشاكل كثير
 القضايا وهي اما له او عليه واغلب التي تقام عليه من تصرفات مستخدميه فلهاذا
 السبب اتخذ الديوان له جماعة محامين مستخدمين لديه بمرتبات باهظة كي ينظروا
 في دعاويه ومشاكله واوجد مستشاراً قضائياً خاصاً له "وهو الوحيد الذي ينازل
 المستشار القضائي في نظارة الحقاية من جهة الاختصاصات وما شاكل ذلك"
 والغريب في هذه القضايا ان بعضها يجري فيها التلاعب الكثير بعضه بمعرفة رجال
 الديوان وبعضه بمعرفة المحامين فمثلاً القضايا المختصة بجماعة الاغنياء اصحاب الجاه
 والنفوذ فان هؤلاء يراعون اصحابهم مع رجال الديوان وقد نحفظ قضاياهم من سنة
 الى عشرة . اما المختصة بالفقراء فتظهر بظهور الاهتمام وبأخذون اصحابها قسراً الى

المحاكم ويطالبون بحقوق الديوان واما لو كان الفقراء حقاً عليه فهناك ١١١١
وتصعب الامور ولو كانت سهلة واضحة منذلة وشاهدنا تارة التحذير بغيره . تب
التي قامت بين الديوان في سنة ١٨٩٥ وبين فقهاء بعميار ، زهرين وحكم
فيها سنة ١٨٩٧ على الديوان بدفع ٣٠٠٠٠ به والفضل في ذلك لرجل الفجر
والمرؤة والنبل احمد بك الحسيني اعد الصعيف ومرشد القوي للحق . والغريب
ان الديوان لا يطالب بالفوائد في قضاياها بل يدفع القوم التي تكسبها
المحاكم يدفعها من امواله المجموعة من اهل ابر . وهو يجبر على نفسه
اخذها لو ادع شيئاً من ماله في احدى المصارف ولا يري ان ذلك
نعلم كيف يحل دفع الفوائد في عرفه . ولو تأملت . . . سنة ١٩٠٩
لوجدت له في باب المصروفات ٢٤٠٠ جنيه بالقلم العريض تحت عنوان المصارف
القضائية اي ان ما يذهب على قضاياها ضعف ما يصرف على مستخدمي لجنة
او ما يقرب من ثلث ما يصرفه على تكاياه
"خلاصة القول عن الاوقاف"

هذا وفي الختام نقول ان ما ذكرناه عن ديوان الاوقاف الاسلامية انه
به بيان الحالة لا مس كرامة احب وان نوقف القارى على الحقيقة التي لا مندوحة
عنها ولا بد منها . ولا نقصد بكل ما تقدم بيانه الا ان نعد في مصاف اهل الحق
والحرية الذين بقدر ما تسعهم القدرة يدراون الحمل باشهار الوصيات والنقائص
ليجتمعوا مع امثالهم فينشطوا الى الصعود والرقى من الدركات الهايطة ولا يخفى ما في
الجمهور بالحق والقول بالصدق من لذة التقدم القومي واننا لا نرى ما يراه البعض
الاهمة الفاترة من ان الستر على النقائص اولى ومن اهم الخصائص
تالله لو اتبع رجال الاوقاف سنته التي وجد لاجلها وفتنوا لسر هذه الاوقاف

وما وضعت له لوجدوا من المسلمين من يعضدهم ويأخذ بيدهم والأفحاء رماهم
من انه لعدو الثقة فيه الآن وبسبب ما يلحق شروط الواقفين من التغيير والتعديل
في اقرب زمن ترى عدد الواقفين يقل عاماً فعاماً فيتركون مخالفتهم لابنائهم من
بعدهم فتذهب أكثرها ضحية التبديل والافتراء. ولنا فيما تقدم من الكلام عن حالة
اولاد الإغنياء ما فيه عبرة للمعتبرين في اننا كان الناس ينشطون للعمل
ويؤثرون بالاعمال الصالحة كالزراعة والصناعة وتحسين الزراعة فلا
يكونون عالة عليهم ويثروا آياتهم لان من علم الادلة على انما امة اتكالية
ويجوز له الاثر في حصول التنازع فيها دائماً وابدأ سواء بين المستحقين
المتطاولين عليها او بين الناس. وقد مضى على الاسلام قرون متوالية لم
يكن فيها اوقاف مشتهرة كما هي الآن ولم يكن الا الأوقاف الخيرية المحضه في السل
بها في غير هذا يد لنا على ان السلف الصالح كان همهم وعمدهم انما هو
ان يتركوا على النفس بعد الاتكال على الله وهذه سيرة "الرسول صلى الله عليه
وسيرة الخلفاء الراشدين والخيرة من اصحابه والتابعين وتابعيهم تدلنا دلالة
ظاهرة لا ارباب فيها على ما نقول وتتكلم عنه فغسي قوما تهزهم داعية العمل
فينشطون وينذون عنهم مطارف الكسل ويكون الانسان انساناً بنفسه لا بنفسه
واثقاً بجمده لا يجمد معتمداً على ما ربه الله من التدبير لا ما جاءه من
متروكات آباءه من القليل والعظيم. وهكذا الرجل يعيش اينما كان بسعيه
واجتهاده قال تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم
يعزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى) صدق الله العظيم
والحمد لله الذي نعمته نتم الصالحات